

# تَسْلِيَةُ أَهْلِ الْمَصِيبِ

لَا بُدَّ لِلَّهِ مِنْ مُجْدِرِ سَمَلَيْنِ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْحَسَنِ

الْمُتَوَفَّى سَنَةِ ٧٨٥ هـ

مَقَّه وَفَرَّحَ أُمَامَتُهُ وَعَلَى عَلَيْهِ  
بَشِيرٌ مُحَمَّدٌ عَمِيون

مَكْتَبَةُ كَلَامِ الْبَيِّنَاتِ

ص. ٢٨٥ - طاب ١٤٠٥ هـ  
و. ١ - ك. ١ - ك. ١ - ك. ١

# تَسْلِيَةُ الْهَلَاكِ الْمَصِيبِ

لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُنْبِجِي الْحَنْبَلِيِّ

المتوفى سنة ٧٨٥ هـ

حَقَّقَهُ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

بشير محمد عيون

مَكْتَبَةُ تَدَارُكِ الْبَيِّنَاتِ

ص. ب. ٢٨٥٤ - هاتف ٢٢٩٠٤٥  
رأس - الجمهورية العربية السورية

مَكْتَبَةُ الْمَوْئِدِ

ص. ب. ١٠ - هاتف ٧٣٢١٨٥١  
الطائف - المملكة العربية السعودية

الطبعة الثالثة

دمشق — بيروت

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

جميع الحقوق محفوظة

تسليّة أهل المصائب / لأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد المنبجي  
الحنبلي؛ حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه بشير محمد عيون. - ط ٣.  
دمشق؛ بيروت: مكتبة دار البيان، ١٩٩٢. - ٣٣٩ ص؛ ٢٥ سم.  
١ - ٢١٨، ١١ م ن ب ت ٢ - العنوان ٣ - المنبجي ٤ -  
عيون.

مكتبة الأسد

الإيداع القانوني

ع-٥١١ / ٣ / ١٩٩٢



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة الناشر

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعد فهذا كتاب « تسلية أهل المصائب » للإمام العالم أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد الصالحي المنبجي أحد رجالات القرن الثامن الهجري ، وصاحب التأليف النافعة .

قال عنه الحافظ بن حجر العسقلاني كان من فضلاء الحنابلة سمع الحديث ، وحفظ « المقنع » ، وأفتى ودرس وكان يكتسب من حانوت له على طريق السلف مع الدين والتقشف والتعبد مات في رمضان سنة ٧٨٥ هـ

وموضوع كتابه هذا لطيف ظريف لا نعلم أحداً من الأئمة المتقدمين أفرده بالتأليف ، وفيه عزاء وسلوان لكل مسلم يصاب في هذه الحياة بماله أو نفسه أو ولده أو غير ذلك ، فإن المؤلف رحمه الله قد أورد فيه آيات من كتاب



الله تعالى فيما يخص موضوعه ومن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يتعلق به ، وشرحها وتعرض لما فيها من قواعد وعظات بأسلوب سهل مشرق لا يشق على عامة الناس فهمه .

وقد سبق لهذا الكتاب أن طبع في مصر بعناية أولاد السيد محمد أمين الحانجي عام ١٣٤٧ هـ عن نسخة بخط المؤلف سنة ٧٧٧ هـ مأخوذة من دار آل صوفان من أفاضل العلماء بنابلس ثم نشرته المكتبة العلمية بالمدينة المنورة سنة ١٣٨٠ هـ . وقد عزت نسخه وأصبحت نادرة جداً .

بعد أن عزمنا على إعادة نشر الكتاب وتيسيره للراغبين عز علينا العثور على نسخة خطية فقنعنا بالمطبوع أصلاً وقمنا بالتالي :

١ - تحقيق نصوص الكتاب بالرجوع الى المصادر التي استقى منها المؤلف كتابه وما وجدناه من زيادات أدرجناها في متن الكتاب مع التنبيه عليها ووضعها ضمن حاصرتين [ ] .

٢ - ضبط الآيات القرآنية بالشكل الكامل وعزوها إلى مكانها في المصحف الشريف .

٣ - ضبط الأحاديث النبوية بالشكل الكامل وتخريجها وبيان درجتها من الصحة والضعف كما تقضيه القواعد العلمية حيث كان جل اعتمادنا على « جامع الاصول » بتحقيق استاذنا الشيخ عبد القادر الأرناؤوط وعلى كتب الشيخ ناصر الدين الألباني حفظهما الله تعالى مع مراجعة وافية لكتب السنة .

٤ - شرح غريب الكتاب بالعودة إلى معاجم اللغة وغريب الحديث .

٥ - توزيع النص وإخراجه إخراجاً متقناً يليق بالكتاب ويريح القارئ أثناء مطالعته .

وفي الختام نسأل الله تعالى حسن الثواب وأن يتقبل عملنا خالصاً لوجهه الكريم والحمد لله رب العالمين .

دمشق ١٥ ربيع الثاني سنة ١٤٠٤

بشير محمد عيون

تَسْلِيَةُ الْمَلَائِكَةِ





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِشَيْعَتِهِ

الحمد لله المُنْفَرِدُ بالبقاء والقهر ، الواحدِ الأَحَدِ الفردِ الصمدِ ، ذي العِزَّةِ والسَّتْرِ ؛ الذي لا نِدَّ له فيبارى ، ولا معارضَ له فيمارى ، ولا شريك له فيدارى ؛ كتبَ الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا الْجَنَّةَ وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارَ ، قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ وَأَقْسَامَهَا ، وبعث أمراضها وأسقامها ، وخلق الموتَ والحياةَ ليبْلُوهم أيهم أَحْسَنُ عَمَلًا ، وجعل للذين أحسنوا الدرجاتِ ، وللذين أساءوا الدركاتِ ، رحمةً وعدلاً ، أحمده على حلول القضاء ومُمرِّه ، وأعوذ به من سطواته ومكره .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إلهاً لم يزل عظيماً علياً ، جباراً قهاراً قوياً ، جل عن الشبيه والنظير ، وتعالى عن الشريك والظهير ، وتقدَّس عن التعطيل ، وتنزه عن التمثيل .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله رحمةً للعباد ، ونقمةً على الكفرة من أهل البلاد ، فدعا إلى الجنة ، وأرشدهم إلى اتباع السُّنة ، وجعل أعلامهم منزلة أعظمهم صبراً ، فمن استرجع في مصيبيته واحتسبها ذخراً ، كان له منزلةً عاليةً وقدرًا ، وكان مقتفياً هدياً ومتبعاً أثراً ، صلى الله عليه وعلى آله

وأصحابه وأزواجه وذرياته الأخيار ، وسلم تسليماً كثيراً مستمراً متصلاً متعاقباً ما تعاقب الليل والنهار .

أما بعد ، فإن الله تعالى جعل الموت محتوماً على جميع العباد ، فهو نهاية المرء وغاية الاقتصاد ، من دار الاعتداد قضى فأسقم الصحيح ، وعافى السقيم ، وقسم عباده قسمين : طائع وأثيم ، وجعل مآلهم إلى دارين : دار النعيم ودار الجحيم ، فلا مفرّ لأحد من الموت ولا أمان ، لقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [ الرحمن : ٢٦ ] .

فسوى فيه بين الحرّ والعبد ، والصغير والكبير ، والغنيّ والفقير ، وكل ذلك بتقدير العليم الخبير ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [ فاطر : ١١ ] . فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والحازم من بادر بالعمل قبل حلول الفوت ، والمسلم من استسلم للقضاء والقدر ، والمؤمن من تيقن بصبره الثواب على المصائب والضرر .

ولما كانت المصائب - على اختلاف أنواعها من موت وغيره من نوائب الزمان - خطبٌ مؤلمٌ موجعٌ ، وأمر مهول مزعج ، وردت الأحاديث والآثار بما لمن أصيب من المقامات ، المحتسب الصابر عليها ببشارة الجنات . قال بعض السلف : لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس . وما أحسن ما قال الشاعر :

المرءُ رهنُ مصائبٍ ما تنقضي      حتى يُوسدَ جسْمُهُ في رَمْسِهِ  
فمُوجَلٌ يَلْقَى الرَّدَى فِي غَيْرِهِ      ومُعْجَلٌ يَلْقَى الرَّدَى فِي نَفْسِهِ  
فأحببتُ أن أجمع كتاباً مُسلياً      لقلوب المحزونين ، ومُفرّجاً لكَرْبِ  
الملذوعين ، وسميته : « كتاب تسلية أهل المصائب » .

وكان سبب تأليف هذا الكتاب : أنه وقع طاعون في سنة خمس وسبعين وسبعمائة في رجب ، واشتدّ في آخر شوال و[ ذي ] القعدة و[ ذي ] الحجة ، وخف في المحرم من سنة ست ، ومات فيه الألوف من الناس ، وخلت بيوت كثيرة ، ومات فيه من الصالحين والعباد خلق كثير ، وسميته : « طاعون الأخيار » لكثرة من مات فيه من أخيار الناس ، ولكن كان أكثره في الأطفال ، حتى كان جماعة من أصحابنا ممن لهم عدّة من الأولاد ، فلم يبق له ولا ولد .

وكنت قد جمعت كتاباً في الطاعون وأحكامه في سنة خمس وستين وسبعمائة ، وهو كتاب حسن ، ما نظر فيه أحدٌ إلا استحسّنه ، وقلّ ما خرج عنه من الأحاديث والآثار والتواريخ ، ولكن لم أذكر فيه ما أعدّ الله للمصابين فيه ؛ فأفردت هذا الكتاب تسلياً لمن أصيب بمصائب الدنيا ، وما رأيت ولا سمعت أن أحداً لم يصب فيها بمصيبة .

وبوّت هذا الكتاب ثلاثين باباً ، وها أنا أذكرها أولاً ، وبالله أستعين وعليه أتكلم :

الباب الأول	: في المصيبة وحقيقتها ، وما أعدّ الله لمسترجعها .
الباب الثاني	: في البكاء على المصيبة ، وما ذكر العلماء في ذلك
الباب الثالث	: في تحريم النذب والنياحة وشق الثياب .
الباب الرابع	: فيمن أصيب بفقد ثلاثة من الولد فأكثر
الباب الخامس	: فيمن أصيب بفقد ولدين .
الباب السادس	: فيمن أصيب بفقد ولد واحد .
الباب السابع	: في ذكر السقط وثوابه وزيارة القبور .
الباب الثامن	: في تطيب خاطر الوالدين على الأولاد .
الباب التاسع	: فيمن مات له طفل رضيع أنه يكمل رضاعه في الجنة
الباب العاشر	: في أنه يصلي على كل مولود ويدعى لوالديه .



- الباب الحادي عشر : في استحباب اصطناع الطعام لأهل المصيبة .
- الباب الثاني عشر : في كراهة الذبح عند القبور ، وصنع الطعام من أهل الميت .
- الباب الثالث عشر : في الثناء الحسن على الميت وذكر محاسنه والسكوت عن مساويه .
- الباب الرابع عشر : في فرح العبد وتسليته ، لكونه من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .
- الباب الخامس عشر : في استحباب التعزية لأهل المصيبة والدعاء لميتهم .
- الباب السادس عشر : في وجوب الصبر على المصيبة .
- الباب السابع عشر : فيما ورد في الصبر على المصيبة .
- الباب الثامن عشر : في أن الشخص لا يستغني عن الصبر لا في المصيبة ولا في غيرها .
- الباب التاسع عشر : في أن الصبر من أشق الأشياء على النفوس .
- الباب العشرون : في الرضا بالمصيبة .
- الباب الحادي والعشرون : فيما يقدر في الصبر والرضا وينافيهما .
- الباب الثاني والعشرون : هل المصائب مكفرات أو مثيبات ؟
- الباب الثالث والعشرون : في الصبر عن المصاب به ، وأفعال البرّ عنه .
- الباب الرابع والعشرون : في ذكر عمارة القبور .
- الباب الخامس والعشرون : في أن الله يثبت الذين آمنوا عند المسألة .
- الباب السادس والعشرون : في اجتماع الأرواح وهياتها ، وأين محلها .
- الباب السابع والعشرون : في عدد الشهداء وفضلهم ، وأنهم أرفع درجات من الصالحين .
- الباب الثامن والعشرون : في ذكر الصراط ، ودرجات الناس في المرور عليه .
- الباب التاسع والعشرون : في ذكر التوحيد وسعة رحمة الله .
- الباب الثلاثون : في فضل الزهد في الدنيا ، والتسلية عنها ، والرغبة في الآخرة .

فهذه نهاية الأبواب ، الآتي بعدها حسن الخطاب ، وهي بضاعة أخيك المزجاة ، وسلعته المرماة ، تعرض عليك ، وتساق منه إليك ، فلقارته غُثمه ، ولأخيك غرُمه .

وما أذكره من الترغيب والترهيب من الكتاب والسنة والآثار والتفسير وغير ذلك ، بإسناد وغير إسناد غالباً خشية التطويل ، ولكنه معزواً إلى رواته من حفاظ الإسلام ، مشيراً إلى التصحيح والتضعيف في بعض ما أمكن من الأحاديث .

وكان الاجتهاد في ذلك : أني رأيت يا أخي أنك إذا مت سلاك أحبابك ، وهجرك أصحابك ، وأعرض عنك من أنفقت عمرك في محبته ، وأتعبت نفسك وبدنك في ملاطفته ، فهذا لا يخفي عليك ولا على من له أدنى فطنة ، فإنك إذا أردت أن تعرف صدق هذه المقالة بوجه صحيح ، وكلام فصيح ، فاذكر فعلك فيمن كان يحبك من أبٍّ وأمٍّ ، وأخٍ وصديقٍ ، ألسنت قد سليتهم وتبدلت سواهم ، فكذا أنت بعد موتك .

فأردت جمع هذا الكتاب ليكون سبباً لسلو الشخص عن الدنيا ، ومرغباً له في الأخرى ، فهو - بحمد الله - فيه من الفوائد التي لا يظفر بها في كتاب سواه .

فما كان فيه من صواب فمن الله ورسوله ، وما كان فيه خطأ فمني ومن الشيطان ، والله سبحانه المسؤول أن يوفقني لإتمامه ، بفضله وامتنانه ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به مؤلفه وكتابه وقارءه وسامعه ، إنه سميع قريب ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

\*\*\*





## الباب الأول

### في المصيبة وحقيقتها، وما أعد الله لمسترجمها

قال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿ [ البقرة : ١٥٦ - ١٥٧ ] قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : نِعَمَ الْعِدْلَانِ وَنِعَمَ الْعِلَاوَةُ ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ الآية ذكره البخاري تعليقا<sup>(١)</sup> .

وقال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾ [ التغابن : ١١ ] . قال علقمة وجماعة من المفسرين : هي المصائب تصيب الرجل ، فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم ، والآيات في هذا الباب كثيرة .

قال أهل اللغة : يقال مُصِيبَةٌ وَمُصَابَةٌ وَمَصُوبَةٌ . قالوا : وحقيقته الأمر المكروه يحل بالإنسان .

وقال القرطبي : المصيبة كل ما يؤذي المؤمن ويصيبه . يقال : أصابه

---

(١) رواه البخاري تعليقا ٣/١٣٧ - ١٣٨ في الجنازات : باب الصبر عند الصدمة الأولى ، انظر ما قاله الحافظ في « الفتح » .

إصابة ومُصابة وصابة ، والمصيبة واحدة المصائب . والمَصُوبَةُ بضم الصاد - مثل المصيبة . وأجمعت العرب على همز المصائب ، وأصله الواو ، وكأنهم شبهوا الأصل بالزائد ، ويجمع على مصاوب ، وهو الأصل ، وعلى مصائب .  
والمصائب : الإصابة . قال الشاعر :

أُسْلِمُ إِنْ مُصَابَكُمْ رَجُلًا      أَهْدَى السَّلَامُ تَحِيَّةَ ظُلُمٍ  
وصاب السهم القرطاس يصيبه صيباً لغة في أصابه . والمُصِيبَةُ : النكبة ينكبها الإنسان وإن صغرت ، وتستعمل في الشر .

وروى عكرمة مرسلاً : إن مصباح النبي صلى الله عليه وسلم انطفأ ذات ليلة ، فقال : « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » ، ف قيل : أمصيبة هي يا رسول الله ؟ قال : « نَعَمْ ! كُلُّ مَا آذَى فَهُوَ مُصِيبَةٌ » .

وفي «الصححيحين»<sup>(١)</sup> من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما ، أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الْهَمُّ يَهْمُهُ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ » . والوصب : [ المرض ] والنصب : التعب .

وفي « الصححيحين »<sup>(٢)</sup> عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت :

---

(١) رواه البخاري ١٠ / ٩١ في المرضى : باب ما جاء في كفارة المرض ، ومسلم رقم (٢٥٧٣) في البر : باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض ، والترمذي رقم (٩٦٦) في الجنائز : باب ما جاء في ثواب المريض ، وأحمد في « المسند » ٢ / ٣٠٣ و ٣٣٥ و ٣ / ١٨ و ٤ و ٢٤ و ٣٨ و ٤٨ و ٨١ .  
وفي الحديث أن الأمراض ونحوها من المؤذيات التي تصيب المؤمن مطهره له من الذنوب ، وأنه ينبغي للإنسان أن لا يجمع على نفسه بين المرض والأذى وبين تقويت الثواب

(٢) رواه البخاري ١٠ / ٨٩ و ٩٠ في المرضى : باب ما جاء في كفارة المرض ، ومسلم رقم (٢٥٧٢) في البر والصلة : باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن ، والموطأ ٢ / ٩٤١ في العين : باب ما جاء في أجر المريض ، والترمذي رقم (٩٦٥) في الجنائز : باب ما جاء في ثواب المريض ، وأحمد في « المسند » ٦ / ٣٩ و ٤٢ و ٤٣ و ١٦٠ و ١٧٣ ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا عَنْهُ ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُّهَا » .

وقال الإمام أحمد : ثنا يونس ، ثنا ليث - يعني ابن سعيد - ، عن يزيد ابن عبد الله ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن المطلب ، عن أم سلمة ، قالت : أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً سررت به ، قال : « لَا تُصِيبُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مُصِيبَةٌ فَيَسْتَرْجِعَ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا ، إِلَّا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ » . قالت أم سلمة : فحفظت ذلك منه ، فلما توفي أبو سلمة استرجعت في مصيبي وقلت : اللهم أجّرني في مصيبي وأخلف لي خيراً منه - وفي لفظ : خيراً منها - ثم رجعت إلى نفسي وقلت : من أين خير لي من أبي سلمة ؟ فلما انقضت عِدَّتِي استأذن عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أدبغ إهاباً لي ، فغسلت يدي من القرظ وأذنت له ، فوضعت له وسادة من آدم حشوها ليف ، فقعد عليها ، فخطبني إلى نفسه ، فلما فرغ من مقالته قلت : يا رسول الله ! ما بي أن لا تكون بك الرغبة ، ولكنني امرأة في غير شديدة ، فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذبني الله به ، وأنا امرأة قد دخلت في السن ، وأنا ذات عيال ، فقال : « أَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْغَيْرَةِ فَسَوْفَ يُذْهِبُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْكَ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ السِّنِّ فَقَدْ أَصَابَنِي مِثْلُ مَا أَصَابَكَ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْعِيَالِ فَإِنَّمَا عِيَالُكَ عِيَالِي » ، قالت : فقد سلمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتزوجها رسول الله ، فقالت أم سلمة بعد : أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه : رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد روي هذا الحديث بعدة طرق في الصحاح والمسانيد ، وسيأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى (١) .

(١) رواه مسلم رقم (٩١٨) في الجنائز : باب ما يقال عند المصيبة ، و«الموطأ» ١ / ٢٣٦ في =



## فصل

وقد جعل الله كلمات الاسترجاع وهي قول المصاب : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ملجأً وملاذاً لذوي المصائب ، وعصمة للممتحنين من الشيطان ، لئلا يتسلط على المصاب فيوسوس له بالأفكار الرديئة ، فيهيح ما سكن ، ويظهر ما كمن ، فإذا لجأ إلى هذه الكلمات الجامعات لمعاني الخير والبركة .

فإن قوله : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ توحيد وإقرار بالعبودية والملك ، وقوله : ﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ إقرار بأن الله يهلكنا ثم يبعثنا فهو إيمان بالبعث بعد الموت ، وهو إيمان أيضاً بأن له الحكم في الأولى ، وله المرجع في الآخرة ، فهو من اليقين ، أن الأمر كله لله فلا ملجأً منه إلا إليه .

وروى مسلم في « صحيحه »<sup>(١)</sup> من حديث أم سلمة رضي الله عنها ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا . . . » الحديث .

وروى مسلم<sup>(٢)</sup> أيضاً عن أم سلمة ، قالت : قال رسول الله صلى الله

---

= الجنائز : باب جامع الحسبة في المصيبة ، وأبوداود رقم (٣١١٩) في الجنائز : باب ما يستحب أن يقال عند المات من الكلام ، والترمذي رقم (٣٥٠٦) في الدعوات : باب رقم ٨٨ .

قوله : « وَأَخْلِفْ لِي » : قال أهل اللغة : يقال لمن ذهب له مال أو ولد أو قريب أو شيء يتوقع حصوله مثله : أخلف الله عليك ، أي رد عليك مثله . فإن ذهب ما لا يتوقع مثله ، بأن ذهب والد أو عم ، أو أخ ، لمن لا جد له ولا والد له ، قيل له : خلف الله عليك - بغير ألف ، كأن الله خليفة منه عليك .

(١) رواه مسلم رقم (٩١٨) (٣) في الجنائز : باب ما يقال عند المصيبة .

(٢) رواه مسلم رقم (٩١٩) في الجنائز : باب ما يقال عند المريض والمات .

قوله « وَأَعْقِبْنِي » : أي بدلي وعوضني منه ، أي في مقابلته عقبى حسنة ، أي بدلاً صالحاً .

عليه وسلم : « إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ أَوْ الْمَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ » ، قالت : فلما مات أبو سلمة أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات . قال : « قُولِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَى حَسَنَةً » . فقلت ، فأعقبني الله من هو خير لي منه محمداً صلى الله عليه وسلم . هكذا روي بالشك : « إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ أَوْ الْمَيِّتَ » هذا لفظ مسلم .

وقد تقدم معنى هذا الحديث من طريق أخرى عن ابن سفيينة مولى أم سلمة عن أم سلمة ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، اللَّهُمَّ أَجْرْنِي فِي مُصِيبَتِي ، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا ، إِلَّا آجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا » . قالت : فلما توفي أبو سلمة ، قلت : مَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قالت : ثُمَّ عَزَمَ اللَّهُ لِي فَقُلْتُهَا ، فَتَزَوَّجْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> .

وروى مسلم نحوه من حديث سعد بن سعيد الأنصاري ، أخي يحيى ابن سعيد ، عن عمر بن كثير ، عن ابن سفيينة ، فذكر نحوه .

والمقصود : أن هذا تنبيه على قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٥] ، إما بالخلف كما أخلف الله تعالى لأم سلمة بدل زوجها أبي سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تبعت السنة وقالت ما أمرت به ممثلة طائعة ، إن البر له ، والخير فيما قاله الله ورسوله ، وإن الضلال والشقاء في مخالفة الله ورسوله ، فلما علمت رضي الله عنها أن كل خير في

(١) رواه مسلم رقم (٩١٨) (٥) في الجنايز : باب ما يقال عند المصيبة .

قولها : « ثُمَّ عَزَمَ اللَّهُ لِي » : أي خلق لي عزماً ، والعزم عقد القلب على إمضاء الأمر . قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ .

(٢) رواه مسلم رقم (٩١٨) (٤) في الجنايز : باب ما يقال عند المصيبة .

الوجود إما عام وإما خاص فهو من جهة الله ورسوله ، وأن كل شر في العالم أو كل شر مختص بالعبد فسببه مخالفة الله ورسوله ، فلما قالت هذه الكلمات حصل لها مرافقة الرسول ﷺ في الدنيا والآخرة .

وقد يحصل العبد بكلمات الاسترجاع منزلة عالية وثواباً جزيلاً ، كما في حديث أبي موسى وسيأتي ذكره ، وفيه : « فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ : مَاذَا قَالَ عَبْدِي ؟ فَيَقُولُونَ : حَمْدَكَ وَاسْتَرْجَعَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ : ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ »<sup>(١)</sup> .

وقد تقدم الاسترجاع في المصيبة وأن قائله ، عليه الصلوات من ربه والرحمة ، وهو من المهتدين . وقول عمر : نعم العدلان ونعمت العلاوة ، وأنه أراد بالعدلين الصلوات ، والرحمة ، وبالعلاوة الهداية والله أعلم . وقيل : المراد استحقاق الثواب ، وتسهيل المصائب ، وتخفيف الحزن . ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ فالصلاة من الله الرحمة ، ومن الملائكة الاستغفار ، ومن الأدمي التضرع والدعاء . وقال أبو العالية : صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء ، وظاهر الآية - والله أعلم - أن الصلاة من الله غير الرحمة ، فإنه تعالى عطف الرحمة على الصلاة ، فعلم التغاير .

## فصل

### في تسلية أهل المصائب بالعلاج الإلهي والنبي

فَالْإِلَهِي قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ

---

(١) رواه الترمذي رقم (١٠٢١) في الجنايز : باب فضل المصيبة إذا احتسب ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٤ / ٤١٥ ، وابن حبان في صحيحه (٧٢٦) « موارد » وغيرها ، وفي سنده أبو سنان وإسمه عيسى بن سنان القسمل ، وهو لين الحديث كما قال الحافظ في « التقريب » ، ولكن له شواهد بمعناه يرتقي بها ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وقال ابن علان في « الفتوحات الربانية على الأذكار النووية » ٣ / ٢٩٦ : قال الحافظ - يعني ابن حجر - : الحديث حسن . وهو حديث حسن بمجموع طرقه . انظر « الأحاديث الصحيحة » (١٤٠٨) .

قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٥﴾ [البقرة : ١٥٥ - ١٥٦] . وآيات الصبر كثيرة جداً .

والنبوي قوله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا ، إِلَّا آجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا » ، وقد تقدم ، وأمثال ذلك من الأحاديث .

وقد تضمنت هذه الكلمة ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ علاجاً من الله ورسوله لأهل المصائب . فإنها من أبلغ علاج المصائب وأنفعه للعبد في عاجله وآجله ، فإنها تتضمن أصليين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلي عن مصيبته .

أحد الأصلين : أن يتحقق العبد ان نفسه وأهله وماله وولده ملك لله عز وجل حقيقةً ، وقد جعله الله عند العبد عارية ، فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ عاريته من المستعير ، وأيضاً : فإنه محفوف بعدمين ، عدم قبله وعدم بعده ، وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير .

وأيضاً : فإنه ليس هو الذي أوجده عن عدم ، حتى يكون ملكه حقيقةً ، ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده ، ولا يبقى عليه وجوده فليس له فيه تأثير ولا ملك حقيقي . وأيضاً فإنه متصرف فيه بالأمر ، تصرف العبد المأمور المنهي ، لا تصرف الملاك ، ولهذا لا يباح له من التصرفات فيه إلا ما وافق أمر ماله الحقيقي .

والثاني : أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق ، ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره ، ويأتي ربه يوم القيامة فرداً ، كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ، ولكن يأتيه بالحسنات والسيئات . فإذا كانت هذه

بداية العبد وما خوله فيه ، ونهايته وحاله فيه ، فكيف يفرح العبد بولد أو مال أو غير ذلك من متاع الدنيا ، أم كيف يأسى على مفقود ، ففكرة العبد في بدايته ونهايته من أعظم علاج المصائب .

ومن علاجه أن يعلم علم اليقين ان ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطاه لم يكن ليصيبه . قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿ [ الحديد : ٢٢ - ٢٣ ] ، ومن تأمل هذه الآية الكريمة وجد فيها شفاء أدواء المصائب ، وكل ما ذكرناه في هذا الفصل ، فهو في هذه الآية ، فتدبر ذلك .

## فصل

ومن تسلية أهل المصائب : أن ينظر المصاب في كتاب الله وسنة رسول الله ، فيجد أن الله تعالى أعطى لمن صبر ورضي ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة ، وأنه لو شاء لجعلها أعظم مما هي .

ومن أنفع الأمور للمصاب : أن يطفىء نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب ، وليعلم أنه في كل قرية ومدينة بل في كل بيت من أصيب ، فمنهم من أصيب مرة ، ومنهم من أصيب مراراً ، وليس ذلك بمنقطع حتى يأتي على جميع أهل البيت ، حتى نفس المصاب ، فيصاب ، أسوة أمثاله ممن تقدمه ، فإنه إن نظر يمناً فلا يرى إلا محنة ، وإن نظر يسرة فلا يرى إلا حسرة .

وذكر أبو الفرج بن الجوزي بإسناده عن عبد الله بن زياد ، قال : حدثني بعض من قرأ في الكتب : أن ذا القرنين لما رجع من مشارق الأرض ومغاربها وبلغ أرض بابل مرض مرضاً شديداً ، فلما أشفق أن يموت كتب إلى أمه : يا أماه : اصنعي طعاماً واجمعي من قدرت عليه ، ولا يأكل طعامك من أصيب

بمصيبة ، واعلمي هل وجدت لشيء قراراً باقياً ، وخيالاً دائماً ! إني قد علمت يقيناً أن الذي أذهب إليه خير من مكاني ، قال : فلما وصل كتابه صنعت طعاماً ، وجمعت الناس ، وقالت : لا يأكل هذا من أصيب بمصيبة ، فلم يأكلوا ، فعلمت ما أراد ، فقالت : من يبلغك عني أنك وعظمتني فاتعظت ، وعزيتني فتعزيت ، فعليك السلام حياً وميتاً .

فإذا علم المصاب أنه لو فتش العالم لم يرَ فيهم إلا مبتلى ، إما بفوات محبوب ، أو حصول مكروه ، فسروا الدنيا أحلام نوم ، أو كظل زائل ، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً ، وإن سرّت يوماً ساءت دهرًا ، وإن تمتعت قليلاً منعت طويلاً ، وما ملأت داراً حبرة إلا ملأتها عبرةً ، وما حصلت للشخص في يوم سروراً ، إلا خُبات له في يوم شروراً .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : لكل فرحةٍ ترحه ، وما ملئ بيتاً فرحاً إلا ملئ ترحاً .

وقال ابن سيرين : ما كان ضحكٌ قط إلا كان بعده بكاءٌ .

فليعلم العبد : أن فوت الصبر والتسليم وهو الصلاة والرحمة والهداية في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ \* أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿ [ البقرة : ١٥٦ - ١٥٧ ] - وقد تقدم ذلك فيما ضمنه الله على الصبر والاسترجاع - أعظم من المصيبة في الحقيقة ، والله أعلم .

## فصل

[ في أن مرارة الدنيا هي حلاوة في الآخرة ]

ومن تسلية أهل المصائب : أن ينظر العبدُ بعين بصيرته ، فليعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة في الآخرة ، يقبلها الله تعالى ، وحلاوة الدنيا هي بعينها مرارة في الآخرة ، ولأن ينتقل من مرارة منقطعةٍ إلى حلاوةٍ دائمةٍ ،

خير من عكس ذلك ، فإن خفي عليك ذلك فانظر إلى قول الصادق المصدوق وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » (١) .

وكذلك قوله في « الصحيح » : « يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيَصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً فَيَقَالُ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ » الحديث (٢) .

وهذا المقام تتفاوت فيه عقول الناس ، وتظهر حقائق الرجال ، فأكثر أهل زماننا يؤثر الحلاوة المنقطعة على الحلاوة الدائمة التي لا تزول ، ولم يحتمل مرارة ساعة لحلاوة الأبد ، ولا ذل ساعة لعز الأبد ، ولا محنة ساعة لعافية الأبد ، فإن الحاضر عنده شهادة ، والمنتظر غيب ، والإيمان ضعيف ، وسلطان الشهوة حاكم ، فتولد من ذلك إثارة العاجلة ورفض الآخرة ، وهذا حال النظر الواقع على ظواهر أكثر أهل زماننا في أوائل أمورهم ومبادئها ، وما ذاك إلا لحبهم هذه الحياة الدنيا .

قال وهب بن منبه : كان عيسى بن مريم عليه السلام يقول : بحق أقول لكم ، إن أشدكم حباً للعالم أشدكم جزعاً على المصيبة .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٨٢٢) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، والترمذي رقم (٢٥٥٩) في صفة الجنة : باب ما جاء حُفَّتِ الجنة بالمكاره ، وأحمد في « المسند » ١٥٣/٣ و ٢٥٤ و ٢٨٤ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .  
قوله « بالمكاره » : جمع مكره ، وهو ما يكرهه الإنسان ويشق عليه ، والكُرْه بالضم والفتح : المشقة .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٨٠٧) في المنافقين : باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار ، صبغ أشدهم بُؤْسًا في الجنة ، وأحمد في « المسند » ٢٠٣/٣ و ٢٥٣ من حديث أنس رضي الله عنه .  
قوله : « فيصبغ في النار صبغة » : أي يغمس غمسة ، قوله : « بُؤْسًا » : البؤس هو الشدة .

وأما النظر الثاقب الذي يخرق حجب العاجلة ، ومحاورة العواقب والغايات فله شأن آخر ، فادع نفسك إلى ما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته من النعيم المقيم ، والسعادة الأبدية والفوز الأكبر ، وما أعد الله لأهل البطالة والإضاعة من الخزي والخسران والعذاب الدائم ، ثم اختر أي القسمين أليق بك ، وكُلْ يعمل على شاكلته ، وكل أحد يذهب إلى ما يناسبه ، وما هو الأولى به ، وهذا نصح أخيك فيما يحسن بك ويسليك .

## فصل

ومن تسلية أهل المصائب : أن يستعينوا بالله ويتكلوا عليه ، ويتعزوا بعزاء الله تعالى ، ويمثلوا أمره في الاستعانة بالصبر والصلاة ، ويعلموا أن الله مع الصابرين ، ويطلبوا استنجاز ما وعد الله به عباده على الصبر .

وفي حديث أنس بن مالك قال : ألا أحدثكم بحديث لا يحدثكم به أحد غيري ؟ كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوساً فضحك فقال : « تَدْرُونَ مِمَّا ضَحِكْتُ ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْضِي لَهُ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ » (١) .

وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده ، قال : قال إبراهيم بن داود : قال بعض الحكماء : إن لله عبداً يستقبلون المصائب بالبشر ، قال : فقال : أولئك الذين صفت من الدنيا قلوبهم ، ثم قال : قال وهب بن منبه : وجدت في زبور داود : يقول الله تعالى : « يَا دَاوُدُ هَلْ تَدْرِي مَنْ أَسْرَعَ النَّاسِ مَمَرًا عَلَى الصِّرَاطِ ؟ الَّذِينَ يَرْضَوْنَ بِحُكْمِي وَأَلْسِنَتُهُمْ رَطْبَةٌ مِنْ ذِكْرِي » .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٣ / ١١٧ و ١٨٤ وابن حبان رقم (١٨١٤) « موارد » ، وكذلك رواه أبو يعلى لكنه قال : تبسم رسول الله ﷺ ثم ذكره . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٧ / ٢١٠ : رجال أحمد وأحد أسانيد أبي يعلى رجاله رجال الصحيح غير أبي بحر ثعلبة ، وهو ثقة . ، وهو حديث صحيح انظر « الأحاديث الصحيحة » (١٤٨) .



فالمؤمن الموفق - نسأل الله تعالى حسن التوفيق - من يتلقى المصيبة بالقبول ، ويعلم أنها من عند الله لا من عند أحد من خلقه ، ويجتهد في كتمانها ما أمكن .

قال عبد العزيز بن أبي رواد : ثلاثة من كنوز الجنة : كتمان المصيبة ، وكتمان المرض ، وكتمان الصدقة .

وقال بعض السلف : ثلاثة يمتحن بها عقول الرجال : كثرة المال ، والمصيبة ، والولاية .

وقال عبد الله بن محمد الهروي : من جواهر البرِّ كتمان المصيبة حتى يظن أنك لم تصب قط .

وقال عون بن عبد الله : الخير الذي لا شر معه : الشكر مع العافية والصبر مع المصيبة .

## فصل

ومن أعظم المصائب : المصيبة في الدين ، فهي من أعظم مصائب الدنيا والآخرة ، وهي نهاية الخسران الذي لا ربح معه ، والحرمان الذي لا طمع معه .

وقد حكى ابن أبي الدنيا عن شريح أنه قال : إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات وأشكره ، إذ لم تكن أعظم مما هي ، وإذ رزقني الصبر عليها ، وإذ وفقني الاسترجاع ، لما أرجوه فيه من الثواب ، وإذ لم يجعلها في ديني .

ومن أعظم المصائب في الدين : موت النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم ، لأن بموته صلى الله عليه وسلم انقطع الوحي من السماء إلى يوم القيامة ، وانقطعت النبوات ،

وكان موته أول ظهور الشر والفساد ، بارترداد العرب عن الدين ، فهو أول انقطاع عُرَى الدين ونقصانه ، وفيها غاية التسلية عن كل مصيبة تصيب العبد ، وغير ذلك من الأمور التي لا أحصيها .

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : « مَا نَفَضْنَا أَيْدِينَا مِنَ التُّرَابِ مِنْ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا » رواه ابن ماجه (١) .

وإذا أردت أن تعلم أن المصيبة به صلى الله عليه وسلم أعظم من كل مصيبة حدثت في الدين ؛ فانظر إلى ما روي عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّمَا أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِهِ بِي عَنْ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تُصِيبُهُ بِغَيْرِي ، فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي » وهذا من رواية موسى بن عبيدة ، وقد ضعفه غير واحد من الأئمة (٢) .

لكن روى أبو عمر بن عبد البر بإسناده من حديث عطاء بن أبي رباح مرسلًا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصَابَهُ بِي ، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ » ورواه الحافظ ابو نعيم من هذه الطريق أيضاً ومن طريق أخرى عن مكحول مرسلًا نحوه (٣) .

ولقد أحسن أبو العتاهية في نظمه موافقاً لهذا الحديث حيث يقول :

اضْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلَّدِ وَأَعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ

(١) رقم (١٦٣١) في الجنايز : باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ ، وإسناده حسن .

(٢) رواه ابن ماجه رقم (١٥٩٩) في الجنايز : باب ما جاء في الصبر على المصيبة ، وفي سنده موسى بن عبيدة الربذي ، وهو ضعيف ، وهو حديث صحيح بشواهده . انظر «الأحاديث الصحيحة» (١١٠٦) .

(٣) رواه الدارمي رقم (٨٥) في المقدمة : باب في وفاة النبي ﷺ من حديث مكحول ، ورقم (٨٦) من حديث عطاء وهو ضعيف . قال المناوي في «فيض القدير» ٢٨٦/١ : لكن له شواهد .

وقال الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٤٤) : حديث صحيح .

وعزه لابن عدي في «الكامل» و«البيهقي في «شعب الإيمان» من حديث ابن عباس ، وللطبراني في «الكبير» عن سابط الجمحي انظر الأحاديث الصحيحة رقم (١١٠٦) .

أَوْ مَا تَوَيَّ أَنْ الْمَصَائِبَ جَمَّةٌ      وَتَرَى الْمَنِيَّةَ لِلْعِبَادِ بِمَرَصَدٍ  
مَنْ لَمْ يَصِبْ مِمَّنْ تَرَى بِمُصِيبَةٍ      هَذَا سَيْلٌ لَسْتُ عَنْهُ بِأَوْحِدٍ  
فَإِذَا ذَكَرْتَ مُحَمَّدًا وَمُصَابَهُ      فَاجْعَلْ مُصَابِكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

وفي رواية :

وَإِذَا ذَكَرْتَ مُصِيبَةً تَسْلُو بِهَا      فَادْكُرْ مُصَابَكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ  
وإذا أردت أن تعلم تغير الأحوال بموت النبي صلى الله عليه وسلم  
فاذكر قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ  
انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ الآية [ آل عمران : ١٤٤ ] ، ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ ﴾ شرط  
﴿ أَوْ قُتِلَ ﴾ عطف عليه ، والجواب ﴿ انْقَلَبْتُمْ ﴾ ودخل ألف الاستفهام على  
حرف الجر لأن الشرط قد انعقد به وصار جملة واحدة ، وخبراً واحداً ،  
والمعنى : أفتنقلبون على أعقابكم إن مات أو قتل ، يقال لمن عاد إلى ما كان  
عليه : انقلب على عقبيه ، وقيل : المعنى فعلتم فعل المرتدين ؛ ومنه انقلب  
على عقبيه ، وقول أنس وقد تقدم .

وروى ابن ماجه<sup>(١)</sup> من حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم  
قالت : « كَانَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ  
الْمُصَلِّي لَمْ يَعُدْ بَصْرُ أَحَدِهِمْ مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ ، فَتُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،  
وكان أبو بكر رضي الله عنه ، فكان الناس إذا قام أحدهم يُصَلِّي لَمْ يَعُدْ  
بَصْرُ أَحَدِهِمْ مَوْضِعَ الْقِبْلَةِ ، فَتُوفِّي أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَكَانَ  
النَّاسُ إِذَا قَامَ أَحَدُهُمْ يُصَلِّي لَمْ يَعُدْ بَصْرُ أَحَدِهِمْ مَوْضِعَ الْقِبْلَةِ ، فَكَانَ عُثْمَانُ

(١) رقم (١٦٣٤) في الجنايز : باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ . وفي إسناده موسى بن عبد الله بن أمية  
المخزومي ، وهو مجهول كما قال الحافظ في « التقريب » ٢٨٥ / ٢ .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَكَانَتْ الْفِتْنَةُ ، فَتَلَفَتِ النَّاسُ فِي الصَّلَاةِ يَمِينًا وَشِمَالًا »  
وإسناده مقارب .

والمقصود أن المصائب تتفاوت ، فأعظمها المصيبة في الدين - نعوذ  
بالله من ذلك - هي أعظم من كل مصيبة يصاب بها الإنسان ، يؤيد ذلك أنه  
قد جاء في بعض الآثار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الْمَسْلُوبُ مَنْ  
سُلِبَ دِينُهُ ، وَالْمَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ الْأَجْرُ » . ثم بعد مصيبة الدين المصيبة في  
النفس ، ثم في المال ؛ أما المال فيخلفه الله تعالى وهو فداء الأنفس ،  
والنفس فداء الدين ، والدين لا فداء له . قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ  
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ  
يَسِيرٌ ﴾ [ الحديد : ٢٢ ] .

## فصل

ومن أعظم البشارات لمن أصيب بمصيبة فذكرها بعد مدة طويلة ،  
فجدد لها استرجاعاً وصبراً ، ما له عند الله من الأجر كلما ذكرها واسترجع .

قال الإمام أحمد في « مسنده » : ثنا يزيد وعباد بن عباد ، قالا : حدثنا  
هشام ابن أبي هشام ، ثنا عباد بن زياد ، عن أمه ، عن فاطمة بنت الحسين ،  
عن أبيها الحسين بن علي رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ وَلَا مُسْلِمَةٍ يُصَابُ بِمُصِيبَةٍ فَيَذْكُرَهَا وَإِنْ طَالَ عَهْدُهَا - قال  
عباد : قدم عهدها - فَيُحْدِثُ لِذَلِكَ اسْتِرْجَاعاً إِلَّا جَدَّدَ اللَّهُ لَهُ عَنْهُ ذَلِكَ ، فَأَعْطَاهُ  
مِثْلَ أَجْرِهَا يَوْمَ أُصِيبَ بِهَا »<sup>(١)</sup> .

ورواه ابن ماجه من حديث فاطمة بنت الحسين أيضاً ولفظه ؛ إن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَذَكَرَ مُصِيبَتَهُ فَلْيُحْدِثْ

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٢٠١/١ وإسناده ضعيف ، قال الهيثمي في « مجمع الزوائد »

٣٣١/٢ : رواه الطبراني في « الأوسط » [ (٢٧٨٩) ] وفيه هشام بن زياد أبو المقدام وهو ضعيف

اسْتَرْجَاعاً وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلَهُ يَوْمَ أُصِيبَ » لكن في إسناده مقال (١) .

قال سعيد بن جبير : ما أعطي أحد في المصيبة ما أعطى هذه الأمة - يعني ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ - ولو أعطي أحد لأعطي نبي الله يعقوب عليه السلام ألم تسمع إلى قوله في فقد يوسف ﴿ يَا أَسْفَا نَلِيْ يُّوسُفَ ﴾ [ يوسف : ٨٤ ] أولئك أصحاب هذه الصفة ، ﴿ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ .

## فصل

ومن تسلية أهل المصائب : أن ينظر المصاب ويفرق بين أعظم اللذتين والمتمتعين تمتع الحياة الدنيا الفانية ، وتمتع الدار الآخرة الباقية ، وأدومهما لذة وتمتعاً بما أصيب به ، ولذة تمتعه بثواب الله له على قوله وفعله من استرجاع وصبر ونحوه ؛ فإن ظهر له الرجحان فأثر الراجح فليحمد الله على توفيقه له . وإن أثر المرجوح من كل وجه فليعلم أن مصيبته في عقله وقلبه ودينه ، أعظم من مصيبته التي أصيب بها في دنياه . وأي نسبة بين تمتعه بمحبوبه في هذه الدار التي قال الله تعالى في حقها من أولها إلى آخرها : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [ النساء : ٧٧ ] ، وأي شيء حصل له من القليل ؟ فمن أثر جزءاً قليلاً من قليل ينفد ، على جزء كثير من كثير لا ينفد ، فقد اغتيل عقله .

قال بعض الحكماء : يحسب الجاهل الشيء الذي هو لا شيء ، شيئاً ، والشيء الذي هو الشيء لا شيء ، ومن لا يترك الشيء الذي هو لا شيء ، لا ينال الشيء الذي هو الشيء ، ومن لا يعرف الشيء الذي هو الشيء ، لا

---

(١) رقم (١٦٠٠) في الجنايز : باب ما جاء في الصبر على المصيبة ، قال البوصيري في « الزوائد » : في إسناده ضعف ، لضعف هشام بن زياد . وقد اختلف الشيخ هل هو روى عن أبيه أو عن أمه ، ولا يعرف لهما حال . قيل : ضعفه الإمام أحمد ، وقال ابن حبان : روى الموضوعات عن الثقات . قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٥٤٤٢) : ضعيف جداً .

يترك الشيء الذي هو لا شيء ، يريد الدنيا والآخرة ، ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب « ذم الدنيا » .

## فصل

ومما يسلي المصاب : أن يوطن نفسه على أن كل مصيبة تأتيه هي من عند الله وأنها بقضائه وقدره ، وأنه سبحانه وتعالى لم يقدرها عليه ليهلكه بها ، ولا ليعذبه ، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره ورضاه ، وشكواه إليه وابتهاله ودعائه ؛ فإن وفق لذلك كان أمر الله قدراً مقدوراً ، وإن حرم ذلك كان ذلك خسراناً مبيناً .

قال أبو الفرج ابن الجوزي : علاج المصائب بسبعة أشياء :

الأول - أن يعلم بأن الدنيا دار ابتلاء ، والكرب لا يرجى منه راحة .

قال الشاعر :

وَمَا اسْتَغْرَبْتُ عَيْنِي فِرَاقاً رَأَيْتُهُ      وَلَا عَلَّمْتَنِي غَيْرَ مَا الْقَلْبُ عَالِمُهُ

الثاني - أن يعلم أن المصيبة ثابتة .

الثالث - أن يقدر وجود ما هو أكثر من تلك المصيبة .

الرابع - النظر في حال من ابتلي بمثل هذا البلاء ، فإن التأسي راحة عظيمة .

قالت الخنساء :

وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي      عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي  
وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ      أَعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأْسِي

وهذا المعنى قد حرمه الله عز وجل أهل النار ، فإن المخلدين فيها كل واحد محبوس وحده ، فهو يظن أنه لم يبق في النار سواه .

الخامس - النظر في حال من ابتلي أكثر من هذا البلاء، فيهون عليه هذا.  
السادس - رجاء الخلف إن كان من مضى يصح عنه الخلف كالولد والزوجة .

قيل للقمان عليه السلام : ماتت زوجتك ؟ قال : تجدد فراشي .  
قال الشاعر :

هَلْ وَصَلُ عَزَّةً إِلَّا وَصَلُ غَايَةٍ فِي وَصَلِ غَايَةٍ مَنْ وَصَلَهَا خَلْفُ  
السابع - طلب الأجر بالصبر في فضائله وثواب الصابرين وسرورهم في صبرهم ، فإن ترقى إلى مقام الرضى فهو الغاية . انتهى كلامه (\*) ، وقد تقدم معنى ذلك .

وما يلحق بعلاج هذه السبعة أشياء وأمور آخر :

الثامن - أن يعلم العبد كيف جرى القضاء فهو خير له .

التاسع - أن تعلم أن تشديد البلاء يخص الأخيار .

العاشر - أن يعلم أنه مملوك وليس للمملوك في نفسه شيء .

الحادي عشر - أن هذا الواقع وقع برضى المالك ، فيجب على العبد أن يرضى بما رضى به السيد .

الثاني عشر - معاتبة النفس عند الجزع ، أن هذا الأمر لا بد منه ، فما وجه الجزع مما لا بد منه .

الثالث عشر - إنما هي ساعة فكأن لم تكن .

وهذه المعاني قد تقدم ما يشبهها ويناسبها ، ويأتي ما هو أتم من ذلك ، وبالله التوفيق .

---

(\*) أي الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى .

## فصل

ينبغي للعبد أن لا ينكر في هذه الدنيا وقوع هذه المصائب على اختلاف أنواعها ، وما استخبر العقل والنقل أخبراه بأن الدنيا مارستان المصائب ، وليس فيها لذة على الحقيقة إلا وهي مشوبة بالكدر ، فكل ما يظن في الدنيا أنه شراب فهو سراب ، وعمارتها وإن حسنت صورتها خراب ، وجمعها فهو للذهاب ، ومن خاض الماء الغمر لم يخل من بلل ، ومن دخل بين الصفيين لم يخل من وجل . فالعجب كل العجب ممن يده في سلة الأفاعي كيف ينكر اللسع ! وأعجب منه من يطلب من المطبوع على الضرر النفع .

قال بعض الأدباء :

طُبِعَتْ عَلَى كَدْرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفْوًا مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَكْدَارِ

قال أبو الفرج ابن الجوزي : ولولا أن الدنيا دار ابتلاء لم تعتور فيها الأمراض والأكدار ، ولم يضق العيش فيها على الأنبياء والأخيار ، فآدم يعاني المحن إلى أن خرج من الدنيا ، ونوح بكى ثلاثمائة عام ، وإبراهيم يكابد النار وذبح الولد ، ويعقوب بكى حتى ذهب بصره ، وموسى يقاسي فرعون ويلقى من قومه المحن ، وعيسى بن مريم لا مأوى له إلا البراري في العيش الضنك ، ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين يصابر الفقر ، وقتل عمه حمزة وهو من أحب أقاربه إليه ، ونفور قومه عنه ، وغير هؤلاء من الأنبياء والأولياء مما يطول ذكره ، ولو خلقت الدنيا للذة لم يكن حظ للمؤمن منها .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ

الْكَافِرِ » <sup>(١)</sup> فإذا بان بأنها دار ابتلاء وسجن ومحن ، فلا ينبغي إنكار وقوع المصائب فيها .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٩٥٦) في الزهد والرقائق ، والترمذي رقم (٢٣٢٥) في الزهد : باب رقم =



## فصل

ذكر أبو الفرج ابن الجوزي : في المصائب المختصة بذات الإنسان .  
قال : رأيت جمهور الناس إذا طرقتهم المرض أو غيره من المصائب اشتغلوا  
تارة بالجزع والشكوى ، وتارة بالتداوي ، إلى أن يشتد عليهم ، فيشغلهم  
اشتداده عن الالتفات إلى المصالح من وصية ، أو فعل خير ، أو تأهب  
للموت ، فكم ممن له ذنوب لا يتوب منها ، أو عنده ودائع لا يردّها ، أو عليه  
دين أو زكاة ، أو في ذمته ظلامة لا يخطر له تداركها ، وإنما حزنه على فراق  
الدنيا ، إذ لا هم له سواها ، وربما أفاق وأوصى بجور . انتهى كلامه .

وسبب ذلك ضعف الإيمان كما قال تعالى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى  
عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ ذَلِكَ مَبْغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴿ [ النجم :  
٢٩ - ٣٠ ] ، وأحدهم لا هم له إلا الدنيا ، ولا يتأسف إلا عليها ، والعين  
المتطلعة إلى الآخرة ضعيفة جداً ، وقد عم هذا أكثر الخلق في زماننا ، نعوذ  
بالله من الخذلان .

فينبغي للمتيقظ أن لا يتأسف على ما فات ، وأن يتأهب في حال صحته قبل  
هجوم المرض ، فربما ضاق الوقت عن عمل ، واستدراك فارط ، أو وصية فإن  
لم تكن له وصية في صحته فليبادر في مرضه ، وليحذر الجور في وصيته ،  
فإنه من المحرمات ، فإنه يمنع المستحق ويعطي من لا يستحق ، فيحتاج أن  
يحارب نفسه وشيطانه ؛ فقد روى أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم كان

---

= ١٦ وابن ماجه رقم (٤١١٣) في الزهد : باب مثل الدنيا ، وأحمد في « المسند » ٢ / ٣٢٣ و ٣٨٩ و  
٤٨٥ .

معناه أن كل مؤمن مسجون ، ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة ، مكلف بفعل  
الطاعات الشاقة ، فإذا مات استراح من هذا ، وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم  
والراحة الخالصة من المنغصات ، وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره  
بالمنغصات ، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد . « شرح النووي على صحيح مسلم .  
٩٣ / ١٨ » .

يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ »<sup>(٢)</sup> ويعلم أنه مملوك لله وليس له في نفسه شيء .

قال الشاعر :

صِرْتُ لَهُمْ عَبْدًا وَمَا لِلْعَبْدِ أَنْ يَعْتَرِضَا

ويعلم أيضاً أن هذا الواقع من المصائب في نفسه وماله وولده ، وقع برضى مالكة وخالقه ، فيجب على العبد أن يرضى بما يرضى به السيد ، ويعاقب نفسه إذا جزعت ، ويقول لها : أما علمت أن هذا لا بد منه ، فما وجه الجزع ، وإنما هي ساعة كأن لم يكن ما كان ، ومن تلمح العواقب هان عليه مرارة الدواء ، والله تعالى موفق .

قال بعض السلف : رأيت جمهور الناس ينزعجون لنزول البلاء انزعاجاً يزيد على الحد ، كأنهم ما علموا أن الدنيا على ذا وضعت ، وهل ينتظر الصحيح إلا السقم ، والكبير إلا الهرم ، والموجود سوى العدم .

قال الشاعر :

عَلَى ذَا مَضَى النَّاسُ : اجْتِمَاعٌ ، وَفِرْقَةٌ وَمَيِّتٌ ، وَمَوْلُودٌ ، وَبُشْرٌ وَأَحْزَانٌ  
ثم قال : ولعمري إن أصل الإنزعاج لا ينكر ؛ إذ الطبع مجبول على

---

(١) قطعة من حديث رواه : ابو داود رقم (١٥٥٢) في الوتر : باب في الإستعاذة ، والنسائي ٨ / ٢٨٢ - ٢٨٣ في الإستعاذة : باب الاستعاذة من التردى والهدم ، وأحمد في « المسند » ٣ / ٤٢٧ من حديث أبو اليسر كعب بن عمر والأنصاري . وهو حديث صحيح . قال الخطابي رحمه الله تعالى : استعاذته من تحبط الشيطان عند الموت ، هو أن يستولي عليه الشيطان عند مفارقتها الدنيا ، فيصله ويحول بينه وبين التوبة ، أو يعوقه عن إصلاح شأنه والخروج من مظلمة تكون قبله ، أو يؤيسه من رحمة الله ، أو يتكره الموت ويتأسف على حياة الدنيا ، فلا يرضى بما قضاه الله من الغناء والنقلة إلى الدار الآخرة ، فيختم له بالسوء ، ويلقي الله وهو ساخط عليه ، وقد روي أن الشيطان لا يكون في حال أشد على ابن آدم منه في حال الموت ، ويقول لأعوانه : دونكم هذا ، فإن فاتكم اليوم لم تلحقوه ، بالله نعوذ من شره ، ونسأله أن يبارك لنا في ذلك المصراع ، وأن يختم لنا بخير .

الأمن من حلول المنايا ، وإنما الإفراط فيه والتكليف ، كمن يخرق ثيابه ويلطم وجهه ويعترض على القدر ؛ فإن هذا لا يرد فائتاً ، لكنه يدل على خور الجازع ، ويوجب العقوبة . والسلام .

## فصل

وليعلم أهل المصائب أنه لولا محن الدنيا ومصائبها ، لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً ؛ فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقد في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدواء ، وحفظاً لصحة عبوديته ، واستفراغاً للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة ، فسبحان من يرحم ببلائه ، ويبتلي بنعمائه . كما قيل :

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبَلَوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَتَّبِلِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ

فلولا أنه سبحانه وتعالى يداوي عباده بأدوية المحن والإبتلاء ، لطغوا وبغوا وعتوا وتجبروا في الأرض ، وعاثوا فيها بالفساد ، فإن من شيم النفوس إذا حصل لها أمرٌ ونهي ، وصحة وفراغ ، وكلمة نافذة من غير زاجر شرعي يزجرها ، تمردت وسعت في الأرض فساداً مع علمهم بما فعل بمن قبلهم ، فكيف لو حصل لهم مع ذلك إهمال ! ولكن الله سبحانه وتعالى إذا أراد بعبده خيراً سقاه دواءً من الإبتلاء والامتحان على قدر حاله ، يستفرغ منه الأدواء المهلكة ، حتى إذا هذب ونقاها وصفّاه ، أهله لأشرف مراتب الدنيا وهي عبوديته ، ورقاه أرفع ثواب الآخرة وهي رؤيته .

## فصل

قد يحصل للعابد الجاهل بمصيبته من الجزع ما يسوء الناظر إليه ، والسامع عنه ، من الاعتراض على الأقدار ، وما ذاك إلا لإدلاله بعبادته ، فإنه قد شوهده أن خلقاً كثيراً من أهل الدين والخير عند موت أحبائهم جرى منهم

أمر ينكرها العُقَالُ من الناس ، فمنهم من خرق ثيابه ، ومنهم من لطم خده ، ومنهم من اعترض على القضاء والقدر .

قال ابن الجوزي : رأيت رجلاً كبيراً أعرفه قد قارب الثمانين ، وهو من أهل الدين المحافظين على الجماعة ، فمات ولدٌ لابنته ، فقال : ما ينبغي لأحد أن يدعو فإنه ما يستجيب له ، ثم قال : إن عاندنا فما يترك لنا ولداً ، فعلمت أن صلاته وفعله للخير عادة ، لا أنه ينشأ عن معرفة إيمان ، وهؤلاء الذين يعبدون الله على حرف . ثم قال ابن الجوزي : حدثني خالي لعمي محمد بن عثمان قال : كنت مشدداً بقرية التل ، فسمعت عن شيخ قد جاوز الثمانين ولا يصلي ، وقد كان قبل ذلك كثير الصلاة مع الجماعة وفعل الخير ، ثم ترك ذلك ، فدعوته وقلت : يا شيخ ! لم لا تصلي ؟ فقال : وكيف أصلي وكان لي أولاد فماتوا ، وكان لي غنم ففנית ، فأنا ما بقيتُ أصلي له ولا ركعة . فضربته وطفت به البلد ، فكان بعد ذلك يواظب على الجامع . انتهى ما ذكره .

فلا شيء أنفع من العلم ، لأن العالم لو حصل له هلع شديد في مصيبته يعلم أنها زلة منه ، فيدري كيف يتنفس ، والعابد الجاهل كلما غاص إلى أسفل يظن أنه صاعد إلى فوق ، فإذا امتحن الشخص ينبغي له أن يتداوى بالأدوية الشرعية ، فإنه يقال : عند الامتحان يكرم الشخص أو يهان ، أما علم أنه لا بد من الفرقة ؟

وقد روى داود عن الحسن بن جعفر عن أبي الزبير عن جابر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قَالَ جَبْرِيلُ : يَا مُحَمَّدُ عِشْ مَا عِشْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ ، وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُلَاقِيهِ » (١) .

---

(١) هو جزء من حديث رواه الطبراني في « الأوسط » من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، قال : « جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد ! عِشْ مَا شِئْتَ ، فَإِنَّكَ =

فنعوذ بالله من عدم الصبر عند المحنة ، ونسأله الثبات في الأمر ؛ فإنه والعياذُ بالله يُخاف على الشخص من سوء الخاتمة إذا سخط الأقدار ، ونازع القضاء والقدر أهله ؛ فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة .

## فصل

ينبغي للمصاب بنفسه ، أو بولده ، أو بغيرهما ، أن يجعل في المرض مكان الأنين ذكر الله تعالى ، والاستغفار والتعبد ؛ فإن السلف رحمهم الله تعالى كانوا يكرهون الشكوى إلى الخلق ، وهي وإن كان فيها راحة إلا أنها تدل على ضعف وخور ، والصبر عنها دليل قوة وعز ، وهي إشاعة سر الله تعالى عند العبد ، وهي تؤثر شماتة الأعداء ورحمة الأصدقاء .

قال الشاعر :

لَا تَشْكُونَ إِلَى صَدِيقٍ حَالَةً      تَأْتِيكَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ  
فَلِرَحْمَةِ الْمُتَوَجِّعِينَ مَرَارَةً      فِي الْقَلْبِ مِثْلُ شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ

وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده إلى إسماعيل بن عمرو قال : دخلنا على ورقاء بن عمر وهو في الموت ، فجعل يهلل ويكبر ويذكر الله عز وجل ، وجعل الناس يدخلون عليه ويسلمون عليه فيرد عليهم السلام ، فلما كثروا عليه أقبل على ابنه فقال : يا بني ! اكفني ردَّ السلام على هؤلاء لا يشغلوني عن ذكر ربي عز وجل .

وعن أبي محمد الحريري قال : حضرتُ عند الجنيد قبل وفاته بساعتين فلم يزل تالياً وساجداً ، فقلت له : يا أبا القاسم قد بلغ ما أرى من الجهد ! فقال : يا أبا محمد ! أحوج ما كنتُ إليه هذه الساعة ؛ فلم يزل كذلك حتى فارق الدنيا .

---

= ميت ، واعمل ما شئت فإنك مجزي به ، وأحب ما شئت فإنك مفارقه » ، وهو حديث حسن بشواهد . انظر « الأحاديث الصحيحة » للألباني رقم ( ٨٣١ ) .

وقد روي في حديث أن إبليس لا يكون في حال أشد منه على ابن آدم عند الموت ، يقول لأعوانه : دونكموه فإنه إن فاتكم اليوم لم تلحقوه .

واعلم رحمك الله أن الأعمال بخواتيمها ؛ فإنه ربما أضله في اعتقاده ، وربما حيل بينه وبين التوبة ، وغير ذلك مما هو محتاج إليه ، وربما وقع منه الاعتراض على القضاء والقدر ؛ فينبغي للمصاب بنفسه أو غيره أن يعلم أو يعلم لغيره أنها صبرُ ساعة ، فيتجلد ويحارب العدو جهد طاقته ، فبصدقه تحصل له عليه الإعانة من الله ؛ ويعلم أيضاً أن التشديد عليه أو على غيره في النزع هو في الغالب من كرامة العبد على الله عز وجل ؛ فإن أشد الناس بلاءً الأنبياء ، ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « مَا أَشَدَّ مَرَارَةَ الْمَوْتِ » وقول أبي عبيدة : اخنق خنقك فوعزتكَ إنك تعلم أن قلبي يحبك .

وقد روى الإمام أحمد عن الوليد بن مسلم الأوزاعي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : ما أحب أن يهون عليّ سكرات الموت فإنه آخر ما يكفر عن المرء المسلم .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثني معمر ، حدثني شريك ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن إبراهيم النخعي ، قال : كانوا يستحبون للمريض أن يجهد عند الموت .

وبإسناده عن ابن عباس قال : آخرُ شدة يلقاها المؤمن عند الموت .

كانت عائشة رضي الله عنها تقول : مات فلانٌ ولم يعالج . قال الخافظ ابن ناصر : يعني أنه لم يعالج أنه لم يحصل له في مرضه وعند موته ما يكون كفارة لذنوبه .

وعن ثابت ، عن أنس بن مالك رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه

وسلم دخل على شاب وهو في النزاع ، فقال : « كَيْفَ تَجِدِكَ ؟ » قال : أرجو الله وأخاف ذنوبي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبٍ عَبْدٌ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْضَى أَوْ أَمَّنَّهُ مِمَّا يَخَافُ » (١) .

فمن خاف الله وحفظه في صحته حفظه في مرضه ، ومن راقب الله في خطرٍ حرسه الله في حركاته وسكناته .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ ، تَعْرِفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشَّدَّةِ » (٢) .

وكما في قصة يونس عليه السلام لما تقدم له عمل صالح قال : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ \* لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿ [ الصافات : ١٤٣ - ١٤٤ ] ، ولما لم يكن لفرعون عمل خير قط لم يجد وقت الشدة متعلقاً فقليل له : ﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [ يونس : ٩١ ] ، فمن ضيع الله في صحته فإنه يضيع في مرضه ، والله أعلم .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٩٨٣) في الجنايز : باب رقم ١١ ، وابن ماجه رقم (٤٢٦١) في الزهد : باب ذكر الموت والاستعداد له ، وهو حديث حسن . انظر «الأحاديث الصحيحة» (١٠٥١) .  
(٢) رواه أحمد في «المسند» ١/ ٢٩٣ و ٣٠٣ و ٣٠٧ من حديث الليث بن سعد عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهذا إسناده حسن ، والترمذي رقم (٢٥١٨) في صفة القيامة : باب رقم ٦٠ من حديث عبد الله بن المبارك عن الليث بن سعد وابن لهيعة ، عن قيس بن الحجاج به ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .  
قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» : وقد روي هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة من رواية ابنه علي ومولاه عكرمة وعطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار ، وعبيد الله ابن عبد الله ، وعمر مولى عفرة ، وابن أبي مليكة وغيرهم .

وقد جمع الحافظ ابن رجب طرق هذا الحديث وشرحه شرحاً وافياً في رسالة سماها : « نور الاقتباس في وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس » وهي من منشوراتنا (مكتبة دار البيان بدمشق) بتحقيقنا .

## فصل

وليعلم المصاب أن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها ، وهو في الحقيقة يزيد في مصيبته ، بل يعلم المصاب أن الجزع يشمتُ عدوه ، ويسوءُ صديقه ، ويغضب ربّه ، ويسرُّ شيطانه ، ويحبط أجره ، ويضعف نفسه . وإذا صبر واحتسب أخزى شيطانه ، وأرضى ربه ، وسر صديقه ، وساء عدوه ، وحمل عن إخوانه وعزاهم هو قبل أن يعزوه ؛ فهذا هو الثبات في الأمر الديني ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّباتَ فِي الْأَمْرِ »<sup>(١)</sup>

فهذا هو الكمال الأعظم ، لا لطم الخدود وشق الجيوب ، والدعاء بالويل والثبور ، والتسخط على المقدور .

قال بعض الحكماء : العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام ، ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم ، يريد بذلك ما ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى »<sup>(٢)</sup> .

وقال الأشعث بن قيس : إنك إن صبرت إيماناً واحتساباً وإلا سلوت كما تسلو البهائم .

---

(١) قطعة من حديث رواه الترمذي رقم (٣٤٠٤) في الدعوات : باب سؤال الثبات في الأم ، والنسائي ٣ / ٥٤ في السهو : باب نوع آخر من الدعاء ، وأحمد في « المسند » ٤ / ١٢٥ ، وابن حبان رقم (٢٤١٦) « موارد » ، من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه . وصححه الحاكم ١ / ٥٠٨ ووافقه الذهبي . وهو حديث ضعيف . انظر « تخريج الكلم » (١٠٤) .

(٢) رواه البخاري ٣ / ١٣٨ في الجنائز : باب الصبر عند الصدمة الأولى ، وباب قول الرجل للمرأة عند القبر : اصبري ، وباب زيارة القبور ، وفي الأحكام : باب ما ذكر أن النبي ﷺ لم يكن له بواب ، ومسلم رقم (٦٢٦) في الجنائز : باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى ، وأبو داود رقم (٣١٢٤) في الجنائز : باب الصبر عند الصدمة ، والترمذي رقم (٩٨٧) في الجنائز : باب ما جاء أن الصبر في الصدمة الأولى ، والنسائي ٤ / ٢٤ في الجنائز : باب الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة ، وأحمد في « المسند » ٣ / ١٤٣ ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .



بل يعلم المصاب أن ما يعقبه الصبر والاحتساب من اللذة والمسرة  
أضعاف ما يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه ، ويكفيه من ذلك بيت  
الحمد الذي يبنى له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه على مصيبته ؛  
فليُنظر أي المصيبتين أعظم ، مصيبته العاجلة بفوات محبوه ، أو مصيبته  
بفوات بيت الحمد في جنة الخلد .

وفي الترمذي مرفوعاً : « يَوَدُّ نَاسٌ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ تَقْرَضُ  
بِالْمَقَارِيطِ فِي الدُّنْيَا لِمَا يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلَاءِ »<sup>(١)</sup> .

وليعلم المصاب الجازع ، وإن بلغ به الجزع غايته ونهايته فأخر أمره إلى صبر  
الاضطرار وهو غير محمود ولا مثاب عليه ، فإنه استسلم للصبر وانقاد إليه على  
رغم أنفه .

قال يحيى بن معاذ : ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يرده عليك  
الفوت ، ومالك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت ؟

فإذا علم الجازع على المصيبة أن الجزع لا يرد ما فات ، وأنه يسر  
الشامت فأئى عقل لمن لم يتفكر في العاقبة ، ويذكر مآله إلى مصيبة أصابت  
غيره أنها تصيبه في نفسه وأنه أمر لا بد منه ، فليستعد له .

وكانت امرأة من العابدات بالبصرة تصاب بالمصائب فلا تجزع ،  
فذكروا لها ذلك ، فقالت : ما أصاب بمصيبة فأذكر معها النار إلا صارت في  
عيني أصغر من الذباب .

ومما يسلي العبد قول بعض الحكماء : قد مات كل نبي ، ومات كل  
نبيه وليب وفقه وعالم ؛ فلا تجزع ، ولا يوحشنيك طريق الخلائق فيها .

---

(١) رقم (٢٤٠٤) في الزهد : باب رقم (٥٩) ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما  
وهو حديث حسن بشواهده . انظر «الأحاديث الصحيحة» (٢٢٠٦) .

وقال بعض السلف وقد سأله رجل فقال : عظمي ؛ فقال : انظر منك الى آدم هل ترى منهم عين تطرف ؟ فقال : حسبك .

## فصل

ومما يسلي أهل المصائب : أن المصاب إذا صبر واحتسب ، وركن إلى كريم ، رجاء أن يخلف الله تعالى عليه ، ويعوضه عن مصابه ؛ فإن الله تعالى لا يخيبه بل يعوضه ، فإنه من كل شيء عوض الا الله تعالى فما منه عوض ، كما قيل :

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا ضَيَّعْتَهُ عِوَضٌ وَمَا مِنَ اللَّهِ إِنْ ضَيَّعْتَهُ عِوَضٌ

بل يعلم أن حظه من المصيبة ما يحدثه له ؛ فمن رضي فله الرضى ، ومن سخط فله السخط . فاختر لنفسك خير الحظوظ أو شرها ؛ فإن أحدثت له سخطاً وكفراً كنت في ديوان الهالكين ، وإن أحدثت له جزعاً وتفريطاً في ترك واجب أو فعل محرم كنت في ديوان المفرطين ، وإن أحدثت له شكاية وعدم صبر ورضى كنت في ديوان المغبونين ، وإن أحدثت له اعتراضاً عليه وقدحاً في حكمته ومجادلة في الأقدار ، فقد قرعت باب الزندقة ، وفتح لك وولجته ؛ فاحذر عذاب الله يحل بك ، فإنه لمن خالفه بالمرصاد .

وإن أحدثت له صبراً وثباتاً لله كنت في ديوان الصابرين ، وإن أحدثت له رضي بالله ورضى عن الله وفرحاً بقضائه كنت في ديوان الراضين ، وإن أحدثت له حمداً وشكراً كنت في ديوان الشاكرين الحامدين ، وإن أحدثت له محبة واشتياقاً إلى لقائه كنت في ديوان المحبين المخلصين .

وفي « مسند الإمام أحمد » والترمذي من حديث محمود بن لبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ » زاد الإمام أحمد : « وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ

الْجَزْعُ»<sup>(١)</sup> .

فأنفع الأدوية للمصاب موافقة ربه وإلهه فيما أحبه ورضيه له ، وإن خاصية المحبة وسرها موافقة المحبوب ؛ فمن ادعى محبة محبوب ثم سخط ما يحبه وأحب ما يسخطه فقد شهد على نفسه بكذبه ، وأسخط عليه محبوبه .

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : إن الله إذا قضى قضاءً أحب أن يرضى به .

وكان عمران بن حصين رضي الله عنه يقول في مرضه : أحبه إليَّ أحبه إليه . وقال بعده أبو العالية : وهذا دواء المحبين وعلاجهم لأنفسهم . ولا يمكن كلُّ أحد أن يتعالج به ؛ فانظر هذه الطرائق واختر ، وفقنا الله وإياك لما يحب .

## فصل

نافع لمن نظر فيه ، واردٌ فيمن يفرح بالمصائب  
ويطلبها نظراً إلى ثوابها .

روى ابن أبي حاتم بإسناده في « تفسيره » عن خالد بن يزيد ، عن عياض ، عن عقبة أنه مات له ابنٌ يقال له : يحيى ، فلما نزل في قبره قال له رجل : والله إن كان لسيد الجيش فاحتسبه ، فقال والده : وما يمنعني أن أحتسبه وكان من زينة الحياة الدنيا ، وهو اليوم من الباقيات الصالحات ؛ فهذا رجل صابر راض محتسب ، ما أحسن فهمه وحسن تعزيته لنفسه ، وثقته بما أعطاه الله من ثواب الصابرين .

وعن ثابت قال : مات عبد الله بن مطرف ، فخرج أبوه مطرف علي

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤٢٧/٥ - ٤٢٩ ، قال المنذري في « الترغيب والترهيب » ٢٨٣ / ٤ : ورواته ثقات . قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٧٠٢) : صحيح .  
ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث أنس رضي الله عنه .

قومه في ثياب حسنة وقد ادهن ، فغضبوا ، فقالوا : يموت عبد الله وتخرج في مثل هذه مدهناً ؟ قال : أفأستكين لها وقد وعدني ربي تبارك وتعالى عليها خصلاً كل خصلة منها أحبُّ إليَّ من الدنيا كلها ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [ البقرة : ١٥٦ - ١٥٧ ] ، أفأستكين لها بعد ذلك ؟ ثم قال ثابت : قال مطرف : ما شيء أعطي به في الآخرة قدر كوز من ماء إلا وددت أنه أخذ مني في الدنيا . رواه الإمام أحمد في « كتاب الزهد » .

وعن محمد بن خلف قال : كان لإبراهيم الحربي ابنٌ كان له إحدى عشرة سنة ، حفظ القرآن ولقَّنه من الفقه جانباً كبيراً ، قال : فمات ، فجئت أعزِّيه فقال : كنت أستهي موتَ ابني هذا ، قال فقلت له : يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبي قد أنجب ولقنته الحديث والفقه ؟ قال : نعم ! رأيت في منامي كأن القيامة قد قامت ، وكأن صبياناً بأيديهم قلال فيها ماءٌ يستقبلون الناس فيسقونهم ، وكان اليوم حاراً شديداً حره . قال : فقلت لأحدهم : اسقني من هذا الماء ، قال : فنظر إليّ وقال : ليس أنت أبي . قلت : فأی شيء أنتم ؟ قال : فقال لي : نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا وخلقنا آباءً فاستقبلهم فنسقيهم الماء ، قال : فلهذا تمنيت موته .

وروى البيهقي بإسناده عن ابن شوذب : أن رجلاً كان له ابن لم يبلغ الحلم ، قال : فأرسل إلى قومه : إن لي حاجة ! قالوا : نعم ، وما هي ؟ قال : إني أريد أن أدعو على ابني هذا أن يقبضه الله تعالى وتؤمنون على دعائي ، فسألوه [ في ] ذلك ، فأخبرهم أنه رأى في منامه كأن الناس جمعوا ليوم القيامة ، فأصاب الناس عطش شديد ، فإذا الولدان قد خرجوا من الجنة معهم الأباريق فأبصرت ابن أخٍ لي ، فقلت : يا فلان ! اسقني ، قال : يا عم ! إنا لا نسقي إلا الآباء . قال : فأحببتُ أن يجعل الله ولدي هذا فرطاً لي ، فدعا ، فأمنوا على دعائه ، فلم يلبث الغلام إلا يسيراً حتى مات .

وقد روى ابن عساكر بإسناده عن سهيل بن الحنظلية الأنصاري - وكان لا يولد له - فقال : لأن يولد لي ولو سقط فأحتسبه أحب إليّ من أن يكون لي الدنيا بأجمعها . وكان ابن الحنظلية ممن بايع تحت الشجرة .

وذكر ابن عساكر أيضاً عن الليث بن سعد قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، أن ابناً لعياض بن عقبة حضرته الوفاة ، وكان عياض غائباً ، فقالت أم الغلام : لو كان أبو وهب حاضراً لقرت عينه ، فلما حضرت وفاة عياض بن عقبة قال لأخيه أبي عبيد : يهنئك الظفر قد كنت أرجو أن تكون قبلي فأحتسبك .

وقال أبو مسلم الخولاني رحمه الله : لأن يولد لي مولود يحسن الله نباته حتى إذا استوى على شبابه ، وكان أعجب ما يكون إليّ قبضه الله تعالى مني ، أحب إليّ من أن تكون الدنيا وما فيها لي .

وروي عن الإمام القفال قال : كان في جواري رجلٌ يأبى التزويج ؛ فلما كان في بعض الليالي استيقظ من نومه في الليل ونادى : زوجوني زوجوني ؛ فسئل عن ذلك ، فقال : لعل الله يرزقني ولداً يقبضه قبل البلوغ وقبل موتي ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت والخلق في الموقف وأنا معهم ، وقد كظني العطش ، وإذا قد ظهر أطفال بأيديهم أباريق من فضة مغطاة بمناديل من نور يتخللون الجمع ويسقون واحداً بعد واحد ؛ فمددت يدي إليهم وقلت لبعضهم : اسقني ، فقد أجهدني العطش ، فنظر إليّ شزراً ، وقال : ليس لك فينا ولدٌ ، وإنما نسقي آباءنا وأمهاتنا ، فقلت : من أنتم ؟ قالوا : أطفال المسلمين .

وقال أبو الحسن المدائني : دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه في وجعه فقال : يا بني ! كيف تجدك ؟ قال : تجدني في الحق ، قال : يا بني ! لأن تكون في ميزاني أحب إليّ من أن أكون في ميزانك ، فقال : يا أبة ! لأن يكون ما تحب أحب إليّ من أن يكون ما أحبه .

وروى ابن أبي شيبة بإسناده عن ثابت البناني : أن صلة بن أشيم كان في غزاة له ومعه ابن له ، فقال له : أي بُني ! تقدم فقاتل حتى أحسبك ، فحمل فقاتل حتى قُتل ، ثم تقدم أبوه فُقُتل ، فاجتمعت النساء ، فقامت امرأته معاذة العذرية فقالت للنساء : مرحباً ، إن كنتن جئتن لتَهْنِئَنِي مرحباً بكن ، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « قلت يا رسول الله ، أيُّ الناس أشدُّ بلاءً ؟ قال : « الْأَنْبِيَاءُ » ، قلت : ثم مَنْ ؟ قال : « الصالحون » ، إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُتَلَّى بِالنَّفَرِ حَتَّى مَا يَجِدُ إِلَّا الْعِبَاءَ يَحْتَوِيهَا ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ » . رواه ابن ماجه من حديث طويل (١) .

وروى الإمام أحمد في « كتاب الزهد » وابن ماجه في « سننه » عن أبي ذر، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ وَلَا بِإِضَاعَةِ الْمَالِ ، وَلَكِنَّ الزَّهَادَةَ فِي الدُّنْيَا أَنْ تَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِكَ ، وَأَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ الْمُصِيبَةِ إِذَا أُصِيبَتْ بِهَا أَرْغَبَ مِنْكَ فِيهَا لَوْ أَنَّهَا أُبْقِيَتْ لَكَ » (٢) .

وقال ابن الجوزي : ثنا ابن ناصر ، أنبأ جعفر بن أحمد ، ثنا أبي ، ثنا هاشم ، عن ابن المبارك ، عن الحسن ، ثنا أبو الأحوص ، قال : دخلنا على ابن مسعود رضي الله عنه ، وعنده بنون له ثلاثة غلمان كأنهم الدنانير ، فجعلنا

---

(١) رقم (٤٠٢٤) في الفتن : باب الصبر على البلاء ، وصححه الحاكم ٤ / ٣٠٧ ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قال ، انظر الأحاديث الصحيحة (١٤٤) .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٣٤١) في الزهد : باب ما جاء في الزهادة في الدنيا ، ورواه ابن ماجه رقم (٤١٠٠) في الزهد في الدنيا ، وفي سننه عمرو بن واقد الدمشقي أبو حفص ، وهو متروك كما قال الحافظ في « التريب » . قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٣١٩٤) : ضعيف جداً .

نتعجب من حسنهم ، فقال : كأنهم يغبطونني<sup>(١)</sup> ؟ قلنا إي والله لمثل هؤلاء يغبط المسلم ، فرفع رأسه إلى سقف البيت وقد عشش فيه خطاف وباض . فقال : والذي نفسي بيده لأن أكون قد نفضت يدي من تراب قبورهم أحب إليّ من أن يسقط عش هذا الخطاف وينكسر بيضه ، ثم قال : ما أصبحت على حال فتمنيت أني على سواها .

وروى هناد بن السريّ في الزهد عن كثير بن تميم الداري ، قال : كنت جالساً مع سعيد بن جبير ، فطلع عليه ابنه عبد الله بن سعيد وكان به الفقه ، فقال : إني لأعلم خير حالاته ، فقالوا : وما هو ؟ قال : أن يموت فأحتسبه .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن سفيان ، قال : سمعت سفيان يقول : ما في الأرض أحب إليّ من سعيد ، وما في الأرض أحد يموت أحب إليّ منه ، فمات ، فرأيت يبيكي ؛ قال : قد كنت تمنّي موته ، قال أذكر قوله : آه جنبي .

وفي « تاريخ الرقة » للحراني : ثنا أحمد بن بديع ، ثنا أبي ، قال : سمعت عمر بن ميمون بن مهران يقول : كنت مع أبي ونحن نطوف بالكعبة ، فلقي أبي شيخاً فعانقه أبي ، ومع الشيخ فتى قريباً مني ، فقال له أبي : مَنْ هذا ؟ قال : ابني ، فقال : كيف رضاك عنه ؟ قال : ما بقيت خصلة يا أبا أيوب من خصال الخير إلا وقد رأيتها فيه إلا واحدة ، قال : وما هي ؟ قال : كنت أحب أن يموت وأوَجِر فيه ! قال : ثم فارقه أبي ، قال : فقلت لأبي : مَنْ هذا الشيخ ؟ قال : هذا مكحول .

والمقصود أن هذا المقام مقام عظيم شريف لمن يطلب المصيبة ويفرح بها نظراً إلى ثوابها ، وما يفعل ذلك أحدٌ حتى يعلم من نفسه القوة والصبر

---

(١) هكذا بالأصل ، ولعله « كأنكم تغبطونني » .

والجلد والركون إلى دعوى النفس ، وما أكثر ما تخلف الوعد وتنقض العهد ، فإن الغالب متى ما أظهرت الدعوى وكلت إليها ، وطولبت بتصحيح دعواها ، فتقصر عند الحقيقة ، وتميل عن تقويم الطريقة .

كان سُحْنُون رحمه الله يقول : قد رضيت ما تقضيه فابتلني بما شئت ، فابتلاه الله بحصار البول ، فما صَبَرَ ، فكان يدور على الصبيان ويقول : ادعوا لعمكم الكذاب ؛ فالطريقة الكاملة قوله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَتَمَنُّوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُّوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ » (١) .

واعلم أن النية في طلب الولد وفقده وقصد بقاءه ، إذا صحت النية حصل الثواب الجزيل على النيتين جميعاً ؛ لأن الأعمال بالنيات ، فإنه ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : ما من أهل ولا مال ولا ولد إلا وأنا أحب أن أقول عليه : إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ إلا عبد الله بن عمر ، فإني أحب أن يبقى في الناس .

يؤيد ذلك ما ثبت في « صحيح مسلم » أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » (٢) .

(١) رواه البخاري ٦ / ١١٠ في الجهاد : باب لا تتمنوا لقاء العدو ، وفي التمني : باب كراهية تمني لقاء العدو ، ومسلم رقم (١٧٤١) في الجهاد : باب كراهية تمني لقاء العدو ، من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه .

قوله : « لا تتمنوا لقاء العدو » : إنما نهى عن تمني لقاء العدو كما فيه من صورة الاعجاب والانكال على النفس والوثوق بالقوة ، وهو نوع بغى ، وقد ضمن الله لمن بغى عليه أن ينصره ، ولأنه يتضمن قلة الاهتمام بالعدو واحتقاره ، وهذا يخالف الاحتياط والحزم .

قوله : « واسألوا الله العافية » : قد كثرت الأحاديث في الأمر بسؤال العافية ، وهي من الألفاظ العامة المتناولة لدفع جميع المكروهات في البدن والباطن ، في الدين والدنيا والآخرة .

(٢) رواه مسلم رقم (١٦٣١) في الوصية : باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، وأبو داود رقم (٢٨٨٠) في الوصايا : باب ما جاء في الصدقة عن الميت ، والترمذي رقم (١٣٧٦) في =



وفي حديث أنس مرفوعاً : « سَبْعَ يَجْرِي أَجْرُهُنَّ لِلْعَبْدِ [ وَهُوَ فِي قَبْرِه ] بَعْدَ مَوْتِهِ - فذكر منها - أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ » (١) .

وهذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قد سمّاه النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الصالح ، أو العبد الصالح<sup>(٢)</sup> ، ولا شك أن العبد إذا حصل له أجر مستمرّ بعد موته هو أولى من حصول أجر في حياته ثم ينقطع بالموت ، فإن العبد من أحوج الناس بعد موته إلى الحسنات ، وبموته قد انقطع عمله إلا ما أخبر به الصادق المصدوق في هذا الحديث المتقدم ، فطلب الولد وبقاؤه أنفع للعبد فيما فهمت ، ولكن أولئك لما خالط قلوبهم قوّة الإيمان والتصديق بالقضاء والقدر ، والرضى به ، برزوا بالقول ، وقلّ من يصبر على تحمل البلوى عند الحقيقة ، والله أعلم .

\* \* \*

---

= الأحكام : باب في الوقف ، والنسائي ٦ / ٢٥١ في الوصايا : باب فضل الصدقة عن الميت ، وأحمد في « المسند » ٢ / ٣١٦ و ٣٥٠ و ٣٧٢ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قوله : « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله » : قال العلماء : معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة ، لكونه كان سببها ، فإن الولد من كسبه ، وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف ، وكذلك الصدقة الجارية ، وهي الوقف .

(١) رواه البزار وأبو نعيم ٢ / ٣٤٤ والديلمي (٣٣١٠) من حديث أنس رضي الله عنه . وفيه محمد بن العزرمي وهو ضعيف كما قال المناوي في « فيض القدير » ٤ / ٨٧ قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٥٩٦) : حديث حسن .

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي ، انظر لفظ الحديث في « جامع الاصول » رقم (١٠١٦) ورقم (٦٦٠٣) بتحقيق أستاذنا الشيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله تعالى ، وهو من منشوراتنا - مكتبة دار البيان بدمشق .

## الباب الثاني في البكاء على المصيبة، وما ذكر العلماء في ذلك

البكاء أصله بُكى على فعول ، قال الجوهري : البكاء يمد ويقصر ، فإذا مددت أردت الصوت الذي يكون مع البكاء ، وإن قصرت : أردت الدموع وخروجها ، وبكى الرجل وبكىته إذا بكى عليه قال الشاعر :

بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا بُكَاهَا      وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ

هذا من جهة اللغة ، وهو رقة ورحمة في قلوب عباد الله ، فالبكاء على الميت [ في ] مذهب الإمام أحمد وأبي حنيفة : جوازه قبل الموت وبعده ، واختاره أبو إسحاق الشيرازي ، وكرهه الشافعي وكثير من أصحابه بعد الموت ، وخصصوا فيه قبل خروج الروح .

واحتجوا بحديث جابر بن عتيك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غلب ، فصاح به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه فاسترجع ، وقال : « غُلِبْنَا عَلَيْكَ يَا أَبَا الرَّبِيعِ » فصاح النسوة وبكين ، فجعل ابن عتيك يسكتهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دَعُوهُنَّ فَإِذَا وَجِبَ فَلَا تَبْكِينَ بَاكِئَةً » ، قالوا : وما الوجوب يا رسول الله ؟ قال : « الْمَوْتُ » . رواه الإمام أحمد وأبو داود ، وهذا لفظه والنسائي وابن ماجه <sup>(١)</sup> .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤٤٦ / ٥ و مالك في « الموطأ » ٢٣٣ / ١ و ٢٣٤ في الجنائز : باب النهي عن البكاء على الميت ، وأبو داود رقم (٣١١١) في الجنائز : باب فضل من مات بالطاعون ، والنسائي ١٣ / ٤ و ١٤ في الجنائز : باب النهي عن البكاء على الميت وابن ماجه رقم (٢٨٠٣) في =

قالوا : وفي «الصحيحين»<sup>(١)</sup> من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ » وهذا إنما هو بعد الموت ، وأما قبله فلا يسمى ميتاً .

وعن ابن عمر أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم من أحد ، سمع نساءً من بني عبد الأشهل على هلكاهن يبكين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِيَ لَهُ » فجئن نساء الأنصار فبكين على حمزة عنده ، فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « وَيَحَهُنَّ إِنَّهُنَّ هَاهُنَا يَبْكِينَ مَا أَثْقَلَهُنَّ ، مُرُوهُنَّ فَلْيَرْجِعْنَ وَلَا يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ الْيَوْمِ » رواه الإمام أحمد وابن ماجه<sup>(٢)</sup> .

وهذا صريح في نسخ الإباحة المتقدمة ، والفرق بين ما قبل الموت وبعده أنه قبل الموت يرجى فيكون البكاء عليه حذراً ، فإذا مات انقطع الرجاء وأبرم القضاء ، فلا ينفع البكاء .

احتج أصحابنا ومن قال بقولهم ، فمن جوز البكاء قبل الموت وبعده . قال جابر بن عبد الله : أصيب أبي يوم أحد فجعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي ،

---

الجهاد : باب ما يرجى فيه الشهادة ، وابن حبان رقم (١٦١٦) في الجهاد : باب جامع فيمن هو شهيد ، وفي إسناده عتيك بن الحارث بن عتيك لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات ، ولكن له شاهد بنحوه من رواية الطبراني من حديث ربيع الأنصاري ، انظره في «الترغيب والترهيب» ٣٣٣/٢ ، و«أحكام الجنائز» ص (٤٠) فالحديث صحيح .

(١) رواه البخاري ١٢٨ / ٣ في الجنائز : باب قول النبي ﷺ : « يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه » ومسلم رقم (٩٣٢) في الجنائز : باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، والموطأ ٢٣٤ / ١ في الجنائز : باب النهي عن البكاء على الميت ، والترمذي رقم (١٠٠٤) في الجنائز : باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت ، والنسائي ١٧ / ٤ في الجنائز : باب النياحة على الميت . وأحمد في «المسند» ٣١/٢ و ٣٨ و ١٣٤ .

(٢) رواه أحمد في «المسند» ٢ / ٤٠ و ٨٤ و ٩٢ ، وابن ماجه رقم (١٥٩١) في الجنائز : باب ما جاء في البكاء على الميت . وفي إسناده أسامة بن زيد الليثي ، قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٢٨٤/٢ : قال أحمد بن حنبل : روى أسامة بن زيد عن نافع أحاديث منكرة . وهو حديث صحيح كما في «صحيح ابن ماجه» (١٢٩٣) .

فجعلوا ينهوني ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهاني ، فجعلت عمتي فاطمة تبكي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تَبْكِينَ أَوْ لَا تَبْكِينَ مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ » متفق عليه<sup>(١)</sup> .

وعن ابن عمر قال : اشتكى سعد بن عبادَةَ شكوى له ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعودُه مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود ، فلما دخل عليه فوجده في غاشية ، فقال : « قَدْ قَضَى ؟ » قالوا : لا يا رسول الله ! فبكى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى القوم بكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكوا فقال : « أَلَا تَسْمَعُونَ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزَنِ الْقَلْبِ ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وأشار إلى لسانه - أَوْ يَرْحَمَ » رواه البخاري ، وهذا لفظه ، ومسلم وعنده : « وَجَدَهُ فِي غَشِيَةٍ فَقَالَ : « أَقَدْ قَضَى ؟ » قالوا : لا يا رسول الله . . » الحديث ، وهو من رواية يونس بن عبد الأعلى<sup>(٢)</sup> .

وعن أسامة بن زيد قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبيًّا أو ابناً لها في الموت ، فقال للرسول : « ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا أَخَذَ ، وَلَهُ مَا أَعْطَى ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى ؛ فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ » ؛ فعاد الرسول فقال : إنها قد

---

(١) رواه البخاري ٩٢ / ٣ في الجنائز : باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه ، وباب ما يكره من النياحة على الميت ، وفي الجهاد : باب ظل الملائكة على الشهيد ، وفي المغازي تعليقاً : باب من قتل من المسلمين يوم أحد ، ومسلم رقم (٢٤٧١) في فضائل الصحابة : باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضي الله عنهما ، والنسائي ١٣ / ٤ في الجنائز : باب في البكاء على الميت ، واحمد في « المسند » ٢٩٨ / ٣ و ٣٠٧ .

(٢) رواه البخاري ١٤٠ / ٣ في الجنائز : باب البكاء عند المريض ، ومسلم رقم (٩٢٤) في الجنائز : باب البكاء على الميت .

قوله : « في غشية » : هي المرة من الغشي ، وفي رواية البخاري « في غاشية » . وفيه قولان : أحدهما من يغشاه من أهله ، والثاني ما يغشاه من كرب الموت .

أقسمت لتأتينها . قال : فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وانطلقت معهم ، فُرفع إليه الصبي ونفسه تَقَعَقُعُ كأنها في شَنَّةٍ ، ففاضت عيناه ، فقال له سعد بن عبادة : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : « هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءُ » رواه البخاري ومسلم <sup>(١)</sup> .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : شهدنا بنتاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ على القبر ، قال : فرأيت عيناه تدمعان ، قال : فقال : « هَلْ مِنْكُمْ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يُقَارِفِ اللَّيْلَةَ ؟ فقال أبو طلحة : أنا ، قال : « فأنزل في قبرها » رواه البخاري <sup>(٢)</sup> .

وعن أنس أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وُلِدَ لِي غُلَامٌ فَسَمَيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ . . » فذكر الحديث ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذفان ، وفي لفظ : فأخذه فوضعه في حجره ، وقال : « يا بني ، لا أملك لك من الله

(١) رواه البخاري ٣ / ١٢٤ - ١٢٦ في الجنائز : باب قول النبي ﷺ : « يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه » ، وفي المرضى : باب عيادة الصبيان ، وفي القدر : باب « وكان أمر الله قدراً مقدوراً » وفي الأيمان والنذور : باب قول الله تعالى : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » ، وفي التوحيد : باب قوله تعالى : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوه فله الأسماء الحسنى » ، وباب ما جاء في قول الله تعالى : « إن رحمة الله قريب من المحسنين » ، ومسلم رقم (٩٢٣) في الجنائز : باب البكاء على الميت ، والنسائي ٤ / ٢٢ في الجنائز : باب الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة ، وأحمد في « المسند » ٥ / ٢٠٤ و ٢٠٦ و ٢٠٧ .

قوله : « ونفسه تَقَعَقُعُ » : القعقة حكاية حركة الشيء يسمع له صوت ، والشن : القربة البالية ، والمعنى : وروحه تضطرب وتتحرك ، لها صوت وحشرجة كصوت الماء إذا ألقي في القربة البالية .

(٢) ٣ / ١٦٧ في الجنائز : باب من يدخل قبر المرأة ، ورواه أيضاً وأحمد في « المسند » ٣ / ١٢٦ و ٢٢٨ .

قوله : « لم يقارف » : أي لم يذنب ذنباً ، يجوز أن يريد به الجماع ، فكفى عنه .

شيئاً»، فقال عبد الرحمن بن عوف وأنس : يا رسول الله أتبكي وتنهاى عن البكاء ؟ فقال : « يا ابن عوف ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ وَمَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ » ، ثم أتبعهما بأخرى فقال : « إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبُ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا وَإِنَّا لِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ » رواه البخاري ومسلم <sup>(١)</sup> بدون زيادة الألفاظ ، وفيه دليل على البكاء قبل الموت .

وعن أنس أيضاً رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَخَذَ الرَّأْيَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ، وَإِنَّ عَيْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَذْرِفَانِ ؛ ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ » رواه البخاري <sup>(٢)</sup> .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : ماتت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت النساء ، فجعل عمر يضربهن بسوطه ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال : « مَهْلًا يَا عَمْرُ ، ثُمَّ إِيَّاكُنَّ وَنَعِيقَ الشَّيْطَانِ » . ثم قال : « إِنَّهُ مَهْمَا كَانَ مِنَ الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ فَمِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ الرَّحْمَةِ ، وَمَا كَانَ مِنَ الْيَدِ وَاللِّسَانِ فَمِنْ الشَّيْطَانِ » رواه الإمام أحمد <sup>(٣)</sup> .

---

(١) رواه البخاري ١٣٩/٣ في الجنائز : باب قول النبي ﷺ : « وإنا بك لمحزونون » . ومسلم رقم (٢٣١٥) في الفضائل : باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك . وأبوداود رقم (٣١٢٦) في الجنائز : باب في البكاء على الميت .

(٢) ٩٢/٣ في الجنائز : باب الرجل ينعي إلى أهل الميت بنفسه ، وفي الجهاد : باب تمني الشهادة ، وباب من تأمر في الحرب من غير إمرة إذا خاف العدو ، وفي الأنبياء : باب علامات النبوة في الاسلام ، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ : باب مناقب خالد بن الوليد ، وفي المغازي : باب غزوة مؤتة بأرض الشام ، ورواه أيضاً النسائي ٢٦/٤ في الجنائز : باب النعي . قوله : « لَتَذْرِفَانِ » : ذرفت العين : سال دمعها .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ١/٢٣٨ و ٣٣٥ قال الهيثمي في « المجمع » ١٧/٣ : وفيه علي بن زيد وفيه كلام وهو موثق .

وعن عائشة رضي الله عنها أن سعد بن معاذ لما مات حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، قالت : فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ بُكَاءَ أَبِي بَكْرٍ مِنْ بُكَاءِ عُمَرَ وَأَنَا فِي حِجْرَتِي . رواه الإمام أحمد (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان في جنازة ، فرأى عمر امرأة فصاح بها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « دَعَهَا يَا عُمَرُ ! فَإِنَّ الْعَيْنَ دَامِعَةٌ وَالنَّفْسَ مُصَابَةٌ وَالْعَهْدَ قَرِيبٌ » رواه ابن ماجه (٢) .

وعن أسماء بنت يزيد قالت : لما تُوفِّيَ ابنُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إبراهيمُ بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال - إما أبو بكر وإما عمر - : أنت أحقُّ مَنْ عَظَّمَ اللهَ حَقَّهُ ! فقال رسول الله ﷺ : « تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ ، وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ ، لَوْلَا أَنَّهُ وَعْدٌ صَادِقٌ ، وَمَوْعِدٌ جَامِعٌ ، وَأَنَّ الْآخِرَ تَابِعٌ لِلْأَوَّلِ لَوَجَدْنَا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ أَفْضَلَ مِمَّا وَجَدْنَا ، وَإِنَّا بِكَ لَمَخْزُونُونَ » رواه ابن ماجه (٣) .

وفي لفظ : أتبكي ، أو ما نهيتنا عن البكاء ؟ قال : « لَيْسَ عَنِ الْبُكَاءِ نَهَيْتُ وَلَكِنْ نَهَيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجْرَيْنِ : صَوْتٍ عِنْدَ نَعْمَةٍ لَهُ وَلَعِبٍ

---

(١) قطعة من حديث طويل رواه أحمد في « المسند » ١٤٢/٦ قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٣٨/٦ : قلت في « الصحيح » بعضه ، رواه أحمد ، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة ، وهو حسن الحديث ، وبقيته رجاله ثقات .

(٢) رقم (١٥٨٧) في الجنازات : باب ما جاء في البكاء على الميت .

(٣) رواه ابن ماجه رقم (١٥٨٩) في الجنازات : باب ما جاء في البكاء على الميت ، وإسناده حسن .

ورواه البخاري ومسلم وأبو داود من حديث أنس رضي الله عنه انظر « جامع الأصول » رقم (٨٥٦٠) .

وَرَنَّةَ شَيْطَانٍ ، وَصَوْتٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ ؛ لَطَمَ وَجْوهَ وَشَقَّ جُيُوبَ وَرَنَّةِ شَيْطَانٍ ، وَهَذِهِ رَحْمَةٌ ، وَمَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ ، يَا إِبْرَاهِيمُ لَوْلَا أَنَّهُ أَمْرٌ حَقٌّ ، وَوَعْدٌ صَادِقٌ وَسَبِيلٌ لَا بَدَّ نَأْتِيَهُ ، وَإِنَّ آخِرَنَا سَوْفَ يَلْحَقُ بِأَوَّلِنَا لَحَزْنًا عَلَيْكَ حُزْنًا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا ، وَإِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، ثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : ماتت زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت النساء ، فجعل عمر يضربهن بسوطه ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، ثم قال : « مَهْلًا يَا عُمَرُ » ثم قال : « ابْكَيْنَ وَإِيَّاكُنَّ وَنَعِيقَ الشَّيْطَانِ ، ثُمَّ إِنَّهُ مَهْمَا كَانَ مِنَ الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ فَمِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » وذكر تمام الحديث وقد تقدم .

وروى الإمام أحمد أيضاً بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : ماتت رُقِيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : « الْحَقِيقِي سَلَفْنَا الْخَيْرَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ » وبكت النساء فجعل عمر يضربهن بسوطه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر : « دَعُهُنَّ يَبْكِينَ ، وَإِيَّاكُنَّ وَنَعِيقَ الشَّيْطَانِ » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَهْمَا يَكُنْ مِنَ الْقَلْبِ وَالْعَيْنِ فَمِنْ اللَّهِ وَالرَّحْمَةِ ، وَمَهْمَا كَانَ مِنَ الْيَدِ وَاللِّسَانِ فَمِنْ الشَّيْطَانِ » وقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على شفير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكي . فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها (١) .

فقد ثبت في حديث موت زينب ورقية بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم البكاء بعد الموت .

(١) رواه أحمد في « المسند » ١ / ٣٣٥ قال الهيثمي في « المجمع » ٣ / ١٧ : وفيه علي بن زيد وفيه كلام وهو موثق .



وقد جاء في آثار جمة أنه صلى الله عليه وسلم زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله (١).

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قَبَّلَ عثمان بن مظعون حتى سالت دموعه على وجهه (٢). وتقدم قصة جعفر وعبد الله بن رواحة وأصحابها .

وكذلك صح عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قَبَّلَ النبي صلى الله عليه وسلم وهو ميت وبكى وأبكى . وكذلك بكى عليُّ على النبي صلى الله عليه وسلم .

فهذه الأحاديث كلها دالة على جواز البكاء قبل الموت وبعده من غير كراهة ، وما ذكره أصحاب الشافعي ومن قال بقولهم من الكراهة بعد الموت مستدلين بما تقدم من أحاديث النهي ، فكلها محمولة على البكاء الذي معه ندب ونياحة . ويؤيد ذلك ما يأتي ذكره : « إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ » (٣) ، وفي لفظ « يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ » .

وأما من ادعى النسخ في حديث حمزة فلا يصح أن معناه لا تبكين على هالك بعد اليوم من قتلى أحد . ويدل على ذلك أن نصوص الإباحة أكثرها متأخرة عن غزوة أحد ، منها حديث أبي هريرة لأن إسلامه وصحبته كانا في السنة السابعة ، ومنها البكاء على جعفر وأصحابه وكان استشهادهم في السنة الثامنة ، وكذلك البكاء على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في الثامنة أيضاً ، والبكاء على قبر أمه صلى الله عليه وسلم كان عام الفتح .

---

(١) الحديث رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وسيرد لفظه ورواياته ص ١٣٢ .

(٢) رواه الترمذي رقم (٩٨٩) في الجنائز : باب في تقبيل الميت ، وأبو داود (٣١٦٣) ، وأحمد ٦ / ٤٣ و ٥٥ و ٢٠٦ ، وابن ماجه (١٤٥٦) ، والحاكم ١ / ٣٦١ ، وهو حديث صحيح .

(٣) تقدم تخريجه ص (٥٠) .

وأما قولهم إنما جاز قبل الموت حزناً بخلاف ما بعد الموت .

جوابه : إن كان الباكي قبل الموت يبكي حزناً وحزنه بعد الموت أشدّ ،

لأنه قبل الموت ربما يرتجى وبعده قد فقدت الرجوى فبكى لفراق لا عودة بعده في الدنيا ؛ وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْعَيْنَ لَتَدْمَعُ وَإِنَّ الْقَلْبَ لَيَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ » (١) .

ومنها : قال البخاري : قال عمر : دعهن يبكين على أبي سلمان ما لم

يكن نفع أولقلقة . والنقع : التراب على الرأس . واللقلة : الصوت .

حدثنا إسحاق بن منصور عن أبي رجاء عبد الله بن واقد ، عن محمد بن

مالك ، عن البراء بن عازب ، قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في

جنازة ، فلما انتهينا إلى القبر فاستدردت فاستقبلته فإذا هو يبكي حتى بلّ

الثرى ، ثم قال : « إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ فَأَعِدُّوا » رواه الإمام أحمد (٢) .

## فصل

وقد ذكر بعض العلماء أن البكاء الذي روي عن النبي صلى الله عليه

وسلم أنه فعله وأباحه أو أمر به للاستحباب هو البكاء الذي هو دمع العين ورقة

القلب ورحمته ، والذي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه هو البكاء بالمدّ

الذي يستلزم الصراخ والندب والعيول . يشهد لهذا قوله : « مَا كَانَ مِنَ الْعَيْنِ

وَالْقَلْبِ فَمِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَا كَانَ مِنَ الْيَدِ وَاللِّسَانِ فَمِنْ الشَّيْطَانِ ، وَنَهَى

عَنْ رِنَةِ الشَّيْطَانِ » (٣) وهو رفع الصوت عند المصيبة .

---

(١) تقدم تخريجه ص (٥٤) .

(٢) رواه البخاري في «التاريخ» (٨ / ١ / ٢٢٩) ، وابن ماجه (٤١٩٥) ، وأحمد ٤ / ٢٩٤ ، وهو

حديث حسن . انظر «الأحاديث الصحيحة» (١٧٥١) .

(٣) تقدم تخريجه ص (٥٣) رقم (٣) .

قلت : هذا وإن كان حسناً يعكر عليه ما حكيناه عن الجوهرى : أن البكاء يمدّ ويقصر ، فهو لغتان فلا فرق فيه بين المدّ والقصر ، والله أعلم .

## فصل

وليحذر العبد كل الحذر أن يتكلم في حال مصيبتة وبكائه بشيء يُحِيط به أجره ويُسِخِط به ربّه ، مما يشبه التظلم ؛ فإن الله تعالى عادلٌ لا يجور ، وعالم لا يضل ولا يجهل ، وحكيم أفعاله كلها حكم ومصالح ، ما يفعل شيئاً إلا لحكمة ؛ فإنه سبحانه له ما أعطى وله ما أخذ ، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون ، وهو الفعال لما يريد ، القادر على ما يشاء ، له الخلق والأمر ؛ بل إنما يتكلم بكلام يُرضي به ربه ، ويُكثر به أجره ؛ ويرفع الله به قدره .

وقد روى ابن أبي الدنيا بإسناده قال : حدّثني يونس بن محمد المكي قال : زرع رجل من أهل الطائف زرعاً ، فلما بلغ أصابته آفة فاحترق ، فدخلنا عليه لنسليه عنه ، فبكى ، وقال : والله ما عليه أبكى ولكن سمعت الله تعالى يقول : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ [ آل عمران : ١١٧ ] ، فأخاف أن أكون من أهل هذه الصفة ، فذلك الذي أبكاني .

قال أبو العرب : لما أمر عبيد الله بن زياد بالبلجاء أن يمثل بها ، جاءوا ومعهم الحديد والحبال ، فقالت : إليكم أتكم بكلام يحفظه عني من سمعه قال : فحمِدَتِ الله وأثنت عليه ثم قالت : هذا آخر يومي من الدنيا وهو غير مأسوف عليه ، وأرجو أن يكون أول أيامي من الآخرة وهو اليوم المرغوب فيه ، ثم قالت ؛ والله إن علمي بفنائها هو الذي زهّدني في البقاء فيها ، وسهّل عليّ بلوآها فما أحب تعجيل ما أخر الله ، ولا تأخير ما عجل الله ، والحمد لله على السراء والضراء وعلى العافية وعلى البلاء ، ثم قالت : كنت

أَوَّلُ ما في الله ما هو أكثر من هذا . قال : ثم إنهم قطعوا يديها ورجليها ، فجعل الدم لا يرقأ ، فقالت : حياة كريمة وميتة طيبة لأنني نلت ما أملت يا نفس من جزيل ثواب الله فقد نلت سروراً دائماً لا يضرُّك معه كدر ، وهي حين قطعوا يديها ورجليها فلم تتكلم ، فقيل لها ذلك فقالت : شغلني هول المطلاع عن ألم حديدكم هذا ، ثم أتوا بالنار لتكوى بها فلما رأتها صرخت ، فقيل لها : لقطع اليدين والرجلين لم تنطقي فلما رأيت النار صرخت ؟ فقالت : والله ليس من ناركم صرخت ولا على دنياكم أسفت ، ولكنني ذكرت بها النار الكبرى فكان الذي رأيتم من ذلك ، قال : فأمر بها فسملت عيناها ، فقالت : اللهم قد طال في الدنيا حزني فأقرّ في الآخرة عيني . ثم قالت : لئن كنت على بصيرة من أمري إن هذا لقليل في جنب ما أطلب من ثواب الله ، قال : فما تكلمت بغيرها حتى ماتت رحمها الله تعالى :

وكانت البلجاء من شيعة عليّ رضي الله عنه ، وكان قد بلغ الحسن بن علي أن ابن زياد يتتبع شيعة عليّ فيقتلهم ، فقال ، اللهم اقتله وأمه حتف أنفه . والإسناد : قال أبو العرب : حدّثنا عبد الله بن الوليد ، عن جابر بن خدّاش بن عجلان ، ثنا سالم بن عمير عن سالم الهلالي فذكره .

وليحذر العبد أيضاً أن يدعو على نفسه ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما مات أبو سلمة : « لَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَنْفُسُكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَيَّ مَا تَقُولُونَ »<sup>(١)</sup> .

وليعلم أيضاً أن البكاء يضرّ الحيّ والميت ، فإن الحيّ يخاف على

---

(١) رواه مسلم رقم (٩٢٠) في الجنائز : باب في إغماض الميت ، والترمذي رقم (٩٧٧) في الجنائز : باب ما جاء في تلقين المريض عند الموت والدعاء له ، وأبو داود رقم (٣١١٥) و (٣١١٨) في الجنائز : باب ما يستحب أن يقال عند الميت من الكلام ، وباب تغميض الميت ، والنسائي ٤/٤ و ٥ في الجنائز : باب كثرة ذكر الموت ، وأحمد في « المسند » ٢٩٧/٦ ، وابن ماجه رقم (١٤٥٤) في الجنائز : باب ما جاء في تغميض الميت . من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

عينه كما قال الله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام : ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ ﴾ [يوسف : ٨٤] والميت لا يستريح به .

فقد ذكر الحافظ أبو شجاع شيرويه الديلمي بإسناده عن علي بن الحسين قال : بينا داود الطائي جالساً مع أصحابه يوماً إذا غفا وهو معهم ثم انثبه ، فقال : أتدرون ما رأيت في نومتي هذه ؟ دخلت الجنة فرأيت فيها صبياناً يلهون بالفتح يناول بعضهم بعضاً ، وصبي ناحية عنهم جالس حزين يرى الانكسار عليه بيناً ، فقلت ما بال ذلك الصبي لا يلهو معكم كما تلهون ؟ قالوا : ذاك حديث عهد بالدنيا وأمه تكثر البكاء عليه فانكساره لكثرة بكاء أمه عليه ، قال : فقلت : اين منزلهم ؟ قالوا في قبيلة آل فلان قال : فقلت من أبواه قالوا فلان وفلانة : قلت : فما اسمه ؟ قالوا : فلان . فقال داود لأصحابه : فانطلقوا قال : فانطلقوا فأتوا القبيلة فسألوا عن أبويه فلقبهما أولقي أحدهما فقال لهما ما رأى في منامه فجعلت الأم على نفسها أن لا تبكي عليه أبداً .

## فصل

والبكاء والأسف على من فرط في جنب الله أو من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهو داخل تحت المشيئة وعنده من الندامة كأمثال الجبال ومن الحسرات كعدد الرمال فإن الصحة لا يعرف مقدارها على الحقيقة إلا المرضى ، كما أن العافية لا يعرف مقدارها إلا المبتلى ، فكذلك الحياة لا يعرف مقدارها إلا الموتى ، لأنهم قد ظهرت لهم الأمور ، وانكشفت لهم الحقائق ، وعلموا مقدار الأعمال الصالحة ، إذ ليس ينفق هنالك إلا عمل زكي ، ولا يرتفع هناك إلا عبد تقى ، فالمقصر يودّ لو أنه ردّ فاستدرك ما فات ، ونظر فيما فيه فرط ، والمهمّل العمل بالجملة يكون تمنيه الرجوع أكثر ، وحرصه على العودة أشدّ ، فالواجب اغتنام الصحة والفراغ المغبون فيهما كثير من الناس .

وإنما يحصل للشخص الحزن والبكاء على من أصيب به لذهوله عما

بين يديه من سكرات الموت وغصصه ، والانفراد في القبر وحيداً ذليلاً مستوحشاً ، ثم مساءلة منكر ونكير عليهما السلام ، وطول مكثه تحت الثرى إما مُنعماً وإما معذباً ، ثم من بعد ذلك خروجه من قبره وقيامه لرب العالمين ، ثم وقوفه الطويل في المحشر وما يرى من أهوال يوم القيامة ، ثم حسابه بين يدي الله تعالى ووزن أعماله وتطاير الصحف والمحاسبة على مثاقيل الذر ، وأنه وجد ما عمل محصياً عليه محرراً في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وأنه بين رجاء وخوف ، إما لذات اليمين أو لذات الشمال ، فلو استشعر المصاب هذه المصائب العظيمة التي بين يديه وهو غافل عنها ، غير مستعد لها ، لشغلته عن مصابه بأحبابه ، ولرجع إلى الصبر والرضا بما قدره وأمضاه ، فإن قدر على نفع ، نفع ميتة به ، وإلا فلا يؤذيه بما ينهى الشرع عنه من الندب والنياحة ولطم الخدود وشق الجيوب ، وغير ذلك من الأفعال والأقوال المكروهة التي ذمها السلف والخلف كما سنبينه بعد إن شاء الله ، نسأل الله تعالى العافية في الدنيا والآخرة .

## فصل

والحزن لم يأمر الله تعالى به ولا رسوله ، لا في المصيبة ولا في غيرها ، بل قد نهى الله عنه في كتابه وإن تعلق بأمر الدين ، لكن منه محمود ومذموم . كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾ [ آل عمران : ١٣٩ ] . وقوله : ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ [ النحل : ١٢٧ ] . وقوله تعالى في حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأبي بكر : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [ التوبة : ٤٠ ] . وقوله تعالى : ﴿ فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ . . ﴾ الآية [ يس : ٧٦ ] . ونحو ذلك من الآيات كثير في القرآن وما ذاك إلا لأن الحزن لا يجلب منفعة ، ولا يدفع مضرة فلا فائدة فيه ، وما لا فائدة فيه لا يأمر الله به ، لكن لا يَأْثُمُ به صاحبه إذا لم يقترن بحزنه محرّم ، كما تقدم ذكره من قول أو فعل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ لَا يُؤَاخِذُ بِدَمْعٍ

الْعَيْنِ وَلَا يَحْزَنُ الْقَلْبُ ، وَلَكِنْ يُوَاخِذُ بِهَذَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ  
يَرْحَمُ » فدل على أنه لا يَأْثُم إِلَّا إِذَا اقْتَرَنَ بِهِ مَا يَجْلِبُ الْإِثْمَ ، وَيُوِيْدُهُ أَيْضاً قَوْلُهُ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَا تَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي الرَّبَّ » (١) .

قال مالك بن دينار : القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب ، كما أن البيت  
إذا لم يُسْكَنْ خَرِبَ .

وقال عبد الله بن أحمد : حدّثني علي بن مسلم ، ثنا بشار ، ثنا جعفر ،  
ثنا إبراهيم بن عيسى ، قال : ما رأيت أطول حزناً من الحَسَنِ ، ولما رأيته  
حسبته حديث عهد بمصيبة . ثم ذكر بسنده عن مالك قال : بقدر ما تحزن  
للدنيا كذلك يخرج همّ الآخرة من قلبك . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ يَا أَسَفًا  
عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ ﴾ [يوسف : ٨٤] .

فكل هذه الأدلة تدل على أنه لا يَأْثُمُ بِهِ صاحبه ، فالبكاء والحزن على  
الميت على وجه الرحمة والرقّة حَسَنٌ ، ولا ينافي الرضا والصبر ، بخلاف  
البكاء عليه والحزن لفوت حظ الحي منه ، فإذا اقترن بالحزن ما يثاب صاحبه  
عليه ويحمد عليه فيكون محموداً من تلك الجهة لا من جهة الحزن ، فالحزين  
على مصيبة في دينه ، وعلى مصائب المسلمين عموماً ، فهذا يثاب على ما  
في قلبه من حب الخير وبغض الشر ، وتوابع ذلك . ولكن الحزن على ذلك  
إذا أفضى إلى ترك مأمور من الصبر والجهد ، وجلب منفعة ودفع مضرة نهى  
عنه ، وكان حَسَبُ صاحبه الإِثْمُ عنه من جهة الحزن ، وأما إن أفضى إلى  
ضعف القلب واشتغاله به عن فعل ما أمر الله به ورسوله كان مذموماً عليه من  
تلك الجهة ، وإن كان محموداً من جهة أخرى ، فإنه إن كان المحزون عليه  
لا يمكن استدراكه لم ينفع الحزن . فالعاقل يدفعه عن نفسه ولا يضم إلى  
مصيبته أخرى ، وليعلم أنه سيسلو بعد حين ، والله أعلم .

\* \* \*

---

(١) تقدم تخريجه ص (٥٣) .

## البَابُ الثَّالِثُ

# فِي تَحْرِيمِ النَّدْبِ وَالنِّيَاحَةِ وَشَقِّ الثِّيَابِ

الندب اسم للبكاء على الميت وتعداد محاسنه ، قاله الجوهري ، والإسم الندبة بالضم ، وقيل : تعداد شمائل الميت ، فيقال : واكريماه واجبلاه والهفاه . والنوح قال القاضي عياض : هو اجتماع النساء للبكاء على الميت متقابلات وذكر في « المغني » أنه تعداد محاسن الميت بلفظ النداء ، إلا أنه يكون بلفظ الواو ، وربما زيد فيه الألف والهاء مثل قولهم : وارجلاه واجبلاه وانقطاع ظهره ، ونحوه . وقال غيره : قال أهل اللغة : النياحة اسم لاجتماع النساء للبكاء على الميت متقابلات كما ذكر القاضي عياض والتناوح التقابل . ثم استعمل في صفة بكائهن بصوت ورنه وندبة .

واعلم رحمك الله أن المطلوب في المصيبة السكون والصبر ، والرضا بقضاء الله تعالى ، والحمد والاسترجاع والصدقة عن المصاب به والدعاء له ، وأما الندب والنياحة وشق الجيوب ولطم الخدود وقول المنكر ، كل هذا ينافي ما ذكر .

وقد نص الإمام أحمد رحمه الله على تحريم الندب والنياحة : قال في رواية حنبل : النياحة معصية .

وقال أصحاب الشافعي وغيرهم : النوح حرام .

وقال أبو عمر بن عبد البر : أجمع العلماء على أن النياحة لا تجوز للرجال ولا للنساء .

وقال أبو الخطاب رحمه الله في « الهداية » : ويكره الندب والنياحة وخمش الوجوه وشق الجيوب والتحفى . وهذا قول ضعيف مصادم لما ورد من السنة .



وذكر الشيخ في « المغني » قال : ونقل حرب عن أحمد كلاماً فيه احتمال إباحة النوح والندب قال : واختاره الخلال وصاحبه لأن واثلة بن الأسقع ، وأبا وائل كانا يسمعان النوح ويبكيان ، ثم قال : وظاهر الأخبار تدل على التحريم ، انتهى كلامه .

واستنادهم في ذلك لآثار مروية عن بعض الصحابة والسلف لا ترد ما ورد في الصحاح والمسانيد . فإنهم قالوا : قد روى حرب عن واثلة بن الأسقع وأبي وائل : إنما كانا يسمعان النوح ويبكيان . قالوا : وقد ورد في الصحيح من حديث أم عطية ، قالت : لما أنزلت هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ [ الممتحنة : ١٢ ] كان منه النياحة فنهانا عن النياحة ، فقبضت امرأة منا يدها فقالت : فلانة أسعدتني فإنما أريد أن أجزيها ، قال : فما قال لها شيئاً فذهبت فانطلقت ثم رجعت فبايعها ، وفي لفظ الصحيح قالت أم عطية : يا رسول الله إلا آل فلان فإنهم أسعدوني في الجاهلية فلا بد لي أن أسعدهم . فقال إلا آل فلان <sup>(١)</sup>

والجواب عن ذلك : ان المرأة التي سكت عنها ذلك خاص بها لوجهين :

أحدهما أنه حديثه عهد بالإسلام ، فربما كان فيه تنفير لها عنه .

الثاني أنه قال لغيرها لما سألته ذلك قال : « لَا إِسْعَادَ فِي الْإِسْلَامِ » .

فإطلاقه لها وحجره على غيرها يدل على الخصوص . وعلى الرواية الأولى : أن امرأة قبضت يدها ولم تباع إلا بعد الإسعاد فلا إشكال ، وقد حكى بعض المبايعات القصة ولم تستثن أحداً ، فما ورد في « سنن

---

(١) رواية من حديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي . انظر روايات الحديث في « جامع

الأصول » رقم ( ٨٥٨٠ )

أبي داود <sup>(١)</sup> من حديث أسيد بن أبي أسيد عن امرأة من المبايعات قالت : كان فيما أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعروف الذي أخذ علينا أن لا نعصيه فيه : أن لا نخمش وجهاً ولا ندعو ويلاً ولا نشق جيباً ولا ننش شعراً .

## فصل

فيما ورد من تحريم ذلك وما ورد من الوعيد عليه

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ » . رواه البخاري ومسلم <sup>(٢)</sup> .

وعن أبي بردة ، عن أبي موسى ، قال : وجع أبو موسى وجعاً فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله ، فأقبلت تصيح برنة فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً ، فلما أفاق قال : إني بريء ممن برىء منه محمد صلى الله عليه وسلم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم برىء من الصَّالِقَةِ وَالْحَالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ .

(١) رواه أبو داود رقم (٣١٣١) في الجنايز : باب في النوح ، وإسناده صحيح .  
قوله : « لا نخمش وجهاً » : لا تلطمه ولا نخدشه . قوله : « ولا ندعو ويلاً » : أي لا نقول كما كان أهل الجاهلية يقولون : يا ويلاه . قوله : « لا نشق جيباً » : أي لا نمزق أثوابنا ، وقد قال لبید بن ربیعۃ :

فقوما فقولاً بالذي تعلمانه ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا الشعر

(٢) رواه البخاري ٣ / ١٣٣ في الجنايز : باب ليس منا من ضرب الخدود ، وباب ليس منا من شق الجيوب ، وباب ما ينهى عن الويل ودعوى الجاهلية عند المصيبة ، وفي الأنبياء : باب ما ينهى من دعوى الجاهلية ، ومسلم رقم (١٠٣) في الإيمان : باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية ، والترمذي رقم (٩٩٩) في الجنايز : باب ما جاء في النهي عن ضرب الخدود وشق الجيوب عند المصيبة ، والنسائي ٤ / ٢٠ في الجنايز : باب ضرب الخدود ، وأحمد في المسند ١ / ٣٨٦ و ٤٣٢ و ٤٤٢ و ٤٥٦ و ٤٦٥ .

قوله : « أو دعا بدعوى الجاهلية » : هي النياحة وندبة الميت والدعاء بالويل وشبهه . والمراد بالجاهلية ما كان في الفترة قبل الاسلام .

رواه البخاري ومسلم عن الحكم بن موسى ، إلا أن البخاري لم يذكر أنه حدثه به ، بل قال : قال الحكم بن موسى فهو عنده معلق (١) .

قوله « الصَّالِقَةُ » يعني التي ترفع صوتها عند المصيبة ، « والحالقة » التي تحلق شعرها ، و« الشَّاقَّة » التي تشق ثوبها .

وعن أم عطية قالت : أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ الْبَيْعَةِ أَنْ لَا نَنْوَحَ ، فَمَا وَفَّتْ مِنَّا امْرَأَةٌ غَيْرَ خَمْسٍ نِسْوَةٍ ، أُمُّ سُلَيْمٍ ، وَأُمُّ الْعَلَاءِ ، وابنة أبي سَبْرَةَ امرأة معاذٍ ، وامراتان ، أو ابنة أبي سبرة وامرأة معاذ وامرأة أخرى . رواه البخاري ، وهذا لفظه ، ومسلم (٢) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : أخذ النبي صلى الله عليه وسلم على النساء حين بايعنَّ ، أن لا يُنْحَنَ ، فقلن : يا رسول الله ! إن نساء أسعدتنا في الجاهلية أفنسعهنَّ في الإسلام ؟ فقال : « لا إسعاد في الإسلام » رواه الإمام أحمد (٣) .

---

(١) رواه البخاري تعليقاً ٣ / ١٣٢ في الجنائز : باب ما ينهي من الخلق عند المصيبة ، وقد وصله مسلم رقم (١٠٤) في الإيمان : باب تحريم ضرب الحدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية ، وأبو داود رقم (٣١٣٠) في الجنائز : باب في النوح ، والنسائي ٤ / ٢٠ في الجنائز : باب السلق وباب الخلق ، وأحمد في « المسند » ٤ / ٣٩٦ و ٣٩٧ و ٤٠٤ و ٤٠٥ و ٤١١ و ٤١٦ .  
قوله : « برنة » الرنة صوت مع البكاء فيه ترجيع .

(٢) رواه البخاري ٣ / ١٤١ في الجنائز : باب ما ينهي من النوح والبكاء والزجر من ذلك ، وفي تفسير سورة الممتحنة ، وفي الأحكام : باب بيعة النساء ، ومسلم رقم (٩٣٦) في الجنائز : باب التشديد في النياحة ، والنسائي ٧ / ١٤٨ و ١٤٩ في البيعة : باب بيعة النساء ، وأبو داود رقم (٣١٢٧) في الجنائز : باب في النوح ، وأحمد في « المسند » ٥ / ٨٥ ، وانظر ما قاله الحافظ في « الفتح » ٣ / ١٤١ و ١٤٢ .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ٣ / ١٩٧ ، ورواه أيضاً النسائي ٤ / ١٦ في الجنائز : باب النياحة على الميت ، وصححه ابن حبان (٧٣٨) قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٠٤٥) : صحيح .  
قوله : « لا إسعاد » : هو إسعاد النساء في المناحات ، تقوم المرأة فتقوم معها أخرى من جاراتها فتساعدها على النياحة ، وقيل : كان نساء الجاهلية يُسعد بعضهن بعضاً على ذلك سنةً ، فهين عن ذلك .

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَرَبُّ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ : الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ ، وَالْاِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ ، وَالنِّيَاحَةُ » . وقال « النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتَّبِ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سَرْبَالٌ مِنْ قَطْرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ » انفراد بإخراجه مسلم<sup>(١)</sup> .

وفي حديث جابر في قصة إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم ، وفيه ، ألم تنه عن البكاء ؟ قال : « لَا ، وَلَكِنْ نَهَيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحَقَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ : صَوْتٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ ، خَشٍ وَجُوهٍ وَشَقٍّ جُيُوبٍ وَرَنَّةَ شَيْطَانٍ » . . . الحديث رواه الترمذي<sup>(٢)</sup> .

وكذلك تقدمت قصة قتل زيد بن حارثة وأصحابه من حديث عائشة قالت : لما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة ، جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعْرِفُ فِي وَجْهِهِ الْحُزْنَ ، قالت عائشة : وأنا أنظر من صَائِرِ الباب - شَقَّ الباب - فأتى رجل فقال : يا رسول الله ! إن نساء جعفر ، وذكر بكاءهنّ ، فأمره أن يذهب فينهاهنّ ، فذهب فاتاه فذكر أنهنّ لم يُطْعِمْنَهُ ، فأمره الثانية أن ينهاهنّ ، فذهب ثم أتاه ، فقال : والله لقد غَلَبَتْنَا يا رسول الله ، قالت : فزعمت أن رسول الله

(١) رقم (٩٣٤) في الجنايز : باب التشديد في النياحة ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٥ / ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٤ .

قوله : « أربع » : أي خصال أربع كائنة في أمتي من أمور الجاهلية . قوله : « لا يتركونهن » : أي كل الترك ، إن تركه طائفة يفعله آخرون . قوله : « والاستسقاء بالنجوم » : يعني اعتقادهم نزول المطر بسقوط نجم في المغرب مع الفجر ، وطلوع آخر يقابله من المشرق ، كما كانوا يقولون : مطرنا بنوء كذا . قوله « ودرع من جرب » : يعني يسلط على أعضائها الجرب والحكة بحيث يغطي بدنها تغطية الدرع ، وهو القميص .

(٢) رواه الترمذي رقم (١٠٠٥) في الجنايز : باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت . وهو حديث حسن .

صلى الله عليه وسلم قال : « اذْهَبْ فَاحْثُ فِي أَفْوَهِهِنَّ التُّرَابَ » قالت عائشة : فقلت أرغم الله أنفك ، والله ما تفعل ما أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم من العناء . رواه البخاري ومسلم ، وهذا لفظه (١) .

وعن عبيد بن عمير عن أم سلمة ، قالت : لما مات أبو سلمة قلت : غريب وفي أرض غريبة لأبْكِيْنَهُ بكاء يُتَحَدَّثُ عَنْهُ . فكنت قد تَهَيَّأتُ للبكاء عليه إذا أقبلت امرأة من الصَّعِيدِ تريد أن تُسْعِدَنِي ، فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « أَتُرِيدِينَ أَنْ تُدْخِلِي الشَّيْطَانَ بَيْتًا أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْهُ مَرَّتَيْنِ » ؟ فكففت عن البكاء فلم أبك . انفراد بإخراجه مسلم (٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النَّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّ النَّايِحَةَ إِذَا لَمْ تَتَّبَقْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ ، فَإِنَّهَا تُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهَا سَرَابِيلٌ مِنْ قِطْرَانٍ ، ثُمَّ يُعْلَى عَلَيْهَا بِدِرْعٍ مِنْ لَهَبِ النَّارِ » رواه ابن ماجه من رواية عمر بن راشد اليمامي وقد ضعفه غير واحد (٣) .

---

(١) رواه البخاري ١٣٣/٣ و ١٣٤ في الجنائز : باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن ، وباب ما ينهي عن النوح والبكاء والزجر عن ذلك ، وفي المغازي : باب غزوة مؤتة من أرض الشام ، ومسلم رقم (٩٣٥) في الجنائز : باب التشديد في النياحة ، وأبوداود رقم (٣١٢٢) في الجنائز : باب الجلوس عند المصيبة ، والنسائي ١٥ / ٤ في الجنائز : باب النهي عن البكاء على الميت ، وأحمد في « المسند » ٥٩ / ٦ .

قوله : « فاحثٌ في أفواههن من التراب » : يقال حثا يحثو ، وحتى يحثي لغتان ، والمعنى : ارم في أفواههن التراب ، والأمر بذلك مبالغة في إنكار البكاء ومنعهن منه . قولها : « أرغم الله أنفك » : أي الصقك بالرغام وهو التراب ، أي : أذلك الله ، فإنك آذيت رسوله وما كففتهم عن البكاء .

(٢) رقم (٩٢٢) في الجنائز : باب البكاء على الميت . وأحمد في « المسند » ٢٨٩ / ٦ .

(٣) رواه ابن ماجه رقم (١٥٨٢) في الجنائز : باب في النهي عن النياحة ، قال البوصيري « الزوائد » : في إسناده عمر بن راشد ، قال فيه الإمام أحمد : حديثه ضعيف ليس بمستقيم ، وقال =

وقد روي في « صحيح مسلم » بآتم من هذا وأبين<sup>(١)</sup> .

وعن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الخامسة وجهها ، والشاقة جيبها ، والداعية بالويل والثبور . رواه ابن ماجه<sup>(٢)</sup> .

والثبور : الهلاك ، ومنه قوله تعالى : ﴿ دَعُوا هُنَالِكَ ثُبوراً ﴾ [ الفرقان : ١٣ ] أي صاحوا : واهلاكاه .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة » . رواه أبو داود<sup>(٣)</sup> من رواية عطية العوفي وقد تكلم فيه .

## فصل

### فيما ورد من عذاب الميت بالنياحة

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الميت يُعَذَّبُ في قبره بما نيح عليه » وفي رواية « يُعَذَّبُ مَا نِيحَ

---

= ابن معين : ضعيف ، وقال البخاري : حديثه عن يحيى بن أبي كثير مضطرب ، ليس بالقائم ، وقال ابن حبان : يضع الحديث لا يحمل ذكره إلا على سبيل القدر فيه ، وقال الدارقطني في « العلل » : متروك اهـ . وهو حديث صحيح ، كما قال في « صحيح ابن ماجه » . قوله : « سرايل » : جمع سربال ، بمعنى القميص . قوله : « يعلى » : من العلو : أي : ويجعل فوق ذلك القميص قميص من نار .

(١) رواه مسلم رقم (٩٣٤) في الجنائز : باب التشديد في النياحة .

(٢) ابن ماجه (١٥٨٥) ، وابن حبان (٧٣٧) عن أبي أسامة عن عبد الرحمن بن يزيد عن جابر عن مكحول ، والقاسم عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن . . . قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » (٢١٤٧) : وهذا إسناد حسن رجاله ثقات رجال مسلم ، غير القاسم ، وهو ابن عبد الرحمن الدمشقي ، صاحب أبي أمامة ، وهو حسن الحديث ، وقد قرن به مكحولاً ، وهو ثقة . فكان ينبغي أن يصحح الحديث لولا أنه مدلس وقد عز منه .

(٣) رقم (٣١٢٨) في الجنائز : باب في النوح ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٦٥ / ٣ وإسناده ضعيف انظر « إرواء الغليل » رقم (٧٦٩) .

عَلَيْهِ . ولم يذكر « في قبره » رواه البخاري ومسلم<sup>(١)</sup> .

وعر المغيرة بن شعبة قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم يقول :  
« إِنَّهُ مَنْ يُنَحَّ عَلَيْهِ يُعَذَّبُ بِمَا نِيَحَّ عَلَيْهِ » رواه البخاري ومسلم<sup>(٢)</sup> .

وعن أسيد بن أبي أسيد عن موسى [ بن أبي موسى عن أبيه ] أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ ، إِذَا قَالَتِ النَّائِحَةُ : وَاغْضُدَاهُ وَاغْضُدَاهُ وَاكْسِبَاهُ جُبْدَ الْمَيِّتِ وَقِيلَ لَهُ : أَنْتَ غَضُدَاهُ أَنْتَ نَاصِرُهَا أَنْتَ كَاسِبُهَا » ؟ فقلت : سبحان الله يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [ الأنعام : ١٦٤ ، فاطر : ١٨ ] ، فقال : أحدثك عن أبي موسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول هذا فأينا كذب ؟ فوالله ما كذبت على أبي موسى ولا كذب أبو موسى على رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> .

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّا كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبِ عَلَيَّ أَحَدٍ ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ نِيَحَّ عَلَيْهِ يُعَذَّبُ بِمَا نِيَحَّ عَلَيْهِ » رواه البخاري ، وهذا لفظه ، ومسلم .

وعن النعمان بن بشير ، قال : « أَغْمِيَ عَلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَجَعَلَتْ

---

(١) رواه البخاري ٣ / ١٢٨ في الجنائز : باب قول النبي ﷺ : « يعذب الميت ببكاء أهله عليه » ، وباب ما يكره من النياحة على الميت ، ومسلم رقم (٩٢٧) في الجنائز : باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، والترمذي رقم (١٠٠٢) في الجنائز : باب ما جاء في كراهية البكاء على الميت ، والنسائي ٤ / ١٦ و ١٧ في الجنائز : باب النياحة على الميت ، وأحمد في « المسند » ١ / ٢٦ و ٣٦ .

(٢) رواه البخاري ٣ / ١٣٠ في الجنائز : باب ما يكره من النياحة على الميت ، ومسلم رقم (٩٣٣) في الجنائز : باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، والترمذي رقم (١٠٠٠) في الجنائز : باب ما جاء في كراهية النوح ، وأحمد في « المسند » ٤ / ٢٤٥ و ٢٥٢ و ٣٧٧ .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ٤ / ٤١٤ ، وابن ماجه (١٥٩٤) ، وهو حديث حسن .

أُخْتُهُ عَمَوَة تَبْكِي وتقول : واجبلاه واكذا واكذا تُعَدُّ عَلَيْهِ ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا وقد قيل لي أنت كذلك ! فلما مات لم تبك عليه . رواه البخاري (١) .

وروى الترمذي في « جامعہ » عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتَ فَيَقُومُ بِأَكْيَهُمْ فَيَقُولُ : وَاجْبَلَاهُ وَاسَيِّدَاهُ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، إِلَّا وَكَّلَ بِهِ مَلَكَانِ يَلْهَزَانِهِ : أَهَكَذَا كُنْتَ ؟ » قال الترمذي : حديث حسن غريب (٢) .

قوله : « يلهزانه » ، اللهز : الدفع بجميع اليد في الصدر .

## فصل

وليعلم أن البكاء المجرد ليس فيه منفعة للميت البتة وإنما ينفعه عمله ، كما في صحيح البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثٌ ، أَهْلُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعَمَلُهُ ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ : يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ » . (٣) .

وفي « الصحيح » : « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » (٤) . فلا منفعة للميت بالبكاء والانزعاج .

(١) ٣٩٧ / ٧ في المغازي : باب غزوة مؤتة .

(٢) رواه الترمذي رقم (١٠٠٣) في الجنائز : باب ما جاء في كراهية البكاء على الميت ، وابن ماجه رقم (١٥٩٤) في الجنائز : باب ما جاء في الميت يعذب بما ينح عليه ، وهو حديث حسن ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وقال الحافظ في « التلخيص » : ورواه الحاكم وصححه ، وقال : وشاهده في « الصحيح » عن النعمان بن بشير يريد الحديث المتقدم .

(٣) رواه البخاري ١١ / ٣١٥ في الرقاق : باب سكرات الموت ، ومسلم رقم (٢٩٦٠) في الزهد في فاتحته ، والترمذي رقم (٢٣٨٠) في الزهد : باب رقم (٤٦) ، وأحمد في « المسند » ١١٠ / ٣ .

(٤) تقدم تخريجه ص (٤٧) رقم (٢) .



قال أبو الفرج ابن الجوزي : أما بعد ، فإني رأيت عموم الناس ينزعجون لنزول البلاء انزعاجاً يزيد على الحد ، كأنهم ما علموا أن الدنيا على ذا وضعت . وهل ينتظر الصحيح إلا السقم ، والكبير إلا الهرم ، والموجود سوى العدم . كما قيل .

عَلَى ذَا مَضَى النَّاسُ اجْتِمَاعٌ وَفِرْقَةٌ وَمَيِّتٌ وَمَوْلُودٌ وَبِشْرٌ وَأَحْزَانٌ  
وما أحسن ما روي عن بعض السلف أن رجلاً جاءه وهو يأكل طعاماً ، فقال له : قد مات أخوك ، اعظم الله أجرك فيه ، فقال : اقعد وكل ، فقد علمت ذلك ، فقال : من أعلمك وما سبقني إليك أحد ؟ قال قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [ آل عمران : ١٨٥ ] . ثم قال : ولعمري إن أصل الانزعاج لا ينكر إذا الطبع مجبول على الجزع من حلول المنيا ، وإنما ينكر الإفراط فيه والتكليف ، كمن يخرق ثيابه ويلبس الثياب المردولة عند موت قريبه ، ويلطم وجهه ، ويعترض على القدر ، وهذا ومثله وأكثر منه لا يردُّ فائتاً ، لكنه يدل على خور الجازع ويوجب العقوبة مع ما يفوته من الأجر والثواب .

قال بعض الحكماء . إذا كان الصبر محموداً عند المصائب ومرغوباً فيه عند حلول النوائب ، فالجزع مذموم بكل مقال ، وصاحبه ملوم في كل حال ، فتعجل المحمود عند العقلاء أحسن ، وتجنب المذموم من الخصال أزين .

## فصل

وفي بعض ما تقدم من أحاديث النهي هذه كفاية لمن تدبرها ، وكيف لا تكون هذه الخصال القبيحة منهياً عنها ، وهي مشتملة على التسخط على الرب عز وجل ، الفعال لما يشاء ، الحاكم بما يريد ، المتصرف في عبيده بما يختار من موت وغرق وحرق ، وغير ذلك مما قضاه وقدره وأمضاه ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، بل فعل النوح ، وشق الثياب ، ولطم الخدود ، وخمش الوجوه ، ونبش الشعر ونتفه ، والتحفي ، وتسويد الوجه

والبدن ، والدعاء بالويل والثبور ، وغير ذلك من الأقوال والأفعال المنكرة التي ورد الشرع بالنهي عنها ، وذم فاعلها وأنّ فاعلها شرع في الدين ما لم يأذن به الله ولا رسوله ، هو منافٍ للرضا والصبر ، ويضر بالنفس والبدن ، ولا يرد من قضاء الله وقدره شيئاً .

وقد بلغني عن أناس أعرفهم أصيبوا بمصيبة أزعجوا أنفسهم لأجل مصابهم ببعض ما ذكر فأورثهم ذلك مرضاً وحمى ، فإذا استسلم المصاب وانقاد ووكّل الأمر لمن بيده الخلق والأمر ، وعلم أن سعادة العباد في معاشهم ومعادهم باتباع الرسل ، فتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمره به وفيما نهاه عنه ، وكان مما جاء به تحريم هذه الأفعال والأقوال المنكرة التي تقدم ذكرها . بل « العَيْنُ تَدْمَعُ وَالْقَلْبُ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ مَا يَسْخَطُ رَبَّنَا »<sup>(١)</sup> فإذا سمع المصاب ذلك فأطاع وانقاد حصلت له السعادة الأبدية باتباعه الرسول في أقواله وأفعاله ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ... ﴾ الآية [ الحشر : ٧ ] .

## فصل

والذي ينبغي أولاً لمن غلب على الظنّ أنه يصاب بالموت في مرضه أن يعامل بأحسن المعاملات بما ينفعه في قبره ويوم معاده ، فيذكره الآخرة ، ويأمره بالوصية والتوبة ، ويلقنه شهادة أن لا إله إلا الله لتكون آخر كلامه .

ويكون قبل ذلك قد نهى عن لطم الخدود وشق الثياب وتمزيقها ، ونشف الشعر ورفع الصوت بالندب والنياحة وغير ذلك من قول وفعل منكر ، ويكون مع ذلك في هذه الحالة رجاءه بالله أكثر من خوفه ، وهو كثير الحمد والاسترجاع والرضا عن الله عز وجل .

وقد روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن محمد بن مسلمة ، قال : بلغني أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ! أوصني

---

(١) تقدم تخريجه ص (٥٣) رقم (١) .

ولا تكثر عليّ . قال : « لَا تَتَّهَمُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي شَيْءٍ قَضَاهُ لَكَ »<sup>(١)</sup> .

وروى أيضاً بإسناده قال لعائشة رضي الله عنها : ما كان أكثر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته إذا خلا ؟ قالت : كان أكثر كلامه إذا خلا في بيته « مَا يُقْضَى مِنْ أَمْرٍ يَكُنْ »<sup>(٢)</sup> .

فهذا رسول رب العالمين يقول هذه المقالة وهو أعرف الخلق وأعلمهم بالله ؛ فإذا وطن العبد نفسه على أن ما يقضى من أمر يكن لا محالة ، فإتعب النفس والبدن فيما لا يجدي شيئاً ليس من حصافة العقل ، ويعلم أن الدنيا موضوعة على الكدر ، فالبناء إلى نقض ، والجمع إلى تفريق ، ومن رام بقاء ما لا يبقى كان كمن رام وجود ما لا يوجد ، فلا ينبغي أن يطلب من الدنيا ما لم توضع له .

## فصل

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ » و « إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِالنِّيَّاحَةِ عَلَيْهِ »<sup>(٣)</sup> وقد تقدمت هذه الأحاديث ، فاختلف السلف والخلف في ذلك .

فقلت طائفة : الله يتصرف في خلقه بما يشاء وأفعال الله لا تعلل . ولا فرق بين التعذيب بالنوح عليه والتعذيب بما هو منسوب إليه ؛ لأن الله تعالى خالق الجميع ، والله تعالى لا يؤلم الأطفال والبهائم والمجانين بغير عمل عملوه .

---

(١) قال الهيثمي في « المجمع » ٥٩/١ ، والحافظ العراقي في « تخریج الإحياء » ١٣٠/٤ : رواه أحمد والطبراني من حديث عبادة رضي الله عنه ، وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف .

(٢) وروى معناه ابن حبان في « صحيحه » رقم (١٨١٦) « موارد » من حديث أنس رضي الله عنه قال : خدمت النبي ﷺ عشرين سنين ، فما بعثني في حاجة لم أتمها إلا قال : « لو قضى الله لكان ، أو لو قدر لكان » .

(٣) تقدم تخریجه ص (٧٠) .

وقال طائفة أخرى : هذه الأحاديث لا تصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنكرتها عائشة رضي الله عنها واحتجت بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [ الأنعام : ١٦٤ ، فاطر : ١٨ ] ثم أحاديث لم نذكرها بعد وهي مما استدلت بها عائشة رضي الله عنها .

ومنها عن عروة ، قال : ذكر عند عائشة أن ابن عمر رضي الله عنهما يرفع ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ » . فقالت : ذهل إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِخَطِيئَتِهِ أَوْ بِذَنْبِهِ وَإِنْ أَهْلَهُ لَيَكُونُ عَلَيْهِ الْآنَ » .

وذلك مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم : قام على القليب يوم بدر وفيه قتلى بعض المشركين : فقال لهم ما قال : إنهم ليسمعون ما أقول . وقد ذهل : إنما قال : « إِنَّهُمْ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ » . ثم قرأ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ [ النمل : ٨٠ ] ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [ فاطر : ٢٢ ] يقول : تبؤوا مقاعدكم من النار» رواه البخاري ومسلم ، وهذا لفظه<sup>(١)</sup> . هكذا ساقه بطوله الحافظ الضياء .

وعن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة ، قال : توفيت بنت لعثمان بمكة وجئنا لنشهدها ، وحضر ابن عمر وابن عباس ، وإني لجالس بينهما أو قال جلست إلى أحدهما ، ثم جاء الأخير فجلس إلى جنبي ، فقال عبد الله ابن عمر لابن عباس : ألا تنتهي عن البكاء ، فإن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) رواه البخاري ٧/ ٢٣٦ في المغازي : باب شهود الملائكة بدرًا ، وفي الجنائز : باب ما جاء في عذاب القبر ، ومسلم رقم (٩٣٢) في الجنائز : باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه . قوله : « القليب » يعني قليب بدر ، وهو حفرة رميت فيها جيف كفار قريش المقتولين ببدر ، وفسر بالبئر العادية القديمة ، ولفظه مذكر ، ليس كلفظ البئر ، ولذا قال : وفيه قتلى بدر ، والقتلى جمع قتيل . قوله : « فقال لهم ما قال » : هو قوله : هل وجدتم ما وعدتم . قوله : « حين تبؤوا مقاعدكم من النار » : أي اتخذوا منازل منها ونزلوها .

وسلم قال : « إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ » ! فقال ابن عباس : قد كان عمر يقول بعض ذلك . ثم حدث قال : صدرت مع عمر من مكة حتى إذا كنا بالبيداء إذا هو بركب ، حتى أتى ظل سمرة قال : اذهب فانظر من هؤلاء الركب ؟ فنظرت فإذا صهيب فأخبرته ، فقال : ادعه لي ، فرجعت إلى صهيب فقلت له : ارتحل فالحق أمير المؤمنين ، فلما أصيب عمر دخل صهيب يبكي يقول : وأخاه واصحابه ، فقال عمر : يا صهيب ، أتبكي عليّ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ » . قال ابن عباس : فلما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة ، فقالت : يرحم الله عمر ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللَّهَ لَيَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَاباً بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ » . وقالت : حسبكم القرآن ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [ الأنعام : ١٦٤ ، فاطر : ١٨ ] قال ابن عباس رضي الله عنهما عند ذلك : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ [ النجم : ٤٣ ] قال ابن أبي مليكة : والله ما قال ابن عمر شيئاً . رواه البخاري ، وهذا لفظه ، ومسلم <sup>(١)</sup> .

وفي صحيح البخاري ومسلم أن عائشة رضي الله عنها ذكر لها أن عمر وابنه عبد الله يقول : « إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ » . قالت : إنكم لتحدثوني عن غير كاذبين ولا متهمين ولكن السمع يخطيء ، وفي لفظ قالت : يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما إنه لم يكذب ولكنه نسي وأخطأ ، إنما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكي عليها فقال : « إِنَّهُمْ لَيَكُونُ عَلَيْهَا وَإِنَّهَا لَتُعَذَّبُ فِي قَبْرِهَا » <sup>(٢)</sup> .

(١) رواه البخاري ١٢٧/٣ في الجنائز : باب قول النبي ﷺ : « يعذب الميت ببكاء أهله عليه » ، مسلم رقم (٩٢٨) في الجنائز : باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، والنسائي ١٨/٤ - ١٩ في الجنائز : باب النياحة على الميت .

(٢) رواه الجماعة : إلا أبا داود ، انظر « جامع الأصول » رقم (٨٥٦٤) .

وقالت طائفة أخرى : قوله « إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِنَوْحِ أَهْلِهِ » ، محمولٌ على من أوصى به أو كانت من عاداتهم ذلك ولم ينههم . يعني يوصي قبل موته أن لا يحدثوا قولاً ولا فعلاً منكراً . وهذا كان مشهوراً عند العرب ، وهو كثير في أشعارهم كقول طرفة :

إِذَا مِتُّ فَانْعِينِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ      وَشُقِّي عَلَيَّ الْجَيْبَ يَا ابْنَةَ مَعْبَدٍ  
وقال لبید :

فَقُومَا فَقُولَا بِالَّذِي قَدْ عَلِمْتُمَا      وَلَا تَخْمِشَا وَجْهًا وَلَا تَحْلِقَا شَعْرَا  
وَقُولَا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا حَلِيفَهُ      أَضَاعَ وَلَا خَانَ الصَّدِيقَ وَلَا غَدَرَا

وقالت طائفة أخرى : وهو محمول على من سنته وسنة قومه البكاء والنوح وقد اشتهر أن هذا معروف منهم ؛ فإذا لم ينههم دخل في الوعيد ، لأن ترك نهيه عن البكاء دليل على رضائه به منهم . وهذا قول عبد الله بن المبارك ، وهذا القول والذي قبله هو قول واحد ، وقد حكى بعض أهل العلم : أن هذين القولين متباينين ولم يظهر لي ذلك ، والله أعلم .

وقال أبو البركات ابن تيمية رحمه الله : هذا القول هو أصح الأقوال كلها وأرجحها لأنه إذا غلب على ظنه فعلهم له ولم يوصهم بتركة فقد رضي به ، وصار كمن ترك النهي عن المنكر مع القدرة عليه ، فأما إذا أوصاهم بتركة فخالفوه فالله أكرم من أن يعذبه بذلك .

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله : وقد حصل بهذا القول إجراء الخبر على عمومته في أكثر الموارد ، وإنكار عائشة رضي الله عنها لذلك بعد رواية الثقات لا يُعَوَّل عليه ، فإنهم قد يحضرون ما لا تحضره ، ويشهدون ما تغيب عنه ، واحتمال السهو والغلط بعيد جداً خصوصاً في حق خمسة من أكابر الصحابة ، وقد تقدم ذكره عن أكثر من خمسة من الصحابة .

وقوله في اليهود لا يمنع أن يكون قد قال ما رواه عنه هؤلاء الصحابة

في أوقات آخر ، ثم هي محجوجة بروايتها عنه أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ يَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَاباً بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ » فإذا لم يمتنع زيادة الكافر عذاباً بفعل غيره مع كونه مخالفاً لظاهر الآية . لم يمتنع ذلك في حق المسلم أن الله سبحانه كما لا يظلم عبده المسلم لا يظلم الكافر ، والله تعالى أعلم .

## فصل

واعلم - رحمك الله - أن هذه الأحاديث لا تحتاج إلى شيء من هذه التعسفات ، وليس فيها بحمد الله إشكال ولا مخالفة لظاهر القرآن ، ولا لقاعدة من قواعد الشرع ، ولا تتضمن عقوبة الإنسان بذنب غيره ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل : إن الميت ليعاقب ببكاء أهله عليه أو بنوح أهله عليه ، وإنما قال إنه ليعذب بذلك . ولا ريب أن ذلك يؤلمه ويعذبه ، والعذاب هو الألم الذي يحصل له وهو أعم من العقاب ، والأعم لا يستلزم الأخص . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ » (١) .

وهذا العذاب يحصل للمؤمن والكافر ، ويحصل للميت الألم في قبره بمجاورة أهل البدع والفسق والعصيان ، ويتأذى بذلك كما يتأذى الإنسان في الدنيا بما يشاهده من عقوبة جاره . ونص الإمام أحمد على أن الموتى يتأذون بفعل المعصية عندهم ؛ فإذا بكى أهل الميت عليه البكاء المحرم ، من لطم الخدود ، وتمزيق الثياب ، وخمش الوجوه وتسويدها ، وقطع الشعر ونتفه ، ودعا بدعوى الجاهلية ، وكل هذا موجود في غالب جهال أهل زماننا ، فإذا وجدت هذه الأفعال والأقوال على هذا الوجه حصل للميت الألم في قبره

---

(١) رواه البخاري ٤٩٦ / ٣ في الحج : باب السفر قطعة من العذاب ، وفي الجهاد : باب السرعة في السير ، وفي الأطعمة : باب ذكر الطعام ، ومسلم رقم (١٩٢٧) في الإمارة : باب السفر قطعة من العذاب ، و«الموطأ» ٩٨٠ / ٢ في الاستئذان : باب ما يؤمر به من العمل في السفر ، وأحمد في «المسند» ٢ / ٢٣٦ و ٤٤٥ و ٤٩٦ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ولفظه بتمامه عن مسلم : « السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحداكم نومه وطعامه وشرابه ، فإذا قضى أحداكم نهمة من وجهه ، فليعجل إلى أهله » .

بذلك ، فهذا التآلم هو عذابه بالبكاء عليه ، وهذا معنى ما ذهب اليه شيخ الإسلام ابن تيمية .

## فصل

قد يستحوذ الشيطان على المريض ، فيوسوس له بأنك ستفارق المحبوبات وتخرج من الدنيا إلى مكان فظيع مُوحش ، وتلقى بين أطباق الثرى وكيف يؤلمك ، فربما أسخطه على ربه وكرهه لقاء الله عز وجل ، وربما أنطقه بكلام يتضمن نوع إغراض وتسخط . ثم يوسوس لأقاربه بأنه لا بد أن يفوتكم من برّه وإحسانه ما يزيد عن الوصف ، أو أنه كان قد نشأ منشأ حسناً ، وقد بدأ يترقى إلى المناصب العالية ، فيهيح هؤلاء على البكاء المحرم وفعل ما لا يجوز فعله ، ويهيح المريض على الحزن على فراق الدنيا .

فينبغي لكلا الطائفتين أن يتداوا بالأدوية الشرعية ، وقد تقدم في الباب الأول ما فيه كفاية من الأدوية الإلهية فلا حاجة إلى تكرارها ، ولكن يجاب عن هذا بجوابين :

أحدهما : أن الأغلب فيمن يفارقه أنه يؤثر فراقه خصوصاً إن كان شيخاً كبيراً ، أو أنه شاب أو كهل يحجر على من ذكرته من قرابة أو ولد ونحوه ، أو له خلق شديد وأخص منه إن كان ذا مال .

وقد رأيت في زماننا من كان من أصحاب الأموال وهو محسن لأهله وأقاربه ، فمرض فأوصى بوصايا لأقاربه لمن ليس بوارث في الحال ، فلما مات خلف مالاً جزيلاً ، فاشتغل الوارث وغيره بالمال عن الحزن عليه ، فأخذوا في الخصام عليه وتفرقتهم . فهذا وهو محسن إليهم بماله وما أخذوه فهو سريع الذهاب ؛ وأما برّه إليهم لو بقي حصل لهم أضعاف ذلك . فلا ينبغي للبعد أن يحزن لفراق من لا يحزن لفراقه .



وذكر أبو القاسم ابن عساكر ، قال : أنشدني محمد بن الأشعث لنفسه  
في ذم الحزن من حيث هو :

قَلَمُ الْقَضَاءِ جَرَى بِكُلِّ مُكَوِّنٍ      يَا صَاحِبَ الْأَحْزَانِ مَاذَا يُحْزَنُ !  
إِنْ كَانَ سُخْطُكَ لَيْسَ يَجْلِبُ رَاحَةً      فَرِضَاكَ بِالْبَلَوَى أَحَقُّ وَأَحْسَنُ

والثاني : الرجاء لملاقاة من هو أحب إليه منه ، وما من مؤمن يموت  
فيؤثر الرجوع إلى الدنيا ولو أنها جميعها له إلا الشهيد، فإنه يحب الرجوع  
ليقاتل مرة أخرى لما يرى من عظم أجرة الشهادة كما سيأتي ذكره بعد . وقد  
روى الإمام أحمد في « مسنده »<sup>(١)</sup> أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا  
مِنْ نَفْسٍ مُؤْمِنَةٍ مُسْلِمَةٍ يَقْبِضُهَا رَبُّهَا عَزَّ وَجَلَّ تُحِبُّ أَنْ تَعُودَ إِلَيْكُمْ وَأَنَّ لَهَا  
الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا غَيْرَ الشَّهِيدِ » .

## فصل

### فيما ذكر في النعي

وهو إعلام الناس بموت الشخص على ما يفعله أهل زماننا بالكبير أو  
بالمشهور ويرسلون منادياً يعلم الناس به .

قال العلامة ابن القيم في « الهدى »<sup>(٢)</sup> : وكان من هديه صلى الله عليه وآله  
وسلم ترك نعي الميت بل كان ينهى عنه ويقول : هو من عمل الجاهلية  
انتهى كلامه .

وقال الحافظ ضياء الدين رحمه الله في « أحكامه » : باب كراهة

---

(١) رواه النسائي ٣٣/٦ ، وأحمد في « المسند » ٢١٦/٤ ، من حديث أبي عميرة رضي الله عنه . قال  
الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٥ / ٢٩٧ : رواه أحمد ورجاله ثقات ، وهو حديث حسن .

(٢) انظر « زاد المعاد » ٥٢٨/١ .

النعي ، وساق في الباب ثلاثة أحاديث ، منها عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إِيَّاكُمْ وَالنَّعْيَ ، فَإِنَّ النَّعْيَ مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ» قال عبد الله : أذَانٌ بِالمَيِّتِ . رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب<sup>(١)</sup> .

وعن حذيفة قال : إذا مت فلا تؤذنوا بي أحداً إنني أخاف أن يكون نعيّاً ، فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَنْهَى عَنِ النَّعْيِ . رواه الإمام أحمد وابن ماجه والترمذي وهذا لفظه وحسنه .

وعند ابن ماجه كان حذيفة إذا مات له الميت قال : لا تؤذنوا به أحداً إنني أخاف أن يكون نعيّاً ، إنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذنيّ هاتين يَنْهَى عَنِ النَّعْيِ . وروى أحمد أيضاً هذه الزيادة كما رواه ابن ماجه ، لكن لم يقل بأذنيّ هاتين<sup>(٢)</sup> .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا إسماعيل بن ابراهيم ، أخبرنا ابن عون قال : قلت لإبراهيم : أكان النعي يكره ؟ قال : نعم ، قال إبراهيم : إذا توفي الرجل يركب رجل دابته ثم صاح في الناس : أنعي فلاناً .

---

(١) الترمذي رقم (٩٨٤) في الجنائز : باب ما جاء في كراهية النعي ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وهو كما قال . قال الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٢٢١٠) : ضعيف . أقول : والذي عليه الجمهور أن مطلق الإعلام بالموت جائز ، لما ورد أن النبي ﷺ نعى النجاشي ، قال الحافظ في «الفتح» : والحاصل أن محض الإعلام بذلك لا يكره ، فإن زاد على ذلك فلا .

(٢) رواه الترمذي إلى قوله : «عن النعي» رقم (٩٨٦) في الجنائز : باب ما جاء في كراهية النعي ، وابن ماجه رقم (١٤٧٦) في الجنائز : باب ما جاء في النهي عن النعي ، وأحمد في «المسند» ٥ / ٣٨٥ و ٤٠٦ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وهو كما قال . وفي بعض النسخ : حسن صحيح .

قوله : «نعيّاً» بفتح نون وسكون عين ، وقيل : بكسر عين وتشديد ياء ، أصله خبر الموت .

وبإسناده إلى ابن عون قال : سمعت بالكوفة أن شريحاً كان لا يؤذن بجنائز أحد ، فذكرت ذلك لمحمد بن سيرين ، فقال : إن شريحاً كان مكياً ، ما أعلم به بأساً أن يؤذن الرجل صديقه ، ويؤذن الرجل جمعه .

وذكر بإسناده حدثنا حماد عن إبراهيم أنه قال : لا بأس إذا مات الرجل أن يؤذن صديقه وأصحابه إنما يكره أن يطاف في المجالس فيقال : أنعي فلاناً فعل الجاهلية .

وقد روى الترمذي عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ بِأَكْيَهُمْ فَيَقُولُ : وَاجِبَلَاهُ وَاسِيدَاهُ ! أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ إِلَّا وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا يَلْهَزَانِهِ : أَهْكَذَا كُنْتُ » قال الترمذي : حديث حسن (١) .

والمقصود أن هذه الأحاديث دالة على النهي ، وأنه من فعل الجاهلية ، لكن الأحاديث التي ذكرناها ، منها ما يدل على أن النعي إعلام الناس بأن فلاناً قد مات ، ومنها ما يدل على أن النعي هو تعداد صفات الميت : فالظاهر أن كلاهما نعي ، والله أعلم .

وما يفعله الناس اليوم في زماننا من إعلام الناس بالميت والمناداة له . فهو من البدع المنهي عنها ، كما ورد في الحديث ؛ فإنه مفضل إلى تأخير الميت لأجل اجتماع الناس له تأخيراً زائداً عن الحد ، ويتركون السنة التي من شأنها الإسراع بالجنائز كما ثبت في « سنن أبي داود » (٢) : أن طلحة بن البراء مرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فقال : « إِنِّي لَا أَرَى طَلْحَةَ إِلَّا قَدْ

---

(١) تقدم تخريجه ص (٧١) رقم (٢) .

(٢) رقم (٣١٥٩) في الجنازات : باب التعجيل بالجنائز وكراهية حبسها ، من حديث الحصين بن حوح رضي الله عنه وإسناده ضعيف .  
قوله « جيفة » : الجيفة : جثة الميت إذا انتن .

حَدَّثَ فِيهِ الْمَوْتُ ، فَأَذُنُونِي بِهِ وَعَجِّلُوا ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِجِيفَةِ مُسْلِمٍ أَنْ تُحْبَسَ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِهِ .

وإن كان المراد النعي الذي هو تعداد صفات الميت ، فيقال : الذي ينبغي أن يقال : لا بأس بالكلمات اليسيرة إذا كانت صدقاً لا على وجه النوح والتسخط ، فلا يحرم ولا ينافي الصبر ولا يكون من النهي عنه ، بل قد نص الإمام أحمد رحمه الله أن الكلمات اليسيرة من الصدق لا تنافي الصبر الواجب يؤيد ذلك ما ثبت في « صحيح البخاري »<sup>(١)</sup> من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب ، فقالت فاطمة : واكرب أبتاه ، فقال « لَيْسَ عَلَيَّ أَيْبُكَ كَرُبُّ بَعْدَ الْيَوْمِ » فلما مات قالت : يا أبتاه أجاب رباً دعاه ، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل أنعاه ؛ فلما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة : أطابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

وعن أنس أيضاً أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فوضع فمه بين عينيه ، ووضع يده على صدغيه ، وقال : وانبياه ، واخليلاه ، واصفياه . رواه الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصفت بهم ،

---

(١) ١١٣ / ٨ في المغازي : باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، والنسائي ١٣ / ٤ في الجنائز : باب في البكاء على الميت ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٣ / ١٩٧ ، والدارمي ١ / ٤٠ و ٤١ ، وابن ماجه رقم (١٦٢٩) في الجنائز : باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٦ / ٣١ و ٢٢٠ ، ورواه أيضاً البخاري والنسائي ابن ماجه . انظر « الإرواء » للألباني رقم (٦٩٢) .

وكَبَّرَ عليه أربع تكبيرات . رواه البخاري ومسلم . وفي لفظ لهما فقال :  
« اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ » (١) .

وقد تقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم «وإِنَّا بكَ يَا إِبْرَاهِيمُ  
لَمَحْزُونُونَ» (٢)

وهذا ونحوه من الأقاويل التي تقدمت ليس فيها تسخط على الرب تبارك  
وتعالى بما قضاه وقدره ، ولا ينافي الصبر الواجب ، ولا يَأْثُم به قائله ، والله  
أعلم .

\* \* \*

---

(١) رواه البخاري ٩٢ / ٣ في الجنائز : باب الرجل ينمى الى الميت بنفسه ، وباب الصفوف على  
الجنائز ، وباب الصلاة على الجنائز بالمصلي ، وباب التكبير على الجنائز أربعاً ، وفي فضائل أصحاب  
النبي ﷺ بباب موت النجاشي ، ومسلم رقم (٩٥١) في الجنائز : باب في التكبير على الجنائز ،  
و«الموطأ» ٢٢٦/١ و ٢٢٧ في الجنائز : باب التكبير على الجنائز ، وأبو داود رقم (٣٢٠٤) في  
الجنائز : باب في الصلاة على المسلم يموت في بلاد الشرك ، والترمذي رقم (١٠٢٢) في الجنائز :  
باب ما جاء في التكبير على الجنائز ، والنسائي ٧٢ / ٤ في الجنائز : باب عدد التكبير على الجنائز .  
وأحمد في «المسند» ٢ / ٢٨١ و ٤٣٨ و ٤٣٩ .

(٢) تقدم تخريجه ص (٣٠) رقم (١) .

## — الباب الرابع —

### في من أصيب بفقد ثلاثة من الولد فأكثر

قال البخاري : باب فضل من مات له ولد فاحتسب ، وقوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [ البقرة : ١٥٥ ] .

حدّثنا أبو معمر ، حدّثنا عبد الوارث ، ثنا عبد العزيز ، عن أنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ مِنَ النَّاسِ يُتَوَفَّى لَهُ ثَلَاثَةٌ لَمْ يَلْغُوا الْحَنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ » ورواه مسلم من وجه آخر عن أنس (١) .

قوله : « لم ييلغوا الحنث » أي لم ييلغوا سن التكليف الذي يكتب فيه الحنث .

وروى البخاري من حديث سعيد بن المسيّب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَيَلْجُ النَّارَ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ » ورواه مسلم من هذه الطريق أيضاً (٢) .

---

(١) رواه البخاري ٣ / ٩٥ و ٩٦ في الجنائز : باب فضل من مات له ولد فاحتسب ، وباب ما قيل في أولاد المسلمين ، والنسائي ٤ / ٢٤ في الجنائز : باب ثواب من احتسب ثلاثة من صلبه ، وابن ماجه رقم (١٦٠٥) في الجنائز : باب ما جاء في ثواب من أصيب بولده وأحمد في « المسند » ٣ / ١٥٢ ، ولم يخرج مسلم من حديث أنس .

قوله : « لم ييلغوا الحنث » : قال الخليل : بلغ الغلام الحنث : أي جرى عليه القلم ، والحنث : الذنب .

(٢) رواه البخاري ٣ / ٩٨ و ٩٩ في الجنائز : باب فضل من مات له ولد فاحتسب ، وفي الأيمان : باب قوله الله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ ، ومسلم رقم (٢٦٣٢) و (٢٦٣٤) و =

قال العلماء : « تحلة القسم » ما ينحل به القسم وهو اليمين . وجاء مفسراً في الحديث أن المراد به قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [ مريم : ٧١ ] . وبهذا قال أبو عبيد وجمهور العلماء .  
والقسم مقدّر أي : والله إن منكم إلا واردها . وقيل : المراد قوله تعالى : ﴿ فَوَرَبَّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ [ مريم : ٦٨ ] .  
وقال ابن قتبية : معناه تقليل مدة ورودها ، قال : وتحلة القسم في هذا في كلام العرب ، وقيل تقديره : ولا تحلة القسم أي لا تحلة أصلاً ولا قدراً يسيراً تحلة القسم . والمراد بقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [ مريم : ٧١ ] : المرور على الصراط وهو على جهنم . وقيل : الوقوف عندها أعاذنا الله وإياكم منها .

وروى مسلم <sup>(١)</sup> أيضاً هذا الحديث معنى تحلة القسم ، عن أبي بكر بن أبي شيبه وعمرو الناقد وزهير بن حرب ثلاثتهم عن سفيان بن عيينة به . ورواه أيضاً من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري به .

ورواه أيضاً حدثنا يحيى بن يحيى قرأت على مالك عن شهاب عن ابن المسيب ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ » ورواه الترمذي من حديث مالك به وقال : حسن صحيح <sup>(٢)</sup> .

---

(٢٦٣٥) في البر والصلة : باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه ، و« الموطأ » ١ / ٢٣٥ في الجنائز : باب الحسبة في المصيبة والترمذي رقم (١٠٦٠) في الجنائز : باب ما جاء في ثواب من قدم ولداً ، والنسائي ٤ / ٢٥ في الجنائز : باب من يتوفى له ثلاثة ، وأحمد في « المسند » ٢ / ٢٤٠ و ٢٧٦ و ٤٧٣ و ٤٧٩ .

(١) رقم (٢٦٣٢) (١٥٠) في البر والصلة : باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه .  
(٢) رواه مسلم رقم (٢٦٣٢) في البر والصلة والآداب : باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه ، والترمذي رقم (١٠٦٠) في الجنائز : باب ما جاء في ثواب من قدم ولداً ، ورواه أيضاً البخاري في الجنائز : باب فضل من مات له ولد فاحتسب .

قال الترمذي : وفي الباب : عن معاذ وعمر وكعب بن مالك وعتبة بن عبيد وأم سليم وعائشة وأنس وأبي ذر وابن مسعود وأبي ثعلبة الأشجعي وابن عباس وعتبة بن غامر وأبي سعد وقرّة بن إياس .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا إسحاق ، أخبرنا عوف ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ لَمْ يَلْغُوا الْحِنْتَ إِلَّا أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَآبَاءُهُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ ، قَالَ : يُقَالُ لَهُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ . قَالَ : يَقُولُونَ حَتَّى يَجِيءَ أَبَوَانَا . قَالَ : ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَيَقُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ . قَالَ : فَيُقَالُ لَهُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ » (١) .

وروى البخاري من حديث ذكوان عن أبي سعيد أن النساء قلن للنبي صلى الله عليه وسلم : اجعل لنا منك يوماً ، فوعظهن ، وقال : « أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ كُنَّ لَهَا حِجَاباً مِنَ النَّارِ » ، قالت امرأة : واثنان . قال : « وَاثْنَانِ » . وقال شريك عن ابن الأصبهاني : ثنا أبو صالح ، عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال أبو هريرة : لم يبلغوا الحنث . وقد روى الحديث محمد بن سيرين وأبورزين وأبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة .

وأخرج مسلم حديث أبي سعيد من حديث شعبة به وعنده : فقالت امرأة : واثنين واثنين يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ » ، وهذا الذي علقه البخاري عن شريك عن ابن الأصبهاني قد رواه هو ومسلم من حديث غندر عن شعبة عن ابن

---

(١) رواه النسائي ٤ / ٢٥ ، وأحمد في «المسند» ٢ / ٥١٠ ، وهو حديث صحيح . انظر «جامع الأصول» (٧٣٦٠) .



الأصبهاني عن أبي حازم عن أبي هريرة وقال فيه : « لَمْ يَبْلُغُوا الْحِثَّ » <sup>(١)</sup> .

وقال عثمان بن إبراهيم المؤذن : حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِثَّ إِلَّا أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ وَأَبَوَيْهِمُ الْجَنَّةَ . قَالَ : يَكُونُونَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَيَقَالُ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ » ورواه النسائي من حديث إسحاق بن يوسف الأزرق عن عوف الأعرابي <sup>(٢)</sup> .

وروى مسلم في « صحيحه » <sup>(٣)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسوة من الأنصار : « لَا يَمُوتُ لِإِحْدَاكُنَّ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَحْتَسِبُهُ إِلَّا دَخَلَتِ الْجَنَّةَ » فقالت امرأة منهن : أو اثنين يا رسول الله ؟ قال : « أو اثنين » .

وروى الإمام أحمد في « مسنده » عن أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب النساء فقال : « مَا مِنْكُمْ أَمْرَأَةٌ يَمُوتُ لَهَا ثَلَاثَةٌ إِلَّا أَدْخَلَهَا اللَّهُ الْجَنَّةَ » فقالت أجلهن امرأة : يا رسول الله وصاحبة الاثنين ؟ فقال : « وَصَاحِبَةُ الْاِثْنَيْنِ فِي الْجَنَّةِ » <sup>(٤)</sup> .

وروى أحمد أيضاً من حديث أم سليم بنت ملحان وهي أم أنس بن مالك قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ مُسْلِمَةٍ يَمُوتُ

---

(١) رواه البخاري ١ / ١٧٥ في العلم : باب هل يجعل للنساء يوماً على حده في العلم ، وفي الجنائز : باب فضل من مات له ولد فاحتسب ، وفي الاعتصام : باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علمه الله ليس برأي ولا تمثيل ، ومسلم رقم (٢٦٣٣) في البر والصلة والآداب : باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه ، وأحمد في « المسند » ٣ / ٣٤ و ٧٢ .

(٢) رواه النسائي ٤ / ٢٥ في الجنائز : باب من يتوفى له ثلاثة واسناده صحيح .

(٣) رقم (٢٦٣٢) (١٥١) في البر والصلة والآداب : باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ١ / ٤٢١ . وهو حديث صحيح .

لَهُمَا ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ « قالها ثلاثاً ، قلت : يا رسول الله ! واثنان ؟ قال : « وَاثْنَانِ » <sup>(١)</sup> .

وروى المشنى عن عمرو بن شعيب ، عن سعيد بن المسيب عن أم مبشر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ هَلَكَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَصَبَّرَ وَاحْتَسَبَ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ » فقلت : يا رسول الله ! : واثنان ! قال : « وَاثْنَانِ » .

وروى مسلم في « صحيحه » <sup>(٢)</sup> من حديث طلق بن معاوية عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : أتت امرأة بصبي لها ، فقالت : يا نبي الله ! ادع الله فلقد دفنت ثلاثة ، فقال : « دَفَنْتِ ثَلَاثَةً ؟ ! » قالت : نعم قال : « لَقَدْ احْتَظَرْتَ بِحِظَارٍ شَدِيدٍ مِنَ النَّارِ » .

وقال البخاري في « تاريخه » قال علي بن هاشم : حدّثني نصر بن عمر بن يزيد بن قبيصة ، حدّثني أبي عن قبيصة بن برمة ، قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم جالساً إذ أتته امرأة ، فقالت : يا رسول الله ! ادع الله لي فإنه ليس يعيش لي ولد . قال : « وَكَمْ مَاتَ لَكَ ؟ » قالت : ثلاثة . . قال : « لَقَدْ احْتَظَرْتَ مِنَ النَّارِ بِحِظَارٍ شَدِيدٍ » <sup>(٣)</sup> .

وقال سعيد بن منصور : حدّثنا عبيد الله بن زياد ، ثنا أبي ، عن زهير بن أبي علقمة ، قال : جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابن لها مات وكان القوم عنفوها ، فقالت : يا رسول الله ! قد مات لي ابنان منذ دخلت في الإسلام سوى هذا . قال : « لَقَدْ احْتَظَرْتَ مِنَ النَّارِ حِظَاراً

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٣٧٦/٦ و ٤٣١ . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٨/٣ : رواه أحمد والطبراني في « الكبير » ، وفيه عمرو بن عاصم الأنصاري ، ولم أجد من وثقه ولا ضعفه ، وبقيه رجاله رجال الصحيح قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٦٥٢) : صحيح .

(٢) رقم (٦٣٦) (١٥٥) في البر والصلة والآداب : باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه .

(٣) رقم (٧٨٣) .

شَدِيداً» . قال جماعة من الحفاظ : إسناده صحيح لكن لا صحة لزهير هذا ، فيكون مرسلًا<sup>(١)</sup> .

أما قوله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ اخْتَضَرْتُ بِحِطَّارٍ شَدِيدٍ مِنَ النَّارِ » أي امتنعت بمانع وثيق ، وأصل الحظر المنع ، وأصل الحطار بكسر الحاء وفتحها ما يجعل حول البستان وغيره من القضبان وغيرها كالحائط .

وفي هذه الأحاديث دليل على كون أطفال المسلمين في الجنة . وقد نقل جماعة من العلماء إجماع المسلمين على ذلك .

قال الماوردي : أما أولاد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فالإجماع محقق في الأطفال على أنهم بالجنة . وأما أطفال من سواهم من المسلمين فجماهير العلماء على القطع لهم بالجنة . قالوا : ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [ الطور : ٢١ ] وتوقف بعض المتكلمين منهم وأشار انه لا يقطع لهم كالمكلفين<sup>(٢)</sup> ، وهو خطأ .

ولكنهم مستندين إلى حديث عائشة رضي الله عنها في « الصحيح »<sup>(٣)</sup> : توفي صبيٌّ من الأنصار ، فقالت عائشة : طوبى له ، عصفورٌ من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه . فقال « أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا ، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا ، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ » .

---

(١) قال الهيثمي في « المجمع » ٣ / ٨ : رواه البزار ورجاله ثقات . اهـ . لكنه مرسل .

(٢) انظر « شرح صحيح مسلم » للإمام النووي رحمه الله تعالى : ١٦ / ١٨٣ .

(٣) رواه مسلم رقم (٢٦٦٢) (٣١) في القدر : باب معنى « كل مولود يولد على الفطرة » ، وأبو داود رقم (٤٧١٣) في السنة : باب في ذراري المشركين ، والنسائي ٤ / ٥٧ في الجنائز : باب الصلاة على الصبيان ، وابن ماجه رقم (٨٢) في المقدمة : باب في القدر وأحمد في « المسند » ٦ / ٢٠٨ .

وفي الحديث الآخر : « إن الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً » (١) .

أجاب العلماء عن ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم : إنما نهى عائشة عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع ، كما أنكر على سعد بن أبي وقاص في قوله : أعطه إني لأراه مؤمناً ، قال : « أو مسلماً » (٢) .

قال النووي رحمه الله في « شرح مسلم » : فيحتمل أنه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة ، فلما علم قال ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْتَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ » وغير ذلك . انتهى كلامه .

وقد تقدم عدة من الأحاديث تدل على ذلك كما سيأتي ما هو أتم من ذلك وأبين . وما ورد من الأحاديث في الثلاثة من الولد ثم سُئل عن الاثنين فقال : واثنين : فمحمول على أنه أَوْحِيَ إليه عند سؤال الاثنين ، وكذلك عند سؤال الواحد في بعض الألفاظ ، والله تعالى أعلم .

وروى الإمام أحمد بإسناده عن شرحبيل بن شفعة ، قال : سمعت

---

(١) قطعة من حديث طويل رواه مسلم رقم (٢٣٨٠) في الفضائل : باب فضائل الخضر ، وأبو داود رقم (٤٧٠٥) في السنة : باب في القدر ، والترمذي رقم (٣١٤٩) في التفسير : باب ومن سورة الكهف ، وأحمد في « المسند » ٥ / ١١٩ و ١٢١ .

(٢) رواه البخاري ٣ / ٢٧٠ في الزكاة : باب قول الله تعالى : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْلَافًا ﴾ وفي الإيمان : باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل ، ومسلم رقم (١٥٠) في الإيمان : باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه ، وأبو داود رقم (٤٦٨٣) و (٤٦٨٤) و (٤٦٨٥) في السنة : باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ، والنسائي ٨ / ١٠٣ و ١٠٤ في الإيمان : باب تأويل قوله عز وجل : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تَوَدُّوا أَنْ تَمُوتُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا ﴾ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

عتبة بن عبد السلمي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يُتَوَفَّى لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْتَ إِلَّا تَلَقَّوهُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ مِنْ أَيُّهَا شَاءَ دَخَلَ » ورواه ابن ماجه من حديث جرير بن عثمان الحمصي به (١) .

وروى أحمد من حديث المغيرة ، ثنا جرير ، ثنا شرحبيل بن شفعة ، عن بعض الصحابة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « يُقَالُ لِلْوَلَدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُونَ : يَا رَبَّنَا حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا ، قَالَ : فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : مَالِي أَرَاكُمْ مُحَبِّطَيْنِ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ قَالَ : فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ ! آبَاؤُنَا ، فَيَقُولُ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ » (٢) .

وروى الإمام أحمد أيضاً عن يزيد بن هارون ، عن هشام ، عن ابن سيرين : بينا امرأة كانت تأتينا يقال لها ماوية كانت ترزأ في ولدها ، فلقيت عبد الله بن معمر القرشي ومعه رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فحدث ذلك الرجل أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : ادع الله أن يبقيه لي فقد مات لي قبله ثلاثة ، فقال : « مِنْذُ أَسْلَمْتُ ؟ » قالت : نعم ، فقال : « جَنَّةٌ حَصِينَةٌ » (٣) .

(١) رواه أحمد في « المسند » ١٨٣ / ٤ و ١٨٤ ، وابن ماجه رقم (١٦٠٤) في الجنائز : باب ما جاء في ثواب من أصيب بولده . قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٦٤٨) : حسن .  
(٢) رواه أحمد في « المسند » ١٠٥ / ٤ قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٣٨٣ / ١٠ : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . غير شرحبيل وهو ثقة .

قوله « محبطين » : المحبطين - بالهمز وتركه - : المتغضب المستبطيء للشئ ، وقيل : هو الممتنع امتناع طلبية ، لا امتناع إباء ، يقال : احْبَطْتُ واحْبَطْتُ ، والحبْطُ : القصير البطن ، والنون والهمزة والألف والياء زوائد للإلحاق .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ٨٣ / ٥ ، قال الهيثمي في « المجمع » ٦ / ٣ : رجاله رجال الصحيح خلا ماوية شيخة ابن سيرين .

وروى أيضاً منفرداً به ، لكنه من حديث ابن لهيعة عن أبي عشانة أنه سمع عقبة بن عامر يقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ أَكَلَ ثَلَاثَةَ مِنْ صُلْبِهِ فَاحْتَسَبَهُمْ عَلَى اللَّهِ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » (١) .

وروى أيضاً في « مسنده » من حديث صعصعة بن معاوية قال : أتينا أبا ذرٍّ قلت : مالك ؟ قال : لي عملي ، قلت : حدّثني ، قال : نعم ! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ بَيْنَهُمَا ثَلَاثَةٌ مِنْ أَوْلَادِهِمَا لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْتَ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا » ورواه النسائي عن إسماعيل بن مسعود ، عن بشر بن المفضل ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، عن صعصعة (٢) .

وثمّ طريق أخرى عن أبي ذرٍّ ، حدّثنا عبد الملك بن عمرو ، ثنا قرّة عن الحسن عن صعصعة بن معاوية ، قال : لقيت أبا ذرٍّ بالربذة ، فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتَدَرَهُ حَبَّةُ الْجَنَّةِ » وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا حِنْتًا إِلَّا أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ » (٣) .

## فصل

### في ذكر الأربعة

قال عبد الله بن الإمام أحمد في « مسند أبيه » : حدّثني محمد بن

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤ / ١٤٤ واسناده ضعيف . ولكن للحديث شواهد فهو لها صحيح . انظر « الأحاديث الصحيحة » (٢٢٩٦) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٥ / ١٥٩ ، والنسائي ٤ / ٢٤ - ٢٥ في الجنائز : باب من يتوفى له ثلاثة . وابن حبان رقم (٧٢٢) قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٦٥٥) : صحيح .

(٣) رواه الدارمي رقم (٢٤٠٨) في الجهاد : باب من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله عز وجل ، وأحمد في « المسند » ٥ / ١٥٣ و ١٥٩ و ١٦٤ وهو حديث صحيح .

أبي بكر المقدمي، حدثني بشر بن المفضل ، عن داود بن أبي هند ، عن عبد الله بن قيس ، عن الحارث بن قيس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ بَيْنَهُمَا أَرْبَعَةُ أَوْلَادٍ إِلَّا أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ » قالوا : يا رسول الله وثلاثة ؟ قال : « وَثَلَاثَةٌ » ، قالوا : يا رسول الله واثنان ؟ قال : « وَاثْنَانِ ، وَإِنْ مِنْ أُمَّتِي لَمَنْ يَعْظُمُ لِلنَّارِ حَتَّى يَكُونَ أَحَدَ زَوَايَاهَا ، وَإِنْ مِنْ أُمَّتِي لَمَنْ يَدْخُلُ بِشَفَاعَتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرُ مِنْ مُضَرٍّ » . وروى ابن ماجه عنه ، « وَإِنْ أُمَّتِي . . الخ » ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عبد الرحيم بن سليمان ، عن داود بن أبي هند به <sup>(١)</sup> .

وروى داود بن أبي هند عن عبد الله بن قيس الأسدي ، عن الحارث بن قيس ، قال : كنا عند أبي بردة ليلة فحدث ليلته عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا أَرْبَعَةُ أَفْرَاطٍ إِلَّا أَدْخَلَهُمَا اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ » ، قالوا : يا رسول الله وثلاثة ؟ قال : « وَثَلَاثَةٌ » قالوا : واثنان ؟ قال : « وَاثْنَانِ » وذكر تمام الحديث . وقد ذكر بعضهم أنه رواه الإمام أحمد ولكني لم أراه <sup>(٢)</sup> .

وروى النسائي من حديث عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن بكير بن الأشج ، حدثني عمران بن نافع ، عن حفص بن عبيد الله ، عن جده أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤ / ٢١٢ و ٥ / ٣١٣ ، وابن ماجه رقم (٤٣٢٣) في الزهد : باب صفة النار .

قال البوصيري في « الزوائد » في إسناده عبد الله بن أقيش النخعي ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : حسبه الذي روى عنه أبو اسحاق عن ابن عباس ، وقال : لم يرو عنه غير داود بن هند ، وليس إسناده بالصافي . ١ هـ . وهو حديث صحيح . « صحيح ابن ماجه » (٣٤٩٠) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٤ / ٢١٢ ، قال الهيثمي في « المجمع » ٣ / ٨ : ورجاله ثقات .

« مَنْ اَحْتَسَبَ ثَلَاثَةً مِنْ صَلَهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » (١) .

وروى الهيثم بن جميل ، عن الأحوص ، عن عاصم الأحول ، عن أنس ، قال : توفي للزبير ولد فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! سخّ أنفسنا عن أولادنا ، فقال : « مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْتَ كَانُوا لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ » .

وروى عبد الحكيم بن منصور ، عن يونس ، عن ابن سيرين ، عن عبدة السلماني ، عن الزبير بن العوام ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوْلَادِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْتَ كَانُوا لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ » .

وروى الإمام أحمد من حديث لقمان بن عامر ، عن أبي أمامة ، عن عمرو بن عبسة ، قال : قلت له : حدّثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيه انتقاص ولا زيادة ، قال : سمعته يقول : « مَنْ وَلَدَهُ ثَلَاثَةٌ أَوْلَادٍ فِي الْإِسْلَامِ فَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْحِنْتَ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ ، وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَلَغَ بِهِ الْعَدُوُّ أَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ كَانَ لَهُ بَعْدُ رَقَبَةٌ ، وَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عِضْوٍ مِنْهُ عِضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَإِنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ ، يَدْخُلُهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ بَابٍ شَاءَ مِنْهَا » وكذا رواه عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر ، عن أنس ، عن أبي طيبة ، عن عمرو بن عبسة السلمي فذكر نحوه . ورواه الوضين عن عطاء ، عن محفوظ بن علقمة ، عن ابن عائد ، عن عمرو بن عبسة به (٢) .

---

(١) رواه النسائي ٢٣ / ٤ - ٢٤ في الجنائز : باب من احتسب ثلاثة من صلبه وابن حبان

رقم (٧٢١) قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٨٤٥) : صحيح .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٣٨٦ / ٤ ، قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٥ / ٣ : رواه أحمد

والطبراني في « الكبير » ، ورجال الطبراني ثقات .



وقال عبد الرزاق : سمعت هشام بن حسان ، عن ابن سيرين ، عن يزيد بن أبي بكرة ، حدثني حبيبة - يعني بنت سهيل - ويقال بنت أبي سفيان أنها كانت عند عائشة رضي الله عنها ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةٌ مِنْ الْوَلَدِ إِلَّا أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ » (١) .

وكذا روى محمد بن عبد الله الأنصاري ، عن أبان بن صمعة ، عن محمد بن سيرين ، عن يزيد بن أبي بكرة ، عن حبيبة أنها كانت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء فجلس ، فقال : « مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةٌ أَطْفَالٍ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلَّا جِيءَ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يَوْفُوا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَيَقُولُونَ حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا » ، قال ابن سيرين : فلا أدري في الثانية أو الثالثة ، « فَيُقَالُ لَهُمْ ادْخُلُوا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ » . فقالت عائشة : أسمعت ؟ قالت : نعم (٢) .

وقال الترمذي : وروى الأبار - قلت : هو أبو حفص اسمه عمر بن عبد الرحمن - عن الأعمش ، عن زرّ ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبي أبرة ، عن أبيه ، عن محمد بن وهب أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال لامرأة : « هَلْ لَكَ مِنْ فَرْطٍ » قالت : ثلاثة . قال : « جَنَّةٌ حَصِينَةٌ » .

وروى عبد الرحمن بن إسحاق أبو شيبه ، عن يزيد بن الحكم ، عن عثمان بن أبي العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَقَدْ اسْتَجَنَّ بِجَنَّةٍ

---

(١) انظر تخريج الحديث التالي :

(٢) قال الهيثمي في « المجمع » ٧/٣ : رواه الطبراني في « الكبير » ورجاله رجال الصحيح خلا يزيد بن أبي بكرة ، ولم أجد من ترجمه . وأعادة باسناد آخر ورجاله ثقات ، وليس فيه يزيد بن أبي بكرة ، والله أعلم .

حَصِينَةَ مِنَ النَّارِ رَجُلٌ سَلَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ ثَلَاثَةٌ مِنْ صُلْبِهِ فِي الْإِسْلَامِ» (١)

وعن أم ذر قالت : لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت ، فقال : أبشري ولا تبكي ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لَا يَمُوتُ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ وَلَدَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ فَيَصْبِرَانِ وَيَحْتَسِبَانِ فَيَرِيَانِ النَّارَ أَبَدًا » وقد مات لنا ثلاثة من الولد ، رواه الحافظ أبو موسى المديني .

وقال مالك في « الموطأ » عن محمد بن أبي بكر ، عن أبيه ، عن أبي النضر السلمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَيَحْتَسِبَهُمْ إِلَّا كَانُوا لَهُ جَنَّةً مِنَ النَّارِ » فقالت امرأة منهن : يا رسول الله ! أو اثنان ، قال : « أو اثنان » . قال أبو عمر بن عبد البر : هكذا رواه القعنبى ويحيى بن يحيى عن مالك ، وقال الآخرون : عن مالك بإسناده عن أبي النضر . قال : وهذا مجهول في الصحابة والتابعين . انتهى كلامه .

قلت : كذا قال ابن عبد البر ، وليس بمجهول كما قال ، فإن مسلم رحمه الله قال في كتاب « الكنى والأسماء » : أبو النضر عبد الأعلى بن هلال السلمي عن عرباض بن سارية ، وروى عنه عامر بن خفيف فهو تابعي .

وروى إسماعيل بن يحيى التيمي عن موسى الجهني ، عن مجاهد ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَدَّمَ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا حَجَبُوهُ بِأُذُنِ اللَّهِ مِنَ النَّارِ » (٢) .

---

(١) قال الهيثمي في « المجمع » ٦/٣ : رواه أبو يعلى والبخاري ، إلا أنه قال : « بجنة كنيقة » ، والطبراني في « الكبير » وفيه عبد الرحمن بن اسحاق أبو شبة وهو ضعيف .

(٢) قال الهيثمي في « المجمع » ٩/٣ : رواه الطبراني في « الأوسط » وفيه أبو يحيى التيمي وهو ضعيف ، وقال ابن عدي له أحاديث حسان ، وبقيّة رجاله ثقات .

وروى البخاري في « تاريخه » من طريق أبان بن صمغة ، عن ابن سيرين ، حدثنا حبيبة خادمة عائشة ، أنها كانت في بيت عائشة قاعدة ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةُ أَطْفَالٍ إِلَّا أَدْخَلَهُمَا اللَّهُ الْجَنَّةَ » (١) .

وفي « الأربعين » لنصر بن عبد الرزاق : ذكر عن علي بن زيد بن جدعان ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الرحمن بن سمرة ، قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عَجَبًا : رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ مَلَائِكَةُ [ الْعَذَابِ ] فَجَاءَهُ وَضُوءُهُ فَاسْتَنْقَذَهُ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي خَفَّ مِيزَانُهُ فَجَاءَهُ أَفْرَاطُهُ فَثَقَلُوا مِيزَانَهُ » وهو مقتطع من حديث طويل يأتي (٢) .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ دَفِنَ مِنْ صُلْبِهِ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ » رواه بسنده الحافظ ابن عساكر .

قلت : وهذه الأحاديث - على اختلاف ألفاظها واتفاق معانيها غالباً - وسيأتي بعد ذلك ما هو مثلها وما هو أتم وأبين إن شاء الله - كلها تدل على أنها وقعت من النبي صلى الله عليه وسلم في مجالس متعددة ، ويدل على اهتمامه

---

(١) رقم (١٤٤٤) .

(٢) ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه للحكيم الترمذي ، والطبراني في « الكبير » من حديث عبد الرحمن بن سمرة ، باسنادين في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي ، وفي الآخر خالد ابن عبد الرحمن المخزومي ، وكلاهما ضعيف ، كما قال الهيثمي في « المجمع » ١٧٩/٧ - ١٨٠ ، انظر « القول البدیع » ص (١٨٣ - ١٨٥) بتحقيقنا وسيرد لفظه بتمامه ص (١١٥ - ١١٧) .

واعتنائه ورحمته وشفقته بأمته ، إذ كل حديث من هذه الأحاديث فيه تسلية للأمة عن أولادها ، بل تدل بفحوى الخطاب على أن الشارع صلى الله عليه وسلم أراد تسلية الوالدين عن أولادهما بما أعدّ الله لهما من الثواب الجزيل على المصيبة ، والصبر عليها ، فإن اتفق مع ذلك الرضى بها وكتمانها عن الخلق وطلبها وتلقيها بالقبول كان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

\*\*\*

## الباب الخامس في من أصيب بفقد ولدين

قال مسلم في « صحيحه » : حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ أَبِيهِ أَبِي السَّلِيلِ بْنِ نَفِيرٍ ، عَنْ أَبِي حَسَّانٍ - وَهُوَ خَالِدُ بْنُ عِلَّانٍ - ، قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِي ابْنَانِ ، فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَدِيثٍ يَطِيبُ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ ، فَيَلْقَى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ - أَوْ قَالَ : أَبَوَيْهُ - [ فَيَأْخُذُ ] بِثَوْبِهِ - أَوْ قَالَ : بِيَدِهِ - كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنْفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا فَلَا يَتَنَاهَى - أَوْ قَالَ [ فَلَا ] يَنْتَهِي - حَتَّى يُدْخِلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ » ورواه الإمام أحمد (١) .

أما قوله صلى الله عليه وسلم : « صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ » هو بالدال والعين والصاد المهملات ، واحدهم : دُعَمَوْص ، بضم الدال أي صغار أهل الجنة . قال الشاعر :

إذا التقى البحران عم الدعمو      ص نفى أن يسبح أو يغوص

وأصل الدعموص : دويبة تكون في الماء لا تفارقه ، أي هذا الصغير في الجنة لا يفارقه . ويقال لها أيضاً : صنيقة .

وأما قوله : « فلا يتناهى - أَوْ قَالَ يَنْتَهِي - حَتَّى يَدْخُلَهُ اللَّهُ وَإِيَّاهُ الْجَنَّةَ » : يتناهى وينتهي بمعنى واحد ، أي لا يتركه والله تعالى أعلم .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٦٣٥) في البر والصلة والآداب : باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٤٧٧ / ٢ و ٥١٠

وقال أبو يعلى الموصلي : حَدَّثَنَا أَبُو هِشَامِ الرَّفَاعِيُّ ، ثنا ابن فضيل ، ثنا بشير بن مهاجر ، عن ابن بريدة ، عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي الأنصار ويعودهم ويسأل عنهم ، فبلغه أن امرأة من الأنصار مات ابنٌ لها فجزعت عليه ، فأتاها ، فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بتقوى الله عز وجل والصبر . قالت : يا رسول الله ، إني امرأة رقوب لا ألد ولم يكن لي ولد غيره . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرقوب التي يبقى ولدها » ، ثم قال : « ما من امرءٍ مسلم ولا امرأة مسلمة يموت لها ثلاثة من الولد إلا أدخلها الله عز وجل الجنة » فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : بأبي أنت وأمي يا رسول الله : واثنان ، قال : « واثنان » .

ورواه البزار في « مسنده » عن أحمد بن عمر ، عن جعفر بن عون ، عن بشير بن المهاجر، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه به وعنده، فقالت : يا رسول الله كيف لا أجزع وأنا رقوب لا يعيش لي ولد . فقال : « إنما الرقوب التي يعيش ولدها » . وعنده : فقال عمر وهو على يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم : واثنان . قال : « واثنان » وهو على شرط مسلم <sup>(١)</sup> .

وقال الامام أحمد: ثنا عفان، ثنا وهيب، ثنا عبد الله بن عثمان، عن مجاهد، عن إبراهيم بن الأستر ، أن أبا ذر رضي الله عنه حضره الموت وهو بالربذة ، فبكت امرأته ، فقال : ما يبكيك ؟ قالت : أبكي أنه لا يدي لي بنعشك وليس عندي ثوب يسع لك كفناً، فقال: لا تبكي ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وأنا عنده في نفرٍ يقول : « لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنْ

---

(١) قال الهيثمي في « المجمع » ٨/٣ : رَوَاهُ البزار ورجاله رجال الصحيح . وأخرجه الحاكم في « المستدرک » ٣٨٤/١ : وقال صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي . قال الألباني في « أحكام الجنائز » ص ١٦٥ : قلت : بل هو على شرط مسلم ، فإن رجاله كلهم رجال صحيحه ، لكن أحدهم فيه ضعف من قبل حفظه ، لكن لا ينزل حديث هذا عن رتبة الحسن .

الْأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصْبَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ . وكل من كان في ذلك المجلس مات في جماعة وقرية ولم يبق منهم غيري ، وقد أصبحت بالفلاة أموت فراقبي الطريق ، فإنك سوف ترين ما أقول ، فإني والله ما كذبت ولا كذبتُ ، قالت : وأنى ذلك وقد انقطع الحاج ؟ قال : راقبي الطريق ، فبينما هي كذلك إذ هي يقوم تجذبهم رواحلهم كأنهم الرخم ، فأقبل القوم حتى وقفوا عليها ، فقالوا : مالك ؟ قالت : امرء من المسلمين تكفونه وتؤجرون فيه . قالوا : من هو ؟ قالت : أبو ذر ؛ ففدوه بآبائهم وأمهاتهم ووضعوا أسياطهم في نحورها يتدرونه ، فقال : أبشروا أنتم النفر الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم ما قال ، أبشروا ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَا مِنْ امْرِئَيْنِ مُسْلِمَيْنِ هَلَكَ بَيْنَهُمَا وَلَدَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ فَاحْتَسَبَا وَصَبَرَا فَيَرِيَانِ النَّارَ أَبَدًا » . ثم قال : قد أصبحت اليوم وحيث ترون ولو أن ثوباً من ثيابي يسعني لم أكفن إلا فيه ، فانشدكم لا يكفني رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو بريداً ، فكل القوم كان قد نال من ذلك شيئاً إلا فتى من الأنصار كان مع القوم ، قال : أنا صاحبك ، ثوبان في عييتي من غزل أمي وأحد ثوبي هذين اللذين عليّ ، قال : أنت صاحبي فكفني تفرد به أحمد (١) .

وقال أحمد : ثنا حماد بن مسعدة ، ثنا جريح ، عن أبي الزبير ، عن عمرو بن نيهان ، عن أبي ثعلبة الأشجعي ، قال : قلت : مات لي يا رسول الله ولدان في الإسلام ، فقال : « مَنْ مَاتَ لَهُ وَلَدَانِ فِي الْإِسْلَامِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمَا » . قال : فلما كان بعد ذلك لقيني أبو هريرة فقال : انت الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الولدين ما قال ؟

(١) رواه احمد في « المسند » ١٥٥/٥ و ١٦٦ . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٣٣٢ / ٩ :

رواه احمد من طريقين أحدهما هذه ، والأخرى مختصرة عن ابراهيم بن الأشتر عن ام ذر ، ورجال الطريق الأولى رجال الصحيح ، ورواه البزار بنحوه باختصار .

قلت : نعم . قال : لأن يكون ما قاله لي أحب اليّ مما علقت عليه حمص وفلسطين (١) .

وروى الإمام احمد أيضاً في « مسنده » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب النساء فقال لهن : « مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ يَمُوتُ لَهَا ثَلَاثَةٌ إِلَّا أَدْخَلَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ » ، فقالت أجلهن امرأة : يا رسول الله وصاحبة الاثنين في الجنة ؟ قال : « وَصَاحِبَةُ الْاِثْنَيْنِ فِي الْجَنَّةِ » (٢) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ، ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله ، قال : اجتمعن في يوم كذا وكذا ، فاجتمعن ، فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهن مما علمه الله ، ثم قال : « مَا مِنْكُنَّ مِنْ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً إِلَّا كَانُوا لَهَا حِجَاباً مِنَ النَّارِ » فقالت امرأة : واثنين واثنين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « واثنين واثنين واثنين » رواه البخاري ومسلم ولفظه لمسلم (٣) .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَوْجَبَ الثَّلَاثَةُ » ، قال معاذ : ودُّوا الإِثْنَيْنِ يا رسول الله ، قال : « ودُّوا الإِثْنَيْنِ » رواه الإمام أحمد (٤) .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٦ / ٣٩٦ ، قال الهيثمي في « المجمع » ٣ / ٩ : رواه الطبراني في « الكبير » ورجاله رجال الصحيح .

(٢) تقدم تخريجه ص (٨٨) رقم (٤) .

(٣) تقدم تخريجه ص (٨٨) رقم (١) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ٥ / ٢٣٠ و ٢٣٧ .



عن ذكوان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : إن النساء قلن :  
غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرجال يا رسول الله فاجعل لنا يوماً نأتيك فيه ، فواعدهن ميعاداً  
فأمرهن ووعظهن وقال : « ما مِنْكُمْ امرأةٌ يَمُوتُ لَهَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ إِلَّا كَانُوا لَهَا  
حِجَاباً مِنَ النَّارِ » . فقالت امرأة : اثنتين ، فإنه مات لي اثنان ، فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، « واثْنَيْنِ » . هذا لفظ البخاري ، وقد تقدم لفظ  
مسلم . ورواه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة وابن مسعود ، وقد تقدم (١) .

\* \* \*

---

(١) انظر ص (٨٧) و (٨٨) .

## الباب السادس

### في من أصيب بفقد ولد واحد

قال الإمام أحمد : حدّثنا يحيى بن اسحاق ، ثنا حماد بن مسلم ، عن أبي سنان قال : دفنت ابناً لي فأني لفي القبر إذ أخذ بيدي أبو طلحة فأخرجني ، فقال : ألا أبشرك ؟ قال : قلت : بلى ، قال : حدّثني الضحاك بن عبد الرحمن ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا مَلِكُ الْمَوْتِ قَبَضَتْ وَلَدَ عَبْدِي ، قَبَضَتْ قُرَّةَ عَيْنِهِ وَثَمَرَةَ فُؤَادِهِ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَمَا قَالَ ؟ قَالَ : حَمْدُكَ وَاسْتَرْجَع ، قَالَ : ابْنُوا لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ » . وهكذا رواه الترمذي عن سويد بن نصر ، عن ابن المبارك ، عن حماد بن سلمة ، عن أبي سنان عيسى بن سنان ، عن أبي طلحة الخولاني به ، وقال : حسن غريب .

ورواه ابن حبان ورواه أبو القاسم ابن عساكر ولفظه : « إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ : قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَمَاذَا قَالَ ؟ قَالُوا : اسْتَرْجَعَ وَحَمْدُكَ . قَالَ : ابْنُوا لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ » .

ورواه البيهقي موقوفاً على أبي موسى ولفظه : قال : « إِذَا قَبَضَ اللَّهُ وَلَدًا لِرَجُلٍ - قَالَ : وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ الْعَبْدُ - قَالَ : فَيَقَالُ لِلْمَلَائِكَةِ : أَقْبَضْتُمْ

وَلَدَ فَلَانٍ » ؟ فذكر نحو الذي قبله<sup>(١)</sup> .

وقال أحمد : حدّثنا يزيد بن هارون ، أنبأ العوام ، عن محمد بن أبي محمد مولى لعمر بن الخطاب ، عن أبي عبيدة ، عن أبيه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةٌ مِنْ أَوْلَادِهِمَا لَمْ يَبْلُغُوا - الْحِنْثُ إِلَّا كَانُوا - لَهُمَا حِصْنًا حَصِينًا مِنَ النَّارِ » فقال أبو ذر : مضى لي اثنان يا رسول الله ، قال : « وَاثْنَانِ » فقال ابن كعب - أبو المنذر وسيد القراء - : مضى لي واحد يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَوَاحِدٌ ، وَذَلِكَ فِي الصَّدْمَةِ الْأُولَى » ، ورواه الترمذي وقال : غريب ، وابن ماجه جميعاً عن نصر بن علي عن إسحاق بن يوسف ، عن العوام بن حوشب ، عن أبي محمد مولى عمر بن الخطاب ، عن أبي عبيدة ، عن أبيه عبد الله بن مسعود مرفوعاً فذكره . وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه<sup>(٢)</sup> .

وقال الإمام أحمد في « مسنده » : حدّثنا أبو معاوية ، ثنا الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن الحارث بن سويد ، عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا تَعْدُونَ فِيكُمْ الرَّقُوبَ ؟ » قلنا : الذي لا ولد له ، قال : « لَا ، وَلَكِنْ يُقَدَّمُ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئاً » . ورواه مسلم من حديث الأعمش ، ورواه البيهقي ولفظه : أن امرأة قالت : أنا رقوب لا يعيش لي ولد ، فقال : « إِنَّمَا الرَّقُوبُ الَّتِي يَعِيشُ وَلَدُهَا ، أَمَا تَحْبِينُ أَنْ تَرَيْنَهُ » .

---

(١) تقدم تحريجه ص (١٨) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ١ / ٣٧٥ و ٤٢٩ و ٤٥١ والترمذي رقم (١٠٦١) في الجنايز : باب ما جاء في ثواب من قدم ولداً ، وابن ماجه رقم (١٦٠٦) في الجنايز : باب ما جاء في ثواب من أصيب بولده . وهو حديث ضعيف ، كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٥٧٦٦) .

عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ وَهُوَ يَدْعُوكَ إِلَيْهَا؟ » قالت : بلى ! قال : « فَإِنَّهُ كَذَلِكَ » (١) .

وقال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا وَكِيع ، ثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أبيه أن رجلاً كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم معه ابنٌ له ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أَتُحِبُّهُ ؟ » فقال : يا رسول الله أحبك الله كما أحبه . ففقدته النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « مَا فَعَلَ ابْنُ فُلَانٍ ؟ » قالوا : يا رسول الله مات ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه : « أَمَا تُحِبُّ أَنْ لَا تَأْتِيَ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدَتْهُ يَتَتَبَرَّكُ ؟ » فقال رجل : يا رسول الله أله خاصة أو لعلنا ؟ قال : « بَلْ لِكُلِّكُمْ » ورواه النسائي من حديث شعبة بمثله (٢) .

وفي رواية أخرى من حديث هلال بن زيد بن أبي الزرقاء ، عن أبيه ، عن خالد بن ميسرة ، عن معاوية بن قرة ، عن أبيه ، قال : كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس جلس إليه نفر من أصحابه ، ومنهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره فيقعده بين يديه ، فهلك فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة بذكر ابنه فحزن عليه ، ففقدته النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « مَا لِي لَا أَرَى فُلَاناً ؟ » فقالوا : يا رسول الله بنيه الذي رأيته هلك ، فلقية النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن بنيه فأخبره بأنه هلك ، فعزاه

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٣٨٢/١ و ٣٨٣ ، ومسلم رقم (٢٦٠٨) في البر والصلة : باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ولفظه عند مسلم : « ما تعدون الرقوب فيكم ؟ » قال : قلنا : الذي لا يولد له ، قال : « ليس ذاك بالرقوب ، ولكنه الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئاً » قال : « فما تعدون الصرعة فيكم ؟ » قال : قلنا : الذي لا يصصره الرجال ، قال : « ليس بذلك ، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب » .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٣٥ / ٤ والنسائي ٢٣ / ٤ ، والحاكم ٣٨٤ / ١ ، وهو حديث صحيح . انظر « أحكام الجنائز » ص (١٦٢ - ١٦٣) .

عليه . ثم قال : « يا فلان ، أَيَّمَا كَانَ أَحَبُّ إِلَيْكَ ، أَنْ تَمَتَّعَ بِهِ عُمْرَكَ ، أَوْ لَا تَأْتِي عَدَاً إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ » قال : يا رسول الله ، بل يسبقني إلى باب الجنة يفتحها لي أحب إلي ، قال : « فَذَلِكَ لَكَ » رواه النسائي ، وهذا لفظه ، ورواه الإمام أحمد والبيهقي ، وزادا فقال رجل : يا رسول الله أله خاصة أم لكلنا ؟ قال : « بَلْ لِكُلِّكُمْ » فذكر مثل الذي قبله .

ورواه البيهقي من طريق أخرى وفيه : فقام رجل من الأنصار . فقال : يا نبي الله جعلني الله فداك ، أهذا لهذا خاصة أو من هلك له طفل من المسلمين كان ذلك له ؟ قال : « بَلْ مَنْ هَلَكَ لَهُ طِفْلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ ذَلِكَ لَهُ » (١) .

وقال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ مِنْ كِتَابِهِ ، أَنبَأَنَا ابْنُ لَهِيْعَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَبِيرَةَ ، عَنْ حَسَّانِ بْنِ كَرِيبٍ ، أَنَّ غُلَاماً مِنْهُمْ تَوَفَّى ، فَوُجِدَ عَلَيْهِ أَبُوهُ أَشَدَّ الْوَجْدِ ، فَقَالَ حَوْشِبٌ صَاحِبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَا أَخْبِرُكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي مِثْلِ ابْنِكَ ؟ إِنْ رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ كَانَ لَهُ ابْنٌ قَدْ دَبَّ أَوْ أَدْرَكَ وَكَانَ يَأْتِي مَعَ أَبِيهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ تَوَفَّى فَوُجِدَ عَلَيْهِ أَبُوهُ قَرِيباً مِنْ سِتَّةِ أَيَّامٍ لَا يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا أَرَى فُلَانًا » ! فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنْ ابْنُهُ تَوَفَّى فَوُجِدَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « يَا فُلَانُ أَتُحِبُّ لَوْ أَنَّ ابْنَكَ عِنْدَكَ الْآنَ كَأَنْشَطِ الصَّبْيَانِ نَشَاطاً ؟ أَتُحِبُّ أَنْ ابْنُكَ عِنْدَكَ أَجْرَى الْعُلَمَانِ جَرِيَةً ؟ أَتُحِبُّ أَنْ ابْنُكَ عِنْدَكَ كَهَلًا كَأَفْضَلِ الْكُهُولِ ، أَوْ يُقَالَ لَكَ : ادْخُلِ الْجَنَّةَ ثَوَابَ مَا أَخَذَ مِنْكَ ؟ » وقد ورد هذا

(١) رواه أحمد في « المسند » ٣٥/٥ ، والنسائي ١١٨/٤ في الجنائز : باب في التعزية والحاكم

١ / ٣٨٤ والبيهقي ٤ / ٥٩ - ٦٠ ، وهو حديث صحيح . انظر « أحكام الجنائز » ص (١٦٣) .

الحديث بعدة طرق عن أنس بن مالك وبريدة بن الحصيب الأسلمي وغيرهما (١).

وروى الطبراني في «معجمه» من حديث إبراهيم بن عبيد بن رفاعة الزرقى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «أن رجلاً من الأنصار كان له ابنٌ يروح إذا راح إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عنه ، فقال : « أَتُجِبُّهُ ؟ » فقال : يا نبي الله ! نعم ، أحبك الله كما أحبه . فقال : « إِنَّ اللهَ أَشَدُّ لِي حُبًّا مِنْكَ لَهُ » . فلم يلبث أن مات ابنه ذاك ، فراح إلى نبي الله وقد أقبل بثه ، فقال له نبي الله : « أَجَزَعْتَ ؟ » قال : نعم ! قال : « أَوْ مَا تَرْضَى أَنْ يَكُونَ ابْنُكَ مَعَ ابْنِي إِبراهيمَ يُلاعِبُهُ تَحْتَ ظِلِّ العَرْشِ ؟ » ، قال : بلى يا رسول الله . هذا حديث غريب (٢) .

وروى أبو يعلى الموصلي في «مسنده» من حديث ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعاهد الأنصار ويعودهم ويسأل عنهم ، فبلغه أن امرأة من الأنصار مات ابنٌ لها فجزعت عليه ، فأتاها فأمرها صلى الله عليه وسلم بتقوى الله عز وجل والصبر ، فقالت : يا رسول الله ! إني امرأة رقوب لا ألد ولم يكن لي ولد غيره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرَّقُوبُ الَّتِي يَبْقَى وَلَدُهَا » ، ثم قال : « مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ وَلَا أَمْرَةٍ مُسْلِمَةٍ يَمُوتُ لَهَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ إِلَّا أَدْخَلَهُمَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ » ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، واثنان ؟ قال : « واثنان » .

ورواه البزار في «مسنده» ولفظه : فقالت : يا رسول الله ، كيف لا

---

(١) رواه أحمد في «في المسند» ٤٦٧/٣ وفيه ابن لهيعة وروايته عن ابن هبيرة صحيحة .

(٢) قال الهيثمي في «المجمع» ١٠ / ٣ : رواه الطبراني في «الكبير» من حديث إبراهيم بن عبيد في التابعين وهو ضعيف ، وبقي رجاله موثقون .

أَجْزَعُ وَأَنَا رَقُوبٌ لَا يَعِيشُ لِي وَلَدٌ . فَقَالَ : « إِنَّمَا الرَّقُوبُ الَّتِي يَعِيشُ وَلَدَهَا . . . » وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ (١) .

وَرَوَاهُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَفِيهِ . قَالَ : وَاثْنَانُ . قَالَ : « وَاثْنَانُ » ، قَالُوا : وَوَاحِدٌ . قَالَ : « وَوَاحِدٌ » . وَقَدْ تَقَدَّمَ (٢) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ جَزَاءٌ إِذَا قَبِضَتْ صَفِيهِ مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ فَصَبَّرَ إِلَّا أَنْ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ » رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ وَإِسْنَادُهُ فِيهِ ابْنُ لَهْيَعَةَ ، وَالْكَلامُ فِيهِ مَعْرُوفٌ .

وَرَوَى أَيْضاً مِنْ حَدِيثِ الْمُنْهَالِ بْنِ خَلِيفَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْأَسَاطِينِ مَعْرُوفًا بِذَلِكَ فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَا فَعَلَ فُلَانٌ ، فَقَالُوا : ابْنُهُ شَكَا وَهُوَ يَمْرُضُهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ عَنْ ابْنِهِ فَوَجَدَهُ قَدْ مَضَى ، وَجَاءَ الرَّجُلُ مَعَ رَسُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا حَبَسَكَ عَنَّا؟ » قَالَ : إِنِّي كُنْتُ أَمْرُضُهُ حَتَّى مَضَى ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتُحِبُّهُ ؟ » قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « أَجَزَعْتَ عَلَيْهِ ؟ » . قَالَ : نَعَمْ شَدِيدًا ، قَالَ : « فَمَا يُسْرِكَ أَنْ يَكُونَ بَارِكًا عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، يَقُولُ : يَا أَبَاهُ أَنَا ذَا فَأَتِنَنِي ! » قَالَ : بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ ذَلِكَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمِنْ أَصَابِهِ مَنَا مَصِيبَةٌ كَانَتْ ذَلِكَ لَهُ . قَالَ : « نَعَمْ إِذَا صَبَرَ وَاحْتَسَبَ » .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ الْأَمْرَاضِ وَالْكَفَارَاتِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ

---

(١) قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي « الْمَجْمَعِ » ٨/٣ : رَوَاهُ الْبَزَارُ وَرَجَالُهُ الصَّحِيحُ . وَقَدْ تَقَدَّمَ ص

. ١٠١

(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ ص (١٠٠) رَقْم (٣) .

خالد بن السلمي عن أبيه عند جده - وكانت لجده صحبة - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِذَا سَبَقْتُ لِلْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنَزَلَةً لَمْ يَبْلُغَهَا بِعَمَلِهِ ابْتِلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ - أَوْ فِي وَلَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ - ثُمَّ صَبَرَهُ حَتَّى يَبْلُغَهُ الْمَنَزَلَةُ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » (١) .

وروى أيضاً بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي جَسَدِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » ورواه الترمذي ومالك في « الموطأ » (٢) .

وعن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ قال الله تعالى : « إِذَا وَجَّهْتُ إِلَى عَبْدِي مُصِيبَةً فِي بَدَنِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ ذَلِكَ بِصَبْرٍ جَمِيلٍ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ أَنْصِبَ لَهُ مِيزَانًا أَوْ أَنْشُرَ لَهُ دِيوانًا » رواه ابن عدي في « الكامل » (٣) .

## فصل

قال ابن أبي الدنيا : حدَّثني محمد بن الحسين ، ثنا داود بن المحبر ، ثنا سودة بن الأسود ، قال : سمعت أبا خليفة العبدى ، قال : مات ابن لي صغير فوجدت عليه وجداً شديداً وارتفع عني النوم ، فوالله إني لذات ليلة في

(١) رواه أحمد في « المسند » وأبو داود رقم (٣٠٩٠) في الجنائز : باب الأمراض المكفرة للذنوب . وفيه محمد بن خالد مجهول كما قال الحافظ في « التقريب » . لكن للحديث شواهد : فهو صحيح . انظر « الأحاديث الصحيحة » (٢٥٩٩) .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٤٠١) والحاكم ١ / ٣٤٦ و ٤ / ؟ ، وأحمد ٢ / ٤٥٠ ، وأخرجه مالك في « الموطأ » مرفوعاً بلفظ « ما يزال المؤمن يصاب في ولده وخاصته حتى يلقي الله وليست له خطيئة » . وهو حديث صحيح . انظر « الأحاديث الصحيحة » (٢٢٨٠) .

(٣) قال الحافظ العراقي . في سنده ضعف . كما قال المناوي في « فيض القدير » ٤ / ٤٨٧ .



بيتي على سريرى وليس في البيت أحدٌ غيرى وإنى لمفكر فى ابنى ، إذ نادانى مناد من ناحية البيت : السلام عليكم ورحمة الله يا أبا خليفة ، فقلت : وعليكم السلام ورحمة الله ، قال : - ورعبت رعباً شديداً - قال : فتعوذ ثم قرأ آيات من آخر سورة آل عمران حتى انتهى الى هذه الآية ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران : ١٩٨] . قال : يا أبا خليفة ، قلت : لبيك ، قال : ماذا تريد ؟ تريد أن تخصص بالحياة فى ولدك دون الناس أنت أكرم على الله أم محمد صلى الله عليه وسلم وقد مات ابنه إبراهيم ، وقال : « تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ ، وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ » أم ماذا تريد ؟ تريد أن يرتفع الموت عن ولدك وقد كتب على جميع الخلق ؟ أم ماذا تريد ؟ تريد أن تسخط الله فى تدبير خلقه ؟ والله لولا الموت ما وسعتهم الأرض ، ولولا التأسى ما انتفع المخلوقون بعيش ، ثم قال : ألك حاجة ؟ قلت : من أنت رحمك الله . قال : امرؤ من جيرانك من الجن .

قال الحافظ أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، ثنا محمد بن عبدوس ، ثنا أبو هاشم ، ثنا محمد بن كاسة ، قال : لما مات ذر [ بن ] عمر بن ذر ، وكان موته فجأة ، أتاه أهل بيته بكونه فقال : ما لكم إنا والله ما ظلمناه ولا قهرنا ولا ذهب لنا بحق ولا أخطىء بنا ولا أريد غيرنا ومالنا على الله معتب ، فلما وضعه أبوه فى قبره ، قال : رحمك الله يا بني ، لقد كنت بي باراً ، ولقد كنت عليك حديداً ، وما بي إليك من وحشة ، ولا إلى أحد بعد الله فاقة ، ولا ذهبت لنا بعز ، ولا أبقيت علينا من ذل ، وقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك ، يا ذر ، لولا هول المطلع ومحشره لتمنيت ما صرت إليه ، فليت شعري يا ذر ماذا قيل لك ؟ وماذا قلت ؟ ثم قال : اللهم وعدتني الثواب بالصبر على ذر ، اللهم فعلى ذر صلواتك ورحمتك ، اللهم إنى قد وهبت ما جعلت لي من أجر على ذر صلةً مني فلا تعزده قبيحاً وتجاوز عنه فإنك أرحم به مني ، اللهم إنى قد وهبت إساءته إليّ فهب له إساءته إليك ،

فإنك أجود مني وأكرم . فلما ذهب لينصرف ، قال : انصرفنا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك .

ورواها من وجه : أَنَّ ذر لما مات قال أصحابه : الآن يضيع الشيخ - يعني - والده ، فإنه كان باراً به ، فسمعها الشيخ فبقي متعجباً ، ثم التفت إليهم وقال : أضيع والله حي لا يموت ، ثم سكت حتى دفن . فلما واروه في التراب وقف على قبره ليسمعهم ، فقال : رحمك الله يا ذر ما علينا بعدك من خصاصة ، وما بنا الى أحد مع الله حاجة ، وما يسرني أن أكون المقدم قبلك ، ولولا هول المطلع لتمنيت أن أكون مكانك ، ثم رفع رأسه ، وقال : اللهم قد وهبت حقي فيما بيني وبينه له ، اللهم فهب حقك فيما بينك وبينه له . وساق نحواً من القصة الأولى ، فبقي القوم متعجبين مما جاء منهم ، ومما جاء منه من الرضا والتسليم .

وعن الحسن البصري رحمه الله : أن رجلاً جزع على ولده وشكا ذلك إلى الحسن ، فقال له : كان ابنك يغيب عنك قال : نعم ! كانت غيبته أكثر من حضوره ، قال : فأنزله غائباً فإنه لم يغيب عنك غيبةً خير لك ، فيها نفع أعظم من هذه . قال : يا أبا سعيد هونت عليّ وجدي على ابني .

وعن سلمة قال : لما مات ابن عمر بن عبد العزيز كشف أبوه عن وجهه ، وقال : رحمك الله يا بني فقد سررت بك يوم بشرت بك ، ولقد عمرت مسروراً بك ، وما أتت عليّ ساعة أنا فيها أسر من ساعتني هذه ، أما والله إن كنت لتدعوا بأك إلى الجنة .

وقال أبو الفرج بن الجوزي : قال أبو الوفاء بن عقيل : مات ولدي عقيل وكان قد تفقه وناظر وجمع أدباً حسناً ، فتعزيت بقصة عمرو بن عبدود الذي قتله علي بن أبي طالب . فقالت أمه ترضيه .

لَوْ كَانَ قَاتِلَ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ مَا زِلْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ دَائِمُ الْأَبَدِ  
لَكِنْ قَاتِلُهُ مَنْ لَا يُقَادُّ بِهِ مَنْ كَانَ يُدْعَى أَبُوه بَيِّضَةَ الْبَلَدِ

فأسلاها وعزاها جلالة القاتل ، فنظرت الى أن قاتل ولدي الحكيم المالك ، فهان القتل والمقتول لجلالة القاتل وعظمه .

## فصل

وهذه الأحاديث والآثار أكثر ورودها في الولد الذي لم يبلغ الحنث ، ولكن الولد الصالح البالغ أشد مصيبة على والديه وأكثر حزناً وجزعاً منهما على الولد الصغير ، خصوصاً إذا كان قد برز في العلم أو له برٌّ واحسان إلى والديه وأقاربه وأصحابه ، أو له صفات جميلة وأفعال حميدة . وأين يقع الولد الصغير موقع الكبير في النفع لوالديه ولغيرهما إذا كان متصفاً بما ذكر ، فهل يستريب عاقل أن الحزن عليه أشد ، فكذلك أجره وثوابه أعظم وأكثر .

فإن قيل : البالغ قد جرى عليه القلم وهو من المكلفين فنهايته يخلص نفسه يعتقها أو يوبقها .

قيل : الجزء على الكبير إنما يحصل على الصبر على المصيبة والاسترجاع والحمدلة ، بل هو داخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أدخل الجنة ثواب ما قد أخذ منك » .

وروى ابن منده من حديث ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة النسائي ، عن حسان بن كريب ، أن غلاماً منهم توفي بحمص فوجد عليه أبوه ، فقال له حوشب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أخبرك ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مثل ابنك إن رجلاً من الصحابة كان له ابن قد أدرك . وكان يأتي مع أبيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفي فوجد عليه قريباً من ستة أيام . . . الحديث ، وهذا الحديث ذكر فيه أنه أدرك ، وذكر فيه دخول الجنة ثواب ما أخذ منه ، وقد تقدم من رواية الإمام أحمد ، لكن لم يذكر في روايته أنه أدرك .

وقد روى الحافظ أبو القاسم ابن عساكر بإسناده عن إبراهيم ، عن

علقمة ، عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ مَاتَ لَهُ ابْنٌ أَوْ وَلَدٌ سَلِمَ أَوْ لَمْ يُسَلِّمْ رَضِيَ أَوْ لَمْ يَرْضَ لَمْ يَكُنْ لَهُ ثَوَابٌ دُونَ الْجَنَّةِ » وفي لفظ آخر : « مَنْ مَاتَ لَهُ ابْنٌ صَبَرَ أَوْ لَمْ يَصْبِرْ ، احْتَسَبَ أَوْ لَمْ يَحْتَسِبْ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ <sup>(١)</sup> » . وقد روى ابن عساكر هذا الحديث بعدة طرق وإن كان قد تكلم في بعضها أو في أكثرها .

ففيها بشارة عظيمة لأكثر الناس في زماننا هذا ، لأن بموت الولد في غالب أهل زماننا يحصل لوالديه جزع وهلع وعدم تبصر ؛ وما ذاك إلا لقلة الزواجر الشرعية ؛ فإن الوعد والوعيد يحصل للعبد به تسلية عظيمة ، فنسأل الله تعالى أن لا يمتحننا وإن امتحننا أن يثبتنا .

وقال أبو القاسم بن عساكر : أخبرنا أبو العز أحمد بن عبد الله العكبري ببغداد ، أنبأنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهرى ، أنبأ أبو الحسن علي بن محمد الوراق ، أنبأ أبو حفص عمر بن أيوب السقطي ، ثنا أبو الوليد بشر بن الوليد القاضي ، ثنا الفرج بن فضالة ، ثنا هلال أبو جبلة ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الرحمن بن سمرة ، قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ونحن في صفة بالمدينة فقام علينا ، فقال : « إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عَجَبًا ، رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي أَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ ، فَجَاءَهُ بِرُّهُ بِوَالِدِيهِ فَرَدَّ مَلَكُ الْمَوْتِ عَنْهُ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ بَسِطَ عَلَيْهِ عَذَابُ الْقَبْرِ ، فَجَاءَهُ وَضُوءُهُ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ الشَّيَاطِينُ ، فَجَاءَهُ ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَطَرَدَ الشَّيَاطِينَ عَنْهُ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ ، فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ

---

(١) قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠/٣ : رواه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » ، وفيه عمرو بن خالد الأعشى ، وهو ضعيف ، وبقية رجاله ثقات .

أَيْدِيهِمْ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَلْتَهُبُ عَطْشًا كُلَّمَا دَنَا مِنْ حَوْضٍ مُنِعَ مِنْهُ  
وَطُرِدَ ، فَجَاءَهُ صِيَامُهُ شَهْرَ رَمَضَانَ فَاسْقَاهُ وَأَرْوَاهُ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي  
وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ جِلْقًا جِلْقًا ، كُلَّمَا دَنَا إِلَى حَلْقَةٍ طُرِدَ ، فَجَاءَهُ غُسْلُهُ مِنْ  
الْجَنَابَةِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَقْعَدَهُ إِلَى جَنْبِي ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ  
ظُلْمَةٌ ، وَعَنْ يَمِينِهِ ظُلْمَةٌ ، وَعَنْ شِمَالِهِ ظُلْمَةٌ ، وَمِنْ فَوْقِهِ ظُلْمَةٌ وَهُوَ مُتَحِيرٌ ،  
فَجَاءَهُ حَجَّتُهُ وَعُمُرَتُهُ فَاسْتَخْرَجَاهُ مِنَ الظُّلْمَةِ وَأَدْخَلَاهُ فِي النُّورِ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا  
مِنْ أُمَّتِي يَتَّقِي بِيَدِهِ وَوَجْهَهُ وَهَجَ النَّارِ وَشَرَرَهَا ، فَجَاءَتْهُ فَصَارَتْ سِتْرَةً بَيْنَهُ  
وَبَيْنَ النَّارِ وَظِلًّا عَلَى رَأْسِهِ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا  
يُكَلِّمُونَهُ فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ لِرَحِمِهِ ، فَقَالَتْ : يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ كَانَ وَصُولًا  
لِرَحِمِهِ فَكَلِّمُوهُ فَكَلَّمُوهُ الْمُؤْمِنُونَ وَصَافَحُوهُ وَصَارَ فِيهِمْ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ  
أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ الزَّبَانِيَةُ فَجَاءَهُ أَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُهُ عَنِ الْمُنْكَرِ فَاسْتَنْقَذَهُ  
مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَدْخَلَهُ فِي مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَائِيًا عَلَى  
رُكْبَتَيْهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِجَابٌ ، فَجَاءَهُ حُسْنُ خُلُقِهِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ  
عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ هَوَتْ صَحِيفَتُهُ مِنْ قَبْلِ شِمَالِهِ  
فَجَاءَهُ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَخَذَ صَحِيفَتَهُ فَوَضَعَهَا فِي يَمِينِهِ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا  
مِنْ أُمَّتِي خَفَّ مِيزَانُهُ فَجَاءَهُ أَفْرَاطُهُ فَثَقُلُوا مِيزَانُهُ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَائِمٌ  
عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَجَاءَهُ رَجَاؤُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ وَمَضَى ،  
وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ هَوَى فِي النَّارِ ، فَجَاءَتْهُ دَمْعَتُهُ الَّتِي بَكَى مِنْ خَشْيَةِ  
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَائِمًا عَلَى الصِّرَاطِ  
يَرْعُدُ كَمَا تَرْعُدُ السَّعْفَةُ فِي رِيحٍ عَاصِفٍ فَجَاءَهُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَسَكَّنَ  
رَعْدَتَهُ وَمَضَى ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَرْحَفُ عَلَى الصِّرَاطِ وَيَحْبُو أَحْيَانًا وَيَتَعَلَّقُ  
أَحْيَانًا فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ عَلَيَّ فَأَنْقَذَتْهُ وَأَقَامَتْهُ عَلَى قَدَمِيهِ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي  
انْتَهَى إِلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَعُلِقَتْ الْأَبْوَابُ دُونَهُ فَجَاءَتْهُ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

فَفَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ .

هذا الحديث قد ذكر جماعة من الحفاظ أن لوائح الصحة ظاهرة عليه ، وأن القلب يركن إلى متنه، وقد أومأت إليه فيما تقدم (١)، وبكل حال في هذا الحديث بشارة عظيمة للأمة عامة ، وفيه تطيب خاطر الوالدين على الأطفال خاصة ، سواء كان الطفل ولد قبل إسلام والده أو بعده ، فإنه صلى الله عليه وسلم ، قال : « رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي خَفَّ مِيزَانُهُ فَجَاءَتْهُ أَفْرَاطُهُ فَثَقَلُوا مِيزَانَهُ » .

ويؤيد ذلك ما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ (٢) . قال تعالى : ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [ الروم : ٣٠ ] .

فالوالدان الذين يتوفون على ما فطرهم الله عليه من التوحيد هم من السعداء الذين يدخلون الجنة بلا عملٍ عملوه ولا خيرٍ قدموه بل برحمة الله لهم ومنتته عليهم . بل أعظم من هذا أنهم يشفعون في آبائهم ، ولهذا يكونون في البرزخ في كفالة أبيهم إبراهيم الخليل عليه السلام كما ثبت في « الصحيح » في حديث المنام الطويل من حديث سمرة بن جندب أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل وميكائيل فانطلقا به فأرياه عجائب ، وفيه « وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ وَالصَّبِيَّانُ حَوْلُهُ أَوْلَادُ النَّاسِ » وفي لفظ

---

(١) تقدم تخريجه ص (٩٨) رقم (٢) .

(٢) رواه البخاري ٣ / ٧٦ في الجنائز : باب إذا أسلم الصبي ، وباب ما قيل في أولاد المشركين ، ومسلم رقم (٢٦٥٨) في القدر : باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ؛ و« الموطأ » رقم (٥٢) في الجنائز : باب جامع الجنائز ، والترمذي رقم (٢١٣٩) في القدر : باب كل مولود يولد على الفطرة ، وأبو داود رقم (٤٧١٤) في السنة : باب ذراري المشركين .

ولفظه بتمامه : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ، ثم يقول أبو هريرة : واقرؤا ان شئتم : ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [ الروم : ٣٠ ] .

البخاري : « وَالْوَالِدَانُ حَوْلَهُ ، فَكُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ » ، فقيل : يا رسول الله وأولاد المشركين ، قال : « وَأَوَّلَادُ الْمُشْرِكِينَ »<sup>(١)</sup> .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وفطرة الله أضافها إليه إضافة مدح لا إضافة ذم ، فعلم أنها فطرة محمودة لا مذمومة يبين ذلك ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ ﴾ [ الروم : ٣٠ ] ولهذا نصب على المصدر دل الفعل الأول عند سيبويه وأصحابه ، فدل على ان إقامة الوجه للدين حنيفا هو فطرة الله التي فطر الناس عليها ، كما في نظائره مثل قوله تعالى : ﴿ كِتَابُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [ النساء : ٢٤ ] و﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ ﴾ [ غافر : ٨٥ ] والفتح : [ ٢٣ ] فهو عندهم مصدر منصوب بفعل مضمر لازم إضماره دل عليه الفعل المتقدم ، كأنه قال : كتب الله عليكم ذلك ، وسنّ الله ذلك لكم . انتهى كلامه .

وقد تكلمنا على الأطفال وأشعبنا الكلام فيهم في كتاب مفرد ؛ فمن رام كشفه فليطلبه ، ولكن لا يليق التطويل بما ليس نحن بصدده بأكثر من هذا ، فهذا تنبيه على الأطفال أنهم ولدوا على الفطرة ، وقد ذكرنا في الفطرة نحواً من عشرة أقوال في المصنف المشار إليه ، والله أعلم .

## فصل

في التأسّي ببعض ما كان يفعله الصحابة والتابعون  
إذا نزلت بهم المصائب

فقد ثبت في « صحيح البخاري »<sup>(٢)</sup> عن أنس ، قال : اشتكى ابنُ لأبي

---

(١) رواه البخاري في الجنائز : باب ما قيل في أولاد المشركين ، وأحمد في « المسند » ١٤/٥ - ١٥ من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه . انظر روايات الحديث في « جامع الأصول » رقم (١٠١١) .

(٢) البخاري ٣/١٣٥ و ١٣٧ في الجنائز: باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة ، وفي العقيقة : باب =

طلحة قال : فمات وأبوه أبو طلحة خارج ، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئاً وجعلتُ فيها في جانب البيت ، فلما جاء أبو طلحة ، قال : كيف الغلام ؟ قالت : تد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح ، وظن أبو طلحة أنها صادقة ، قال : فبات ، فلما أصبح اغتسل ، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات ، فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخبره بما كان منها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَعَلَّ الله أَنْ يُبَارِكَ لَهُمَا فِي لَيْلَتِهِمَا » ؛ فقال رجل من الأنصار : فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن .

وفي لفظ أنها قالت لأهلها لما مات ولدها لا يكلم لأبي طلحة أحدٌ قبلي ، فلما دخل سأل عن الصبي ، فقالت : إنه قد هدأ مما كان ، وقدمت له طعاماً فأكل ، ثم تصنعت له حتى واقعها ، ثم قالت : يا أبا طلحة أرأيت قوماً أودعوا قوماً وديعة ثم طلبوها منهم أفما يجب أن يؤدوها إليهم ؟ قال : بلى ، قالت : فاحتسب ابنك . فغضب لما صنعت به ؛ فلما كان الصباح ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكوها إليه ، فبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال « بَارَكَ اللهُ لَكُمْ فِي غَائِرِ لَيْلَتِكُمَا » فجاءت بغلام حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه عبد الله ، وهو الذي كان من سلالة الإخوة القراء ، والأول هو أبو عمير الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يداعبه ويقول له : « يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرِ » أي ما فعل عصفورك<sup>(١)</sup> .

---

= تسمية المولود ، ورواه أيضاً مسلم رقم (٢١٤٤) في الآداب : باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته ورقم (٢١٤٤) في فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه انظر روايات الحديث في « رياض الصالحين » رقم (٤٥) و« جامع الأصول » ١ / ٣٦٩ و ٤٣٨ .

(١) رواه البخاري ١٠ / ٤٣٦ في الأدب : باب الانبساط الى الناس ، وباب الكنية للصبي وقبل أن يولد الرجل ، ومسلم رقم (٢١٥٠) في الأدب : باب استحباب تحنك المولود عند ولادته ، وأبو =



فهذه امرأة قد تصبرت ورضيت وثبتت واحتسبت فأخلف الله لها خيراً من الذي أصيبت به ، فإذا نظر من أصيب بمصيبة إلى امرأة قد فعلت عند المصيبة أمراً لا يكون إلا عند السرور والأفراح فليتأس الشخص وليتعلم أوصاف السابقين الأولين ، ويعلم أن الرجال أولى بهذا الصنيع والصبر من النساء .

ولم تصب امرأة في الوجود بما أصيبت به فاطمة رضي الله عنها التي هي سيدة نساء أهل الجنة ؛ فإنها أصيبت بموت أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تقل في هذه الحال العظيمة إلا قولاً صدقاً محفوظاً عنها، فإنها قالت : يَا أَبَتَاهُ مِنْ رَبِّهِ مَا أَذْنَاهُ ، يَا أَبَتَاهُ إِلَى جَبْرِيلَ أَنْعَاهُ ، يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ<sup>(١)</sup>، فالذي ينبغي لنا التأسي بسادات المسلمين من الرجال والنساء .

مات لرجل من السلف ولدٌ ، فعزاه سفيان بن عيينة ، ومسلم بن خالد ، وآخرون ، وهو في حزن شديد حتى جاءه الفضيل بن عياض . فقال : يا هذا أرأيت لو كنت في سجن وابنك ، فأفرج عن ابنك قبلك أما كنت تفرح ؟ قال : بلى ! قال : فإن ابنك خرج من سجن الدنيا قبلك ، قال : فسري عن الرجل ، وقال : تعزيت . رواه الحافظ ابن عساكر .

وقال مالك : إنه بلغه عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه

---

= داود رقم (٤٩٦٩) في الأدب : باب ما جاء في الرجل يتكفى وليس له ولد ، والترمذي رقم (٣٣٣) في الصلاة باب في الصلاة على البسط ، ورقم (١٩٩٠) في البر : باب ما جاء في المزاح ، وابن ماجه رقم (٣٧٢٠) في الأدب : باب المزاح ، وأحمد في « المسند » ٣ / ١١٥ و ١١٩ و ١٧١ و ١٨٨ . قوله : « النغير » : تصغير النُغر ، وهو طائر صغير يشبه العصفور ، أحمر المنقار ، ويجمع على نِغْران .

(١) تقدم تخريجه ص (٨٣) رقم (١) .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصَابُ فِي وَلَدِهِ وَخَاصَّتِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَتْ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » (١) .

وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي موسى الأشعري . والمقصود أن من سمع بهذا الحديث وكان قد أصيب بمصيبة حصل له تسلية .

ومن التأسي بمن أصيب في نفسه فصبر وعزى نفسه وتكلم بما حفظ عنه . لما حضرت معاوية الوفاة قال : أقعدوني فأقعدوه ، فجعل يذكر الله ويسبحه ، ثم قال : الآن تذكر ربك يا معاوية بعد الانحطام والانهزام ، ألا كان ذلك وغصن الشباب ريان ! وبكى حتى علا بكأؤه ، ثم قال منشداً :

هُوَ الْمَوْتُ لَا مَنَجًا مِنَ الْمَوْتِ وَالَّذِي أَحَاذِرُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَذْهَى وَأَفْظَعُ

ثم قال : اللهم يارب ! ارحم الشيخ العاصي والقلب القاسي ، اللهم أقل العثرة واغفر الزلة ، وجد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولا يثق بأحدٍ سواك ، ثم قال لابنه : يا بني إذا وافاني أجلي فاعمد إلى المنديل الذي في الخزانة ، فإن فيها ثوباً من أثواب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراصة من شعره وأظفاره ، فاجعل الثوب مما يلي جسدي ، واجعل أكفاني فوقه ، واجعل القراصة في فمي وأنفي وعيني ، فإن نفعني شيء فهذا ، فإذا وضعتوني في قبري فخلوا معاوية وأرحم الراحمين .

ولما حضرت أبا هريرة رضي الله عنه الوفاة بكى ، فقل له : ما يبكيك ؟ فقال : يبكيني بعد السفر وقلة الزاد وضعف اليقين والعقبة الكؤود التي المهبط منها إما إلى الجنة وإما إلى النار .

ولما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قال : اجلسوني ، فأجلسوه ،

---

(١) تقدم تخريجه ص (١١١) رقم (٢) .

فقال : اللهم أنا الذي أمرتني فقصرت ، ونهيتني فعصيت ، فإن غفرت فقد مننت ، وإن عاقبت فما ظلمت ، لا إله إلا أنت .

وقال سليمان التيمي : دخلت على بعض أصحابنا وهو من النزع ، فرأيت من جزعه ما ساءني ، فقلت له : هذا الجزع كله لماذا وقد كنت بحمد الله على حالة صالحة ؟ ومالي لا أجزع ومن أحق مني بالجزع ، والله لو أتني المغفرة من الله عز وجل لأهمني الحياء منه مما أفضيت به إليه .

ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة جعل يقول : والله لوددت أني عبدٌ لرجل من تهامة أرعى غنيمات في جبالها ولم أل .

وذكر محمد الطائي الهمداني في « إرشاد السائرین إلى منازل المتقين » ، ذكر بإسناده إلى المزي قال : دخلت على الشافعي رحمه الله في مرضه الذي مات فيه فقلت : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت من الدنيا راحلاً ، ولإخواني مفارقاً ، ولسوء فعلي ملاقياً ، وبكأس المنية شارباً ، وعلى الله عز وجل وارداً ، فوالله ما أدري أروحي تسير إلى الجنة فأهنيها ، أم إلى النار فأعزيها . ثم بكى وأنشد :

فَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي	جَعَلْتُ رَجَائِي نَحْوَ عَفْوِكَ سُلْمًا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ	بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا
فَمَا زِلْتُ ذَا عَفْوٍ مِنَ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ	تَجُودُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكْرُمًا
فَلَوْلَاكَ لَمْ يَقَوْ بِإِبْلِيسَ عَالِمٌ	وَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى ضَعِيفُكَ آدَمًا

وقال بعض الصالحين لخادمه وقد حضرته الوفاة : يا غلام ، شد كتافي وعفر خدي في التراب ، ففعل الغلام به ذلك ، ثم قال : دنا الرحيل ، ثم قال : اللهم لا براءة لي من ذنب ، ولا عذر أعذر به ، ولا قوة فأتصرف بها ، ثم قال : أنت لي ، أنت لي ، ثم صاح صيحة فمات ، فسمعوا صوتاً يقول : اشتكى العبد لمولاه فقبله .

## فصل

ومن المطالب العالية والبشارات الهائلة لمن أصيب بمصيبة ، وقد تقدم غالبه ، ثم نذكر من لم يقدم من ولده شيئاً .

قال الإمام أحمد : ثنا بهز ، ثنا حماد بن سلمة ، ثنا يعلى بن عطاء ، عن شيخ من أهل دمشق ، عن أبي أمامة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَمْسٌ بَخٍ بَخٌ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يَمُوتُ لِلرَّجُلِ فَيَحْتَسِبُهُ » . وقد روي هذا الحديث بعدة طرق عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحشاش العنبري وهو صحابي بنحو من هذا ؛ لكن لفظ « بَخٍ بَخٍ لِحَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ » ، ورواه ابن سعد في « الطبقات » من حديث سلام الأسود ولفظه كما تقدم ، وفيه « وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فَيَحْتَسِبُهُ » ورواه ابن أبي عاصم<sup>(١)</sup> .

وقال أبو القاسم ابن عساكر : قرأت على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة السلمي ، عن أبي بكر أحمد بن علي الحافظ ، أنبأ الحسن بن أبي بكر ، أنبأ أبو الحسين أحمد بن عثمان ، ثنا ابن أبي العوام ، ثنا أبي ، ثنا إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل ، حدثني أبي عن أبيه كهيل ، عن هانئ ابن بنت الحضرمي ، ثنا عبد الله بن عباس ، قال : توفي ابن لصفية ابنة عبد المطلب فبكت عليه ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَبْكِينَ يَا عَمَّةُ ! مَنْ تُؤَفِّي لَهُ وَلَدٌ فِي الْإِسْلَامِ كَانَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ » فسكت .

---

(١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » ٧ / ٤٣٣ ، وابن حبان (٢٣٢٨) « وموارد » من حديث أبي سلمى راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحاكم ١ / ٥١١-٥١٢ ، وابن سعد ٦ / ٥٨ من طريق ابن جابر وحده به . وهو حديث صحيح . انظر « الأحاديث الصحيحة » (١٢٠٤) ، و « مجمع الزوائد » ١٠ / ٨٨ .

وفي « صحيح البخاري » <sup>(١)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبِضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةَ » .

وقال الترمذي في « جامعه » : حَدَّثَنَا نصر بن علي الجهضمي وأبو الخطاب زياد بن يحيى البصري ، قالا : ثنا عبد ربه بن بارق ، قال : سمعت جدي أبا سماك بن الوليد يحدث أنه سمع عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ كَانَ لَهُ فَرْطَانِ مِنْ أُمَّتِي أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهِمَا الْجَنَّةَ » . فقالت عائشة رضي الله عنها : فمن كان له فرط من أمتك . قال : « وَمَنْ كَانَ لَهُ فَرْطٌ يَأْتِيهِ مُؤَقَّةٌ » . قالت : فمن لم يكن له فرط من أمتك ؟ قال : « فَأَنَا فَرْطُ أُمَّتِي لَنْ يُصَابُوا بِمِثْلِي » . قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد ربه بن بارق <sup>(٢)</sup> .

وقد روى عنه غير واحد من الأئمة . قال الحافظ الضياء : عبد ربه بن بارق ، تكلم فيه يحيى بن معين . وقال الإمام أحمد : ما به بأس .

وقد روينا في جزء ابن عرفة مرفوعاً « الْمَوْتُ كَفَّارَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ » <sup>(٣)</sup> .

والمقصود أن من لم يصب في أولاده أو لم يكن له أولاد ، فالنبي صلى الله عليه وسلم فرطه ، لكن أهل المصائب أيضاً يشاركونهم في النبي صلى

---

(١) ٢٠٧ / ١١ في الرقاق : باب العمل الذي يبتغي به وجه الله ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٤١٧ / ٢ .

(٢) رواه الترمذي رقم (١٠٦٢) في الجنائز : باب في ثواب من قدم ولداً ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٥٨١٣) : ضعيف .

(٣) قال الحافظ العراقي في « تخريج الإحياء » ٤٥٠ / ٤ : أخرجه أبو نعيم في « الحلية » ١٢١ / ٣ ، والبيهقي في « الشعب » (٩٨٨٥-٩٨٨٦) والخطيب في « التاريخ » من حديث أنس رضي الله عنه ، قال ابن العزبي في « سراج المريدين » : إنه حسن صحيح ، وضعفه ابن الجوزي ، وقد جمعت طرقه في جزء =

الله عليه وسلم ، فيحصل لهم أجر من جهتين ، وقد يحصل للشخص أجر من جهات عديدة من موت وحريق ونهب وغير ذلك مما يكفر الله به السيئات ويرفع به الدرجات .

\* \* \*

---

= وانظر «كشف الخفا» للعجلوني رقم (٢٣٣٤) . و«الفوائد المجموعة» للشكوكاني رقم (٨٣٩) . و (٥٩٥٠): حديث موضوع .

## الباب السابع -

### في ذكر السقط وثوابه وزيارة القبور

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، ثنا خالد الطحان ، ثنا يحيى التيمي ، عن عبد الله بن مسلم ، عن معاذ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ السَّقْطَ لَيَجْرُ أُمُّهُ بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ إِذَا احْتَسَبَتْهُ » ورواه ابن ماجه ايضاً والدارمي من حديث يحيى بن عبيد الله التيمي به (١) . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ السَّقْطَ لَيَرَاغِمُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَدْخَلَ أَبْوِيَهُ النَّارَ ، فَيُقَالُ ، أَيُّهَا السَّقْطُ الْمُرَاغِمُ رَبُّهُ أَدْخَلَ أَبْوِيَكَ الْجَنَّةَ » ورواه ابن ماجه (٢) . وروى ابن ماجه ايضاً من حديث يزيد بن رومان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَسَقَطُ أَقْدَمُهُ بَيْنَ يَدَيَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَارِسٍ أُخْلِفَهُ خَلْفِي » . ورواه عبد الله بن الإمام أحمد (٣) .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٥ / ٢٤١ وابن ماجه رقم (١٦٠٩) في الجنائز : باب ما جاء فيمن أصيب بسقط .

قال البوصيري في « الزوائد » : في اسناده يحيى بن عبيد الله بن موهب ، وقد اتفقوا على ضعفه . وقال الهيثمي في « المجمع » ٣ / ٩ : رواه أحمد والطبراني في « الكبير » وفيه يحيى بن عبد الله التيمي ، ولم أجد من وثقه ولا جرحه . قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٩٤١) : حسن . قوله : « بسرره » ، السرر : ما تقطعه القابلة ، وما بقي بعد القطع فهو السرة .

(٢) رواه ابن ماجه رقم (١٦٠٨) في الجنائز : باب ما جاء فيمن أصيب بسقط . قال البوصيري في « الزوائد » : اسناده ضعيف ، لاتفاقهم على ضعف مندل بن علي . قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (١٤٦٧) : ضعيف .

(٣) رواه ابن ماجه رقم (١٦٠٧) في الجنائز : باب ما جاء فيمن أصيب بسقط ، قال البوصيري في « الزوائد » : قلت : قال المزي في « التهذيب » و « الأطراف » : يزيد لم يدرك أبا هريرة ، ويزيد بن عبد الملك ، وإن وثقه ابن سعد ، فقد ضعفه أحمد وابن معين وخلف . قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٤٦٨٠) : ضعيف .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُؤَدِي فِي أَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ أُخْرِجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ . فَيُخْرِجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ ، ثُمَّ يُنَادِي أَنْ امْضُوا إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ، فَيَقُولُونَ : يَا رَبَّنَا وَوَالِدَانَا مَعَنَا ، فَيُنَادِي فِيهِمُ الثَّانِيَةَ أَنْ امْضُوا إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ، فَيَقُولُونَ : يَا رَبَّنَا وَوَالِدَانَا مَعَنَا . قَالَ : فَيَبْتَغِي الرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا فِي الرَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ : وَوَالِدُكُمْ مَعَكُمْ ، فَيَثْبُ كُلُّ طِفْلٍ إِلَى أَبِيهِ ، فَيَأْخُذُونَ بِأَيْدِيهِمْ فَيَدْخُلُونَهُمُ الْجَنَّةَ ، لَهُمْ أَعْرُفُ بِآبَائِهِمْ وَأُمَمَاتِهِمْ يَوْمَئِذٍ مَنْ أَوْلَادِكُمْ وَالَّذِينَ فِي بَيْوتِكُمْ » . رواه ابن شاهين والحافظ ابن عساكر في ذكر ثواب السقط .

وروي عن عبد الرحمن بن أبي حاتم ، ثنا محمد بن الوزير ، ثنا خلاد ابن منصور الواسطي ، ثنا داود بن أبي هند ، قال : رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت ، وكأن الناس يدعون إلى الحساب ، قال : ففقت إلى الميزان فوضعت حسناتي في كفة وسيئاتي في كفة ، فرجحت السيئات على الحسنات ، فبينما أنا كذلك مغموماً إذ أتيت بشيء كالمنديل أو كالخرقة البيضاء فوضعت مع حسناتي فرجحت على السيئات ، ففقت : تدري ما هذه ؟ قلت : لا ، قال : سقط كان لك ، قلت : فإنه قد مات لي صبية ابنة لي ، ففقت لي : تيك ليست لك لأنك كنت تتمنى موتها .

وروي يزيد بن أبي مريم عن أبيه عن سهل بن الحنظلية الأنصاري - وكان ممن بايع تحت الشجرة - وكان لا يولد له ، أنه قال : لأن يولد لي ولو سقط فاحتسبه أحب إلي من الدنيا جميعاً .

## فصل

### في زيارة القبور

زيارتها مستحبة ، وهي تذكر الآخرة وتفرح الموتى ، بما يحصل لهم



من الأحياء من قراءة واستغفار ودعاء وصدقة ونحو ذلك ، فزيارة القبور فيها نفع للأحياء والأموات ، فالحي يذكّر الآخرة ، والموت الذي ما ذكر في قليل من متاع الآخرة إلا كثره ولا في كثير من متاع الدنيا إلا قلله ، ويقرأ على نفسه آيات الصبر وقصر الأمل مثل قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ .. ﴾ [ الحديد : ١٦ ] . وقوله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [ المؤمنون : ١١٥ ] .

وفي « صحيح البخاري »<sup>(١)</sup> من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » . وكان ابن عمر يقول : « إِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صَحْتِكَ لِمَرْضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ » .

فإذا تذكر ذلك حصل له الخشوع والإقلاع وتذكر من سلف من الأهل والأقارب ، هذا في الزيارة النافعة لا كما يفعل في زماننا هذا من البدع في الزيارة يوم الخميس والسبت فتزين النساء ويتبهرجن ويجلسن على القبور .

وقد نهى في « سنن أبي داود » من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : «لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتَحْرَقَ ثِيَابُهُ فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرِ»<sup>(٢)</sup> .

---

(١) ١١ / ١٩٩ - ٢٠٠ في الرقاق : باب قول النبي ﷺ « كن في الدنيا كأنك غريب » والترمذي رقم (٢٣٣٤) في الزهد : باب ما جاء في قصر الأمل .

(٢) رواه مسلم رقم (٩٧١) في الجنائز : باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه ، وأبو داود رقم (٣٢٢٨) في الجنائز : باب في كراهية القعود على القبور ، والنسائي ٤ / ٩٥ في الجنائز : باب التشديد في الجلوس على القبور .

وقال : « لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا » (١) .

لكن اختلف العلماء في الجلوس ما هو؟ فأكثر العلماء على أنه الجلوس المعروف ، وقال مالك : هو التغوط عليها .

وروي في « الموطأ » : أن علياً كان يتوسّد القبور ويضطجع عليها (٢) .

وأن ابن عمر كان يجلس على القبور (٣) .

وأن عثمان بن حكيم ، قال : أخذ خارجة بن زيد بيدي فأجلسني على قبر ، وأخبرني عن عمه يزيد بن ثابت أنه قال : إنما كره ذلك لمن أحدث عليها (٤) .

والمقصود أن النساء يخرجن إلى المقابر وتحضر الشباب الفسقة فيجلسون على سكك المقابر ، ويختلطون بهم في الغالب ، وربما تصعد السوق بملاذ المأكّل وغيرها للبيع والشراء وربما تحدثوا بما لا يليق ، فهؤلاء قبحهم الله تعالى وأبعدهم عن بابه وختم على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم لأنهم يشاهدون منازل الآخرة - يعني المقابر - وهم معرضون عما يراد بهم .

---

(١) رواه مسلم رقم (٩٧٢) في الجنائز: باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه، وأبوداود رقم (٣٢٢٩) في الجنائز: باب في كراهية القعود على القبر ، والترمذي رقم (١٠٥٠) في الجنائز: باب ما جاء في كراهية المشي على القبور والجلوس عليها والصلاة إليها ، والنسائي ٦٧ / ٣ في القبلة : باب النهي عن الصلاة إلى القبر ، من حديث أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه .

(٢) رواه الموطأ ١ / ٢٣٣ في الجنائز: باب الوقوف للجنائز والجلوس على المقابر ، وإسناده منقطع ، قال الزرقاني في « شرح الموطأ » : بلاغه صحيح ، وقد أخرجه الطحاوي برجال ثقات عن علي رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري ٣ / ١٧٨ في الجنائز: باب الجريدة على القبر ، قال الحافظ في « الفتح » : وصله الطحاوي من طريق بكير بن عبد الله بن الأشج أن نافعاً حدثه بذلك .

(٤) رواه البخاري ٣ / ١٧٧ في الجنائز: باب الجريدة على القبر ، قال الحافظ في « الفتح » : وصله مسدد في مسنده الكبير .

وقد نص الإمام أحمد رحمه الله ، على أن الموتى يتأذون بفعل المعصية عندهم ، وفي زماننا هذا تفعل المعاصي في التربة فيحصل للموتى الأذى بذلك ، كما نص أحمد على ذلك لأنهم رحمهم الله تعالى قد تيقنوا شؤم عاقبة الذنب ، وعاینوا عين اليقين ، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة .

ونص الإمام أحمد : على أن الزيارة للقبور يوم الجمعة قبل طلوع الشمس فإن الأموات يرون زائرهم .

وقال الغزالي في « إحياء علوم الدين » : الزيارة تكون يوم الجمعة ويوم السبت قبل طلوع الشمس .

ويستحب الإكثار من ذكر الموت كما ثبت في الترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ » . - يعني الموت - (١) .

ويستحب للشخص إذا دخل المقابر أن يسلم على أهل المقابر ، كما ثبت في « الصحيحين » (٢) عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من آخر الليل الى البقيع ، فيقول : السَّلَامُ

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٣٠٨) في الزهد : باب ما جاء في المبادرة بالعمل ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٢٩٣ ، وابن ماجه رقم (٤٢٥٨) في الزهد : باب ذكر الموت ، واسناده حسن ، وصححه ابن حبان (٢٥٥٩) و (٢٥٦٢) « موارد » والحاكم . قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٢٢١) : صحيح .

(٢) رواه البخاري ٦/ ١٥٤ و ١٥٦ في الجهاد : باب قول النبي ﷺ : « أحلت لكم الغنائم » ، وفي النكاح : باب من أحب البناء قبل الغزو ، ومسلم رقم (١٧٤٧) في الجهاد : باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة ، وأخرجه أحمد في « المسند » ٢/ ٣١٨ ، وفي الحديث فوائد ذكرها الحافظ في « الفتح » ٦/ ١٥٦ و ١٥٧ فانظرها .

قوله : « الغرقدة » : هو ضرب من شجر العضاة وشجر الشوك ، واحدته الغرقدة ، ومنه قيل لمقبرة أهل المدينة : بقيع الغرقدة ، لأنه كان فيها غرقدة وقطع .

عَلَيْكُمْ دَارِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ ، غَدًا مُؤْجِلُونَ ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرَقِدِ .

وفي « صحيح مسلم »<sup>(١)</sup> من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه قال :  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر ، فكان  
قائلهم يقول : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّا إِن  
شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لِلْآحِقُونَ ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ » .

وفي « صحيح مسلم »<sup>(٢)</sup> أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة . فقال : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ  
دَارِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ . . » الحديث .

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : مر رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه ، فقال : « السَّلَامُ  
عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْقُبُورِ ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحْنُ بِالْآثِرِ » ورواه  
الترمذي وهذا لفظه ، وقال : حديث حسن غريب<sup>(٣)</sup> .

ورواه ابن ماجه<sup>(٤)</sup> من حديث عائشة رضي الله عنها ، ولفظه :  
« السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ وَإِنَّا بِكُمْ لَاحِقُونَ ، اللَّهُمَّ

---

(١) رقم (٩٧٥) في الجنائز : باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لاهلها ، والنسائي ٩٤ / ٤  
في الجنائز : باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٣٥٣ / ٥ و ٣٦٠ ،  
وابن ماجه رقم (١٥٤٧) في الجنائز : باب ما جاء فيها يقال إذا دخل المقابر .

(٢) رقم (٢٤٩) في الطهارة : باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ، ورواه أيضاً  
أبو داود رقم (٣٢٣٧) في الجنائز : باب ما يقول إذا زار القبور أو أمر بها وابن ماجه رقم (٤٣٠٦)  
في الزهد : باب ذكر الحوض .

(٣) رواه الترمذي رقم (١٠٥٣) في الجنائز : باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر ، وهو حديث  
ضعيف .

(٤) رقم (١٥٤٦) في الجنائز : باب ما جاء فيها يقال إذا دخل المقابر ، وإسناده ضعيف .

لَا تَحْرَمْنَا أَجْرَهُمْ وَلَا تَفْتِنَا بَعْدَهُمْ » .

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الْأَصَاخِي فَوْقَ ثَلَاثٍ فَأَمْسَكُوا مَا بَدَا لَكُمْ ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ النَّبِيدِ إِلَّا فِي سِقَاءٍ فَاشْرَبُوا فِي الْأَسْقِيَةِ كُلِّهَا وَلَا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا » رواه مسلم

وللإمام أحمد والنسائي : « نَهَيْتُكُمْ عَنِ زِيَارَةِ الْقُبُورِ ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَزُورَ فَلْيَزُرْ ، وَلَا يَقُولُ هُجْرًا »<sup>(١)</sup> .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اسْتَأَذَنْتُ رَبِّي أَنْ اسْتَغْفِرَ لِمَايَ فَلَمْ يَأْذَنْ لِي ، وَاسْتَأَذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأْذَنْ لِي » . رواه مسلم .

وفي لفظ له : زار قبرها فبكى وأبكى من حوله ، فقال : « اسْتَأَذَنْتُ رَبِّي أَنْ اسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يَأْذَنْ لِي ، وَاسْتَأَذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأْذَنْ لِي ، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ »<sup>(٢)</sup> .

---

(١) رقم (٩٧٧) في الجنايز : باب استئذان النبي ﷺ ربه في زيارة قبر أمه ، وأبو داود رقم (٣٢٣٥) في الجنايز : باب في زيارة القبور ، والترمذي رقم (١٠٥٤) في الجنايز : باب رقم (٦٠) ، والنسائي ٨٩ / ٤ في الجنايز : باب زيارة القبور ، وأحمد في « المسند » ٥ / ٣٥٠ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٥٧ .

قوله : « وكنت نهيتكم عن النبيد » يعني إلقاء التمر ونحوه في ماء الظروف . قوله : « إلا في سقاء » : أي إلا في قربة ، إنما استثنائها لأن السقاء يبرد الماء ، فلا يشتد ما يقع فيه اشتداد ما في الظروف .

(٢) رواه مسلم رقم (٩٧٦) في الجنايز : باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه ورواه أيضاً أبو داود رقم (٣٢٣٤) في الجنايز : باب في زيارة القبور ، والنسائي ٩٠ / ٤ في الجنايز : باب زيارة قبر المشرك .

وعن علي رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
« كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ » . رواه الإمام أحمد (١) :

ورواه ابن ماجه من حديث ابن مسعود ، وفيه « فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ » (٢) .

ورواه أحمد أيضاً من حديث أبي سعيد مرفوعاً وفيه : « فَزُورُوهَا فَإِنَّ فِيهَا عِبْرَةً » (٣) .

وفيه دليل لمن جوز زيارة القبور للنساء .  
وللعلماء فيها ثلاثة أقوال :

أحدها - تحريمها عليهن ، لحديث « لعن الله زوارات القبور » .  
الثاني - يكره .

والثالث - يباح لما تقدم ، فالنساء لا يدخلن في خطاب الرجال على الصحيح عند الأصوليين .

وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : ألا أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعني ؟ قلنا : بلى ، قالت : لما كانت ليلتي ، التي كان

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ١ / ١٤٥ . قال الهيثمي في « المجمع » ٣ / ٥٨ : في الصحيح طرف منه ، رواه أبو يعلى وأحمد وفيه ربيعة بن التابعة ، قال البخاري : لم يصح حديثه عن علي في الأضاحي .

(٢) رقم (١٥٧١) في الجنايز : باب ما جاء في زيارة القبور .

قال البوصيري في « الزوائد » : إسناده حسن ، وأيوب بن هانيء ، قال ابن معين : ضعيف ، وقال ابن حاتم : صالح ، وذكره ابن حبان في الثقات .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ٣ / ٣٨ ، قال الهيثمي في « المجمع » ٣ / ٥٨ : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها عندي ، وضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجله ، وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع ، فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت ، فأخذ رداءه رويداً وانتعل رويداً ، وفتح الباب ، فخرج ، ثم أجافه رويداً ، وجعلت درعي في رأسي ، واختمرت ، وتقنعت إزارتي ، ثم انطلقت على أثره حتى أتى البقيع ، فقام فأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاث مرات ، ثم انحرف ، فانحرفت ، فأسرع ، فأسرعت ، فهرول فهرولت ، فأحضر ، فأحضرت ، فسبقته فدخلت ، فليس إلا أن اضطجعت فدخل ، فقال : « مَالِكُ يَا عَائِشُ حَشِيًّا رَابِيَةً ؟ » قلت : لا شيء ، قال : « لَتُخْبِرْنِي أَوْ لِيُخْبِرُنِي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » ، قالت : قلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، فأخبرته قال : « فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتُ أَمَامِي ؟ » قلت : نعم ! فلهزني في صدري لهزة أوجعتني ، ثم قال : « أَظَنْنْتَ أَنَّ يَحْيَى اللَّهَ عَلَيْكَ وَرَسُولُهُ ؟ » قالت : مهما يكتنم الناس يعلمه الله ، نعم ! قال : « فَإِنَّ جَبْرِيلَ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتُ ، فَنَادَانِي فَأَخْفَاهُ مِنْكَ ، فَأَجَبْتُهُ ، فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكَ ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكَ وَقَدْ وَضَعْتَ ثِيَابَكَ ، وَظَنْنْتُ أَنَّ قَدْ رَقَدْتَ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكَ ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي ، فَقَالَ : إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ » ، قالت : قلت : كيف أقول يا رسول الله ؟ قال : « قُولِي : السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ ، وَيَرْحَمَ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأَخِرِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لِلْحِقُوقِ » (١) .

\* \* \*

---

(١) رواه مسلم رقم (٩٧٤) في الجنائز : باب ما يقال عند دخول المقابر ، والنسائي ٩١/٤ - ٩٤ في الجنائز : باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين ، ورواه أيضاً الموطأ ٢٤٢/١ في الجنائز : باب جامع الجنائز .



---

= قوله « إلا ريثما » : معناه إلا قدر ما . قوله : « رويداً » : أي قليلاً لطيفاً لئلا ينيها . قولها : « ثم أجافه » : أي أغلقه . وإنما فعل ذلك ﷺ في خفية لئلا يوقظها ويخرج عنها ، فربما لحقتها وحشة في انفرادها في ظلمة الليل . قولها : « درعي » أي قميصي . قولها : « وابتخرت » : أي ألقيت على رأسي الخمار ، وهو ما تستر به المرأة رأسها . قولها : « وتقنعت إزاري » هكذا بدون باء في أوله ، وكأنه بمعنى لبست إزاري ، فلهذا عدى بنفسه . قولها : « فأحضر فأحضرت » : الإحضار العَدُو ، وهو فوق الهرولة .

قوله : « حَشِيَا » : معناه قد وقع عليك الحشا ، وهو الربو والتهيج الذي يعرض للمسرع في مشيه والمحتد في كلامه ، من ارتفاع النفس وتواتره ، يقال امرأة حشياء وحشية ، ورجل حشيان وحشش ، قيل : أصله من أصاب الربو حشاه ، قوله : « رابية » : أي مرتفعة البطن .



## الباب الثامن

### في تطيب خاطر الوالدين على الأولاد

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [ الطور : ٢١ ] وقد ذكر البغوي في « تفسيره » بإسناده عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ لِيَتَقَرَّبَ بِهِمْ عَيْنُهُ ، ثُمَّ قرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ الآية [ الطور : ٢١ ] (١) .

ففي هذه الآية والحديث دليل على تطيب خاطر الوالدين على أطفالهم ، وهذا الذي ينبغي أن يطيبوا أنفسهم ويقرأوا أعينهم ، فإنهم وإن كانوا كباراً فهم من أهل التوحيد والإسلام ، وإن كانوا صغاراً فهم ممن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؛ لأنهم ماتوا على الفطرة السليمة وهم من السعداء الذين يدخلون الجنة بلا عمل عملوه ولا خير قدموه ، بل رحمة الله ومنته عليهم ، ولهذا يكونون في برزخهم في كفالة أبيهم إبراهيم الخليل عليه السلام إمام الحنفاء ، كما في دعاء الميت إذا كان صغيراً « واجْعَلْهُ فِي كِفَالَةِ إِبْرَاهِيمَ » .

وكما ثبت في « صحيح البخاري » من حديث سمرة بن جندب - وقد

---

(١) انظر « تفسير ابن كثير » ٤٣٢/٦ - ٤٣٤ عند قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ الآية .

تقدم - عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث المنام قال فيه : « فَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرُّوْضَةِ فَإِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَمَّا الْوَلَدَانُ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ قَالَ : وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ » وفي رواية للبخاري أيضاً « وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالصَّبِيَّانُ حَوْلَهُ أَوْلَادُ النَّاسِ » (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ، كَمَا تُنْتِجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ » ، ثم يقول أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [ الروم : ٣٠ ] الحديث رواه البخاري ومسلم ، ولفظه للبخاري (٢) .

وقال أبو بكر القطيعي : حدَّثنا بشر بن موسى ، ثنا ابن خليفة ، ثنا عون عن حسناء ، قالت : حدَّثتني عمتي ، قالت : قلت : يا رسول الله ، من في الجنة ؟ قال : « النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ ، وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْمَوْلُودُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْمَوْوَدَّةُ فِي الْجَنَّةِ » . وكذلك رواه بندار عن غندر عن عوف فذكر مثله (٣) .

وقال الفراء في كتاب « معاني القرآن » عند قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ [ المدثر : ٣٨ و ٣٩ ] . قال عليٌّ

(١) تقدم تخريجه ص (١١٨) رقم (١) .

(٢) تقدم تخريجه ص (١١٧) رقم (٢) .

(٣) رواه أبو داود رقم (٢٥٢١) في الجهاد : باب في فضل الشهادة ، وأحمد في « المسند »

٥٨ / ٤٠٩ . وهو حديث صحيح كما قال في « صحيح أبي داود ٢٢٠٠ » .

رضي الله عنه : هم الولدان ، قال الفراء : وهو شبيه بالصواب ؛ لأن الولدان لم يكتسبوا ما يرتنون به . وفي قوله تعالى : ﴿ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [ المدثر : ٤١ ] ما يقوي أنهم الولدان لأنهم لم يعرفوا الذنوب ؛ فلهذا يقولون : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ [ المدثر : ٤٢ ] .

ولكن روى العقيلي بإسناده عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ [ المدثر : ٣٩ ] قال : هم أطفال المسلمين ، فظاهر هذه الرواية التخصيص بهذه الأمة والرواية الأولى عامة في كل مولود .

وقال البغوي في « تفسيره » ﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ اختلفوا فيهم ، فعن علي أنهم أطفال المسلمين ، وهذا يوافق ما رواه العقيلي عنه ، ولم يحك عنه خلافه ، ثم قال : وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم الملائكة . وقال مقاتل : هم الذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق . وعنه أيضاً : هم الذين أعطوا كتبهم بأيمانهم . وعنه أيضاً : هم الذين كانوا ميامين على أنفسهم . وقال الحسن : هم المسلمون المخلصون .

وحكى القرطبي في « تفسيره » في هذه الآية الكريمة . أقوالاً كثيرة ، ولم يذكر أنهم لا أطفال المسلمين ولا المشركين إلا أنه ذكر في آخر كلامه عن الفراء أنه قال : هم الولدان لأنهم لا يعرفون الذنوب . وقد حكيت قول الفراء قريباً وأنه أسنده إلى علي رضي الله عنه ، لكن حكى القرطبي في غير هذا الموضع : أن الأطفال إن ماتوا صغاراً فهم في الجنة ، أعني جميع الأطفال ؛ لأن الله تعالى لما أخرج ذرية آدم من صلبه في صورة الذر أقروا له بالربوبية وهو قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ [ الأعراف : ١٧٢ ] . ثم أعادهم في صلب آدم بعد أن أقروا له بالربوبية ، ثم يكتب العبد في بطن أمه شقياً أو سعيداً على الكتاب الأول .

## فصل

في معنى الفطرة التي نشأ عليها  
كل مولود من بني آدم من ذكر واثني

قال الله تعالى : ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [ الروم : ٣٠ ] . وقال  
صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوْلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ » . وقد قدمنا في ذلك كلاماً  
مختصراً ، ولكن نبين معنى الفطرة لغة وإعراباً .

قال أبو البقاء في « إعرابه » : فطرة الله ، أي : الزموا واتبعوا دين الله  
التي خلق الناس عليها . انتهى كلامه .  
وقال الطبري : فطرة الله مصدر ، المعنى : فأقم وجهك ؛ لأن معنى  
ذلك : فطر الله الناس على ذلك .

وقال النحاس : سميت الفطرة ديناً لأن الناس يخلقون له ، وفطر الناس  
عليها أي لها .  
وكذلك معنى قول الزجاج .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ ﴾ أضافها إليه على الوجه  
الممدوح ، ولهذا نصبت على المصدر الذي دل عليه الفعل عند سيبويه ، وقد  
تقدم كلامه رحمه الله قريباً .

وقال أبو عمر بن عبد البر في « التمهيد » : الفطرة في كلام العرب  
البداء . انتهى .

## فصل

وقد اختلف بعض العلماء والمفسرون في المعنى المراد بالفطرة على  
أقوال :

أحدها - أن المراد بالفطرة : الإسلام ، قاله أبو هريرة وابن شهاب  
وغيرهما ، وهي إحدى الروايات عن الإمام أحمد ، ولما ذكر ابن عبد البر

النزاع في هذه المسألة في « التمهيد » قال : وقال آخرون : الفطرة هاهنا الإسلام ، قال : وهو المعروف عند عامة السلف وأهل التأويل : ثم قال : وأما قوله تعالى : ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ فقد أجمعوا على أن قالوا : دين الإسلام . وليس كما قال ؛ فإن القرطبي وغيره من المفسرين ذكروا في الآية أقوالاً كثيرة .

قال القرطبي : وفي معنى الفطرة أقوال متعددة منها دين الإسلام ، وهو المعروف عند عامة السلف ، ثم قال : ومعنى هذا أن الطفل خلق سليماً من الكفر على الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه . وأنهم إذا ماتوا قبل أن يدركوا فهم في الجنة ، أولاد مسلمين كانوا ، أو أولاد كفار .

وقال النقاش في « تفسيره » : وقد اختلف أهل التأويل والأخبار في الفطرة فقليل : على ملة إبراهيم ، ثم ذكر قريباً مما ذكره القرطبي ، وقد احتج من نصر هذا القول بحديث أبي هريرة مرفوعاً « مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ »<sup>(١)</sup>. واستدل أبو هريرة بالآية في تمام الحديث ، وبحديث عياض بن حمار المجاشعي مرفوعاً يقول : « خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ » . وفي بعض ألفاظه « حُنَفَاءَ مُسْلِمِينَ »<sup>(٢)</sup> .

ويؤيد هذا ما في « الصحيحين »<sup>(٣)</sup> « خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ » .

---

(١) تقدم تخريجه ص (١١٧) رقم (٢) .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٨٦٥) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها : باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة ، وأهل النار . وأحمد في « المسند » ٤ / ١٦٢ .

(٣) رواه البخاري ١٠ / ٢٨٢ - ٢٨٣ في اللباس : باب قص الشارب ، وباب تقليم الأظفار ، وفي الاستئذان : باب الختان بعد الكبر ، وتنف الإبط ، ومسلم رقم (٢٥٧) في الطهارة : باب خصال الفطرة ، و« الموطأ » ٢ / ٩٢١ في صفة النبي ﷺ : باب ما جاء في السنة في الفطرة ، والترمذي رقم (٢٧٥٧) في الأدب : باب ما جاء في تقليم الأظفار ، وأبو داود رقم (٤١٩٨) =

وفي « صحيح مسلم » <sup>(١)</sup> « عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ » .

ورواه الإمام أحمد وأبو داود <sup>(٢)</sup> من حديث عمار بن ياسر « خَمْسٌ مِنْ سُنَنِ الْإِسْلَامِ » وفي لفظ « عَشْرٌ مِنْ سُنَنِ الْإِسْلَامِ » .

الثاني - أن المراد بالفطرة : البداءة التي بدأهم الله عليها من أنه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاوة . وقد تقدم حكاية هذا القول ، وأنه حكاها أبو عمر بن عبد البر .

الثالث - ليس المراد بالفطرة عموم الناس ، إنما المراد بقوله : فطر الناس : المؤمنون ، إذ لو فطر الجميع على الإسلام لما كفر أحد ، وقد ثبت أنه خلق أقواماً للنار ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ﴾ الآية [ الأعراف : ١٧٩ ] .

الرابع - أن المراد بالفطرة الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه ، فكأنه قال : كل مولود يولد على خلقة يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ

---

= في الترجل باب في أخذ الشارب ، والنسائي ١ / ١٤ - ١٥ في الطهارة : باب تقليم الأظفار ، وباب نتف الإبط ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ولفظه بتمامه : « خمس من الفطرة : الختان والاستحداد وتقليم الأظفار ونتف الإبط وقص الشارب » .

(١) رواه مسلم رقم (٢٦١) في الطهارة : باب خصال الفطرة ، وأبو داود رقم (٥٣) في الطهارة : باب السواك من الفطرة ، والترمذي رقم (٢٧٥٨) في الأدب : باب ما جاء في تقليم الأظفار ، والنسائي ٨ / ١٢٦ - ١٢٧ في الزينة : باب من السنن الفطرة ، من حديث عائشة رضي الله عنها . ولفظه بتمامه : « عشر من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء » قال زكريا : قال مصعب : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة . زاد قبيصة : قال وكيع : انتقاص الماء ، يعني الاستنجاء .

(٢) رقم (٥٤) في الطهارة : باب السواك من الفطرة ، وأحمد في « المسند » وإسناده ضعيف ، ولكن له شواهد صحيحة بمعناه يقوى بها . وقد تقدمت .

المعرفة ، يريد خلقة مخالفة لخلقة البهائم . واحتج من قال بهذا القول بقوله تعالى : ﴿ وَمَالِيَ لَا أُعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [ يس : ٢٢ ] وقد تقدم أن بسط هذا الكلام له موضع آخر ، وأنه في كتاب مفرد على الكلام في أطفال المشركين .

والمقصود أن الولدان يُتَوَفَّوْنَ على ما فطرهم الله عليه من التوحيد والإسلام ؛ فهم من سعداء الآخرة الذين استحقوا دخول الجنة بلا عمل عملوه ولا خير قدموه ؛ بل برحمة الله عليهم ولطفه بهم ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [ الحديد : ٢١ ] .



## الباب التاسع

### في من باب له طفل رضيع أنه يكمل رضاعته في الجنة

قال الإمام أحمد : ثنا أسود بن عامر ، ثنا إسرائيل ، عن جابر [ الجعفي ] ، عن عامر ، عن البراء بن عازب رضي الله عنه ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه إبراهيم ، ومات وهو ابن ستة عشر شهراً ، وقال : « إِنَّ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مَنْ يُتِمُّ رِضَاعَهُ ، وَهُوَ صَدِّيقٌ » ورواه أبو يعلى الموصلي . وجابر الجعفي : ضعيف (١) .

وقال البخاري : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبة ، حدثنا عدي بن ثابت انه سمع البراء أنه قال : لما توفي إبراهيم - يعني ابن النبي صلى الله عليه وسلم - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ لَهُ مُرْضِعاً فِي الْجَنَّةِ » انفرد به البخاري (٢) .

وإنما كان كذلك لأنه مات وهو مرضع ابن سبعة عشر شهراً ، أو ستة عشر ، وقيل : أكثر من ذلك ، وقيل : أقل ؛ فالله تعالى أعلم بالصواب .

وفي بعض الروايات « إِنَّ ابْنِي مَاتَ فِي الثَّدي ، وَإِنَّ لَهُ مُرْضِعاً فِي الْجَنَّةِ » فإن كان هذا خاصاً به عليه السلام فلا كلام ، والأصل عدم الاختصاص ، إلا أن يقوم دليل عليه ولم نجده ؛ وإن كان عاماً في حق أولاد

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٢٨٩ / ٤ ، وأبو يعلى (١٦٩٦) ، وهو حديث صحيح .

(٢) رواه البخاري ١٩٤ / ٣ في الجنائز : باب ما قيل في أولاد المسلمين ، وفي بدء الخلق :

باب في صفة الجنة ، وفي الأدب : باب من سمي بأسماء الأنبياء ، وأحمد في « المسند » ٢٨٤ / ٤ و ٢٨٩ و ٢٩٧ و ٣٠٠ و ٣٠٢ و ٣٠٤ .



المؤمنين كما ذكر في بعض الآثار ولا يحضرني الآن ، ولكن متنه « إن في الجنة شجرة تحمل الثدي يرتضع منها الولدان » فهي بشارة عظيمة للمؤمنين في ولدانهم ، وفي تطيب خاطر الوالدين ، والله تعالى أعلم .

## فصل

وقد روى المعافى بن الحسين في « كتاب أنس المنقطعين » له في الأطفال الرضع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يَجِيءُ أَطْفَالُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ عَرْصِ الْخَلَائِقِ لِلْحِسَابِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِجِبْرِيلَ : اذْهَبْ بِهَؤُلَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيَقْفُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَيَسْأَلُونَ عَنْ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ . فَيَقَالُ : آبَاؤُكُمْ وَأُمَّهَاتُكُمْ لَيْسُوا بِأَمْثَالِكُمْ لَهُمْ ذُنُوبٌ وَسَيِّئَاتٌ يُطَالَبُونَ بِهَا ، فَيَصِيحُونَ صَيْحَةً وَاحِدَةً عَظِيمَةً بَاكِينَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهُوَ أَعْلَمُ : يَا جِبْرِيلُ ، مَا هَذِهِ الصَّيْحَةُ ؟ فَيَقُولُ : إِلَهِي أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِمْ ، هَؤُلَاءِ أَطْفَالُ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُونَ : لَا نَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا جِبْرِيلُ ، تَحْلَلِ الْجَمْعُ وَخُذْ آبَاءَهُمْ وَأُمَّهَاتَهُمْ ، وَاجْعَلْهُمْ مَعَهُمْ فِي الْجَنَّةِ » .

\* \* \*

## الباب العاشر في أنه يصلى على كل مولود ويدعى لوالديه

وهذا باب عظيم لأن فيه بشاره عظيمه لكل من أصيب في أولاده ، أو في واحد منهم ؛ لأنه أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلي عليهم وأن ندعو لوالديهم ، كما سنذكره إن شاء الله تعالى . وجمهور العلماء على أنه يصلي على الطفل الصغير وإن كان سقطاً قد نفخ فيه الروح ، وذهب بعض السلف إلى أنه لا يصلى على الصغير ما لم يحتلم . وسنذكر ما يدفع هذا القول ويضعفه .

قال البخاري : حدثنا أبو اليمان ، ثنا شعبة ، قال ابن شهاب : يصلي على كل مولود يتوفى وإن لغية<sup>(١)</sup> من أجل أنه ولد على فطرة الإسلام ، يدعى أبواه الإسلام ، أو أبوه خاصة وإن كانت أمه على غير دين الإسلام ، إذا استهل صارخاً صلى عليه ، ولا يصلي على من لم يستهل من أجل أنه سقط ، وأبو هريرة كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ . . » الحديث<sup>(٢)</sup> .

وروى أبو داود<sup>(٣)</sup> عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : مات إبراهيم بن

---

(١) لغية : بكسر اللام وفتح الغين المعجمة ، أي لغير رشدة ، يريد به أنه من الزنا .

(٢) تقدم تحريجه ص (١١٧) رقم (٢) .

(٣) رقم (٣١٨٧) في الجنايز : باب في الصلاة على الطفل ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند »

٦ / ٢٦٧ وإسناده حسن ، وذلك لا ينفي مشروعية الصلاة على الطفل وإنما يدل على أن الصلاة عليه ليست للوجوب .

النبي صلى الله عليه وسلم - وهو ابن ثمانية عشر شهراً - فلم يصل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . في إسناده محمد بن إسحاق والكلام فيه معروف ، وهو يعضد من قال من السلف بعدم الصلاة على الأطفال ؛ لكن الحديث فيه كلام .

وقد روى أبو داود (١) أيضاً ضد هذه الرواية من حديث البهي . قال : لما مات إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم ، صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المقاعد ، هذا مرسل . - والبهى - هذا اسمه عبد الله بن يسار مولى مصعب بن الزبير تابعي يعد من الكوفيين .

وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على ابنه إبراهيم . . الحديث (٢) .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا هاشم بن القاسم ، ثنا المبارك ، أخبرني زياد بن خير ، عن المغيرة بن شعبة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الرَّأَكِبُ يَسِيرُ خَلْفَ الْجَنَازَةِ ، وَالْمَاشِي أَمَامَهَا قَرِيباً مِنْهَا عَنْ يَمِينِهَا أَوْ عَنْ يَسَارِهَا ، وَالسَّقَطُ يُصَلَّى عَلَيْهِ وَيُدْعَى لِوَالِدَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ » ورواه أبو داود والنسائي والترمذي . وقال حسن صحيح (٣) .

---

(١) رقم (٣١٨٨) في الجنائز : باب في الصلاة على الطفل ، مرسل ، والبهى ، وهو عبد الله مولى مصعب بن الزبير ، مضطرب الحديث ، كما قال ابن أبي حاتم في « العلل » .

(٢) تقدم ترجمته ص (١٤٣) رقم (١) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ٢٤٩/٤ والترمذي رقم (١٠٣١) في الجنائز : باب ما جاء في الصلاة على الأطفال ، والنسائي ٥٥/٤ و ٥٦ في الجنائز : باب مكان الراكب من الجنائز ، وباب مكان الماشي من الجنائز ، وأبو داود رقم (٣١٨٠) في الجنائز : باب المشي أمام الجنائز ، وابن ماجه (١٥٠٧) ، وهو حديث صحيح . انظر « أحكام الجنائز » ص (٧٣) .

قال الخطابي : اختلف الناس في الصلاة على السقط ، فروي عن ابن عمر أنه قال : يصلي عليه وإن لم يستهل ، وبه قال ابن سيرين وابن المسيب .

وقال الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه : كلما نفخ فيه الروح وتمت له أربعة أشهر وعشر صلي عليه .

ورواه ابن ماجه مرفوعاً ولفظه . قال : « الرَّائِبُ يَسِيرُ خَلْفَ الْجَنَازَةِ وَالْمَاشِي يَمْشِي خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا ، وَعَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ يَسَارِهَا ، وَالطِّفْلُ يُصَلِّي عَلَيْهِ وَيُدْعَى لِوَالِدَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ » فذكر ابن ماجه بدل السقط : الطفل .  
وروى ابن ماجه (١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صَلُّوا عَلَى أَطْفَالِكُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْ أَفْرَاطِكُمْ » .

وعن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الطِّفْلُ لَا يُصَلَّى عَلَيْهِ وَلَا يُورَثُ وَلَا يَرِثُ حَتَّى يَسْتَهْلَ » رواه الترمذي من رواية إسماعيل بن مسلم المكي . قال الترمذي : هذا حديث قد اضطرب الناس فيه ، فروي مرفوعاً ، وروي موقوفاً وهو أصح من المرفوع . قال الحافظ الضياء : إسماعيل بن مسلم المكي قد تكلم فيه غير واحد من الأئمة .  
وروى ابن ماجه (٢) عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا اسْتَهَلَ الصَّبِيُّ صَلَّيْ عَلَيْهِ وَوَرَّثَ » . الاستهلال : هو رفع

= وقال اسحاق : وإنما الميراث بالاستهلال ، فأما الصلاة ، فإنه يصلى عليه لأنه نسمة تامة قد كتب عليه الشقاء والسعادة ، فلأي شيء يترك الصلاة عليه ؟ .

وروي عن ابن عباس أنه قال : إذا استهل ورث وصلى عليه .  
وعن جابر : اذا استهل صلي عليه وان لم يستهل لم يصل عليه ، وبه قال أصحاب الرأي ، وهو قول مالك والأوزاعي والشافعي . اهـ .

(١) رقم (١٥٠٩) في الجنائز : باب ما جاء في الصلاة على الطفل .

قال البوصيري في « الزوائد » : في إسناده البخاري بن عبيد ، قال فيه أبو نعيم الأصبهاني والحاكم والقيس : روى عن أبيه موضوعات ، وضعفه أبو حاتم وابن عدي وابن حبان والدارقطني ، وكذبه الأزدي ، وقال يعقوب بن شيبة : مجهول . انظر « ارواء الغليل » للألباني رقم (٧٢٥) .

(٢) رواه الترمذي رقم (١٠٣٢) في الجنائز : باب ما جاء في ترك الصلاة على الجنين حتى يستهل ، وابن ماجه (١٥٠٨) ، وابن حبان (١١٢٣) « موارد » ، والحاكم ٤ / ٣٤٩ والبيهقي (٤ / ٨ و ٩) ، وهو حديث صحيح دون ذكر « الصلاة » . انظر « الإرواء » (١٧٠٧) ، و« الأحاديث الصحيحة » (١٥٣) ، و« أحكام الجنائز » ص (٨١) .

الصوت حين خروجه من الأحشاء ، والله أعلم . وهو من رواية الربيع بن يزيد وقد ضعفه غير واحد من الأئمة .

قال الحافظ الضياء : وقيل : يصلي على الطفل إذا نفخ فيه الروح استهل أولم يستهل .

قلت : وهو ظاهر مذهب الإمام أحمد أنه يصلي عليه إذا نفخ فيه الروح وهو أن يستكمل أربعة أشهر .

قال الشيخ مجد الدين : وإن أسقط لدون أربعة أشهر فلا يصلي عليه لأنه ليس بميت إذ لم ينفخ فيه الروح .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : الصلاة على السقط ما لم ينفخ فيه الروح مبنية على بعثه ، وللعلماء فيه قولان ، فإن قلنا : إنه يبعث ، صلي عليه ، وإلا لم يصل عليه ، والله اعلم . انتهى كلامه .

قال أحمد بن عبدة : سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل : متى يجب أن يصلي على السقط ؟ قال : إذا أتى عليه أربعة أشهر ، لأنه قد نفخ فيه الروح ، ولكن حديث المغيرة بن شعبة المتقدم الذي رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه : « وَالسَّقَطُ يُصَلَّى عَلَيْهِ » وفي رواية ابن ماجه « وَالطُّفْلُ يُصَلَّى عَلَيْهِ » . ولم يفرق بين أن يكون له أربعة أشهر أو أقل أو أكثر ، لكن لم أعلم أن أحداً ذهب إلى الصلاة على السقط مطلقاً إلا سعيد بن المسيب وهو ظاهر الحديث ، لكن قيل : إن السقط ليس بميت لأنه لم ينفخ فيه الروح ، يؤيد ذلك ما ثبت في « الصحيحين » من حديث ابن مسعود قال : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ . » الحديث (١) : فإذا نفخ فيه الروح وجبت الصلاة عليه ، وبعث يوم القيامة .

---

(١) رواه البخاري ١١ / ٤١٧ في القدر : باب في القدر ، وفي بدء الخلق : باب ذكر الملائكة =

وقد اختلف الناس في هذه الآثار فمنهم من أثبت الصلاة عليه ومنع صحة حديث عائشة وغيره من الأحاديث ، كما قال الإمام أحمد وغيره ، وهذه المراسيل مع حديث البراء يشد بعضها بعضاً . ومنهم من ضعف حديث البراء لأجل جابر الجعفي وضعف هذه المراسيل ، قال : حديث ابن إسحاق أصح منها .

قال أبو يعلى الموصلي : حدثنا عقبة بن مكرم ، يونس بن بكير ، ثنا محمد بن عبيد الله الفزاري ، عن عطاء ، عن أنس ، « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى عَلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا » (١) .

وقال محمد بن سعد كاتب الواقدي : حدثنا محمد بن عمر - يعني الواقدي - ، قال : حدثني أسامة بن زيد الليثي ، عن المنذر بن عبيد ، عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، عن أمه سيرين ، قالت : حضرت موت إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صحت أنا وأختي ما نهانا ، فلما مات نهانا عن الصياح ، وغسله الفضل بن عباس ورسول الله صلى الله عليه وسلم كإنسان ثم حمل ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شفة القبر والعباس إلى جنبه ، وترك في حفرة الفضل وأسماء بن زيد وأنا أبكي عند قبره ما ينهاني أحد وخسفت الشمس ذلك اليوم ، فقال الناس : لموت إبراهيم . فقال

---

= وفي الأنبياء : باب خلق آدم وذريته ، وفي التوحيد : باب ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾ ، ومسلم رقم (٢٦٤٣) في القدر : باب كيفية الخلق الأدمي في بطن أمه ، وأبو داود رقم (٤٧٠٨) في السنة : باب في القدر ، والترمذي رقم (٢١٣٨) في القدر : باب ما جاء أن الأعمال بالخواتيم ، وابن ماجه رقم (٧٦) في المقدمة : باب في القدر .

وتماه : « ... ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد ، فوالذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » .

(١) أبو يعلى رقم (٣٦٦٠) ، وفي إسناده محمد بن عبيد الله الفزاري وهو متروك ، وقال الهيثمي في «المجمع» : رواه أبو يعلى ، وفيه محمد بن عبيد الله العرزمي وهو ضعيف .

النبي صلى الله عليه وسلم : « إنها لا تُخسَفُ لموتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ »<sup>(١)</sup> .

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجة في اللَّبَنِ فأمر بها أن تسد ،  
ف قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : « أَمَا إِنَّهَا لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ  
وَلَكِنْ تُقَرُّ عَيْنَ الْحَيِّ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمَلَ عَمَلًا أَحَبَّ اللَّهُ أَنْ يُتَّقَنَهُ »<sup>(٢)</sup> .

ومات يوم الثلاثاء لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة عشر .  
وهكذا رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن  
أبيه ، ثم قال : هذا حديث غريب . ثم ساقه من طرق أخرى من حديث  
الزبير بن بكار ، حدَّثني محمد بن طلحة عن إسحاق بن إبراهيم بن  
عبد الله بن حارثة عن عبد الرحمن بن حسان فذكر نحوه ، وفيه مدرج يوم وفاته  
وشهره وسنته ، والظاهر - والله أعلم - أنه من كلام الواقي . ولكن قيل : إن  
في بعض طرق هذا الحديث أنه صلى عليه ، ولكن لم أره في هذين  
الطريقين ، فالله تعالى أعلم بذلك .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدَّثنا إبراهيم السامي ، ثنا حماد ،  
عن ثمامة بن عبد الله ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم صلى على صبيٍّ أو صبية . وقال : « لَوْ نَجَا أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةٍ

---

(١) حديث كسوف الشمس وقوله ﷺ : « إنها لا تخسف لموت أحد ولا لحياته » ، رواه  
البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي من حديث عائشة رضي الله عنها ، ومن حديث  
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما والبخاري ومسلم والنسائي من حديث أبي مسعود البصري ، ومن  
حديث أبي موسى الأشعري ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، والبخاري ومسلم من  
حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه . انظر « جامع الأصول » رقم (٤٢٦٩) و (٤٢٧٢) و  
(٤٢٧٣) و (٤٢٧٤) و (٤٢٧٥) و (٤٢٧٦) .

(٢) روى الهيثمي في « المجمع » ٣/ ٤٣ من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ، قال : « لما  
وضعت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ في القبر ، قال رسول الله ﷺ : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نَعِيدُكُمْ  
وَمِنْهَا نَخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ قال ثم قال : لا أدري أقال : بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول  
الله ﷺ ، أم لا ، فلما بنى عليها لحدها طفق يطرح إليهم الحبوب ويقول : « سدّدوا خلل اللبَنِ » ثم  
قال : « أما هذا ليس بشيء ولكنه يطيب نفس الحي » رواه أحمد ، وإسناده ضعيف .

الْقَبْرِ لَنَجَا هَذَا الصَّبِيِّ» (١).

وقد روى أبو داود مرسلًا عن عطاء بن أبي رباح أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على ابنه إبراهيم وهو ابن سبعين ليلة ، قال البيهقي - بعد أن ذكر مرسل البيهقي وقد تقدم ذكره ، ومرسل عطاء هذا وغيرهما من أحاديث الصلاة على الأطفال - قال : فهذه الآثار وإن كانت مراسيل فبعضها يشد بعضاً وقد أثبتوا صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه إبراهيم ، وذلك أولى من رواية من روى أنه لم يصل . يعني حديث عائشة المتقدم المتصل ، وقد روي متصلاً أنه صلى عليه ، من حديث البراء بن عازب - وقد تقدم - لكنه حديث لا يثبت لأنه من رواية الجعد ولا يحتج بحديثه . وقال الخطابي وغيره : اختلف في السبب الذي لأجله لم يصل . فقال بعضهم : إنما ترك الصلاة على ابنه لأنه قد استغنى ببنوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه التي هي شفاعته له ، كما استغنى الشهيد بشهادته عن الصلاة عليه . وقال غيره : إنما لم يصل عليه لأنه يوم مات إبراهيم عليه السلام كسفت الشمس ، فاشتغل بصلاة الكسوف عن الصلاة عليه ، والله أعلم .

رجعنا إلى كلام الخطابي : ثم إنه ذكر مرسل عطاء ، وقال : هذا أولى الأمرين وإن كان حديث عائشة أحسن اتصالاً ، وقد اعتل من لم ير الصلاة على الأطفال بترك صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة على ابنه ، واشتغاله بنفل صلاة الكسوف ، والجواب - والله أعلم - عن ذلك : أن صلاة الكسوف كانت واجبة في حقه لأنه لو لم يصلها لم نعلمها نحن ، وأيضاً ولو لم يقع ذلك لم نعلم كيفية صلاة الكسوف ، فصلاته كصلاة الكسوف على هذه الصفة دليل على أن الله أوحى إليه أن يشرعها لنا على هذه الصفة ، ويجب أن يبين كل ما أنزل إليه من ربه ، لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ . . . الآية [ المائدة : ٦٧ ] .

\* \* \*

---

(١) قال الهيثمي في « المجمع » : رواه الطبراني في « الأوسط » (٢٧٧٤) ورجاله موثقون .



## الباب الحادي عشر

### في استحباب اصطناع الطعام لأهل الميتة

وهذا الفعل من محاسن الشريعة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم : ان أهل الميت لا يتكلفون طبخ طعام لأحد من الناس بل أمره صلى الله عليه وسلم للناس أن يصنعوا طعاماً لأهل الميت ويرسلونه إليهم ، هذا من أعظم مكارم الأخلاق والشيم ، والحمل عن أهل الميت إعانة لهم ، وجبراً لقلوبهم ، لأنهم في شغل بمصائبهم عن إصلاح طعام لأنفسهم ، فكيف للناس والاهتمام بأمرهم ، فإذا صنع الناس لهم الطعام المعروف وحملوه إليهم حصلت الراحة لأهل الميت من وجهين :

أحدهما - شغلهم بمصائبهم ثم بتجهيزه وغسله وتكفينه والصلاة عليه وحمله ومواراته في حفرته ، ثم من بعد ذلك إذا تفرغوا من هذه الأمور وحصل لهم سكون ودعة فإن هذه كافية لهم عن شغلهم بالناس .

الثاني - عدم الخسارة ، فإن عدمها فيها تسلية لأهل الميت ، فإن في زماننا هذا ما يتوارى الميت في حفرته حتى يخسر عليه دراهم كثيرة ، فلأن لا يجتمع عليه خسارتان أولى .

وقد وردت السنة بصنع الطعام لأهل الميت سواء فقد ميتهم في السفر أو في الحضر ، وسواء حصلت عليهم خسارة أو لم تحصل ، فقد حصلت البشارة لمن صنع لهم طعاماً وحمله إليهم أنه اتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامثل أمره ، فقد روى الإمام أحمد في « مسنده » عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال : جاء نعي جعفر رضي الله عنه حين قتل . قال النبي

صلى الله عليه وسلم : « اَصْنَعُوا لِآلِ جَعْفَرٍ طَعَاماً فَقَدْ أَتَاهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ »  
ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه (١) .

وعن أسماء بنت عميس قالت : لما أصيب جعفر رضي الله عنه رجع  
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله فقال : « إِنَّ آلَ جَعْفَرٍ قَدْ شُغِلُوا بِشَأْنٍ  
مَيِّتِهِمْ فَاصْنَعُوا لَهُمْ طَعَاماً » رواه الإمام أحمد وابن ماجه وهذا لفظه (٢) .

ويروى عن عبد الله بن أبي بكر أنه قال : ما زالت السنة فينا حتى تركها  
من تركها .

\* \* \*

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٢٠٥ / ١ ، وأبو داود رقم (٣١٣٢) في الجنائز : باب صنعة الطعام  
لأهل الميت ، والترمذي رقم (٩٩٨) في الجنائز : باب ما جاء في الطعام يصنع لأهل الميت وابن  
ماجه رقم (١٦١٠) في الجنائز : باب ما جاء في الطعام يبعث إلى أهل الميت ، وإسناده صحيح ،  
وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٣٧٠ / ٦ وابن ماجه رقم (١٦١١) في الجنائز : باب ما جاء في الطعام  
يبعث إلى أهل الميت . قال البوصيري : في إسناده أم عيسى وهي مجهولة لم تسم ، وكذلك أم عون .  
قال السندي : في إسناده أم عيسى وهي مجهولة لم تسم ، وكذلك أم عون . ويشهد له  
الحديث السابق ، انظر « أحكام الجنائز » ص ١٦٧ - ١٦٨ .

## الباب الثاني عشر

### في كراهة الذبح عند القبور، وصنع الطعام من أهل الميت

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا عَقْرَ فِي الْإِسْلَامِ » رواه الإمام أحمد في حديث طويل هذا منه ، وأبو داود ، وروى الترمذي نحوه . وقال : حديث حسن صحيح غريب . ورواه ابن حبان البستي ، وفي رواية عبد الرزاق : كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شيئاً<sup>(١)</sup> . أما العقر عند القبور هو الذبح عندها ، وهذا الفعل عندها فإنه من فعل الجاهلية وهو فعل محرم على هذه الأمة .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « لَا عَقْرَ فِي الْإِسْلَامِ » . قال الخطابي : هو ما كان عليه أهل الجاهلية من عقر الإبل على قبور الموتى ، كانوا إذا مات الشريف الجواد عقروا عند قبره ، وكانوا يقولون : إن صاحب القبر كان يعقرها للأضياف يقريهم أيام حياته فيكافأ عليه بمثل صنيعه . انتهى كلامه .

وقال قوم : كانوا يعقرون الإبل عند القبور لتطعمها السباع والطيور عند قبر الميت فيدعى مطعماً حياً وميتاً . وقيل : بل كان مذهبهم أن صدى الميت يصيب من ذلك الطعام ، فجاء الإسلام فمحا ذلك كله .

وأما هذه البدعة الخبيثة فهي موجود قريب منها في غالب قرى البر ، وهو ان الشخص اذا توفي في بلده فإن أهل القرى التي حوله يأتون لأجل العزاء فيذبحون لهم من مال الميت المنتقل الى ورثته من أيتام وصغار

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٣ / ١٩٧ ، وأبو داود رقم (٣٢٢٢) في الجنائز : باب كراهية الذبح عند القبر ، وإسناد أبي داود صحيح . ورواه ابن حبان في « صحيحه » رقم (٧٣٨) « موارد » . وقال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٤١١) : صحيح .

وغيرهما ، بل قد يذبحون البقرة أو نحوها من بهيمة الأنعام لا يكون للأيتام غيرها على ما شاهدته وبلغني ، فنسأل الله أن يقيض لهذه البدعة من ولاة أمور المسلمين من يبطلها .

حدّثنا ابن هاشم ، ثنا الدبري ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ثابت ، عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا إسعادَ ولاَ عَقَرٌ في الإسلامِ »<sup>(١)</sup> قد تقدم الكلام على العقر في الإسلام ، وقوله : لا إسعاد : فهو من إسعاد النساء في المناحات ، وهو أن تقوم المرأة في المأتم وتقوم معها أخرى ، فيقال : قد اسعدتها فهي مُسعد .

ويروى في حديث آخر أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن فلانة أسعدتني أفأسعدها ؟ فقال : « لا »<sup>(٢)</sup> .

ونهى عن النياحة بالإسعاد . وقال : إنها مأخوذة من وضع الرجل يده على ساعد صاحبه إذا تماشيا في حاجة .

وأما صنع أهل الميت طعاماً للناس فمكروه ، لأن فيه زيادة على مصيبتهم ، وشغلاً لهم إلى شغلهم وتشبيهاً بصنع أهل الجاهلية ، فإنهم يتكلفون طبخ الطعام كما يفعله أهل البرّ في زماننا وقد تقدم ، فهذا من النياحة التي نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ثبت في « مسند الإمام

---

(١) رواه عبد الرزاق في « المصنف » رقم (٦٦٩٠) في الجنازات : باب الصبر والبكاء والنياحة ، ولفظه : « أخذ النبي ﷺ على النساء حين بايعن أن لا ينحن ، فقلن : يا رسول الله ! إن نساء أسعدنا في الجاهلية فسنعدهن في الإسلام ؟ قال : « لا إسعاد في الإسلام ، ولا شغار في الإسلام ، ولا عقر في الإسلام ، ولا جلب ولا جنب ، ومن انتهب فليس منا » . وصححه ابن حبان رقم (٧٣٨) « موارد » . قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٠٤٥) : صحيح .

(٢) قطعة من حديث أم عطية رضي الله عنها ، رواه البخاري ومسلم والنسائي ، انظر روايات الحديث في « جامع الأصول » رقم (٨٥٨٠) ، وانظر ما قاله الحافظ ابن حجر في « الفتح » ١٤١/٣ و١٤٢ .

أحمد » من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه ، قال : كُنَّا نَرَى الاجْتِمَاعَ إِلَى أَهْلِ الْمَيِّتِ وَصَنَعَةَ الطَّعَامِ بَعْدَ دَفْنِهِ مِنَ النَّيَاحَةِ . رواه ابن ماجه (١) .

ورواه سعيد بن منصور في « سننه » ولفظه : أن جريراً وفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : هل يناح على ميتكم ؟ قال : لا ، قال : فهل تجتمعون عند أهل الميت وتجعلون الطعام ؟ قال : نعم . قال : ذاك النوح .

وقال الشيخ موفق الدين رحمه الله في « المغني » : وإن دعت الحاجة الى ذلك جاز فإنهم ربما جاءهم من يحضر ميتهم من القرى والأماكن البعيدة ويبيت عندهم ، فلا يمكنهم إلا أن يضيفوه . انتهى كلامه .

قلت : وإذا دعت الحاجة الى صنع الطعام من أهل الميت لمن يفد من القرى ونحوها ، إنما ذاك بشرط أن لا يكون من مال الأيتام خصوصاً إذا لم يكن لليتيم سوى ذلك الحيوان ، فأما وفود أهل البادية على أهل الميت في قريتهم فالضيافة على أهل القرية إما واجبة أو مستحبة ، وليست على أيتام الميت ، والله تعالى أعلم .

\* \* \*

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٢ / ٢٠٤ وابن ماجه رقم (١٦١٢) في الجنائز : باب ما يجاء في النهي عن الاجتماع إلى أهل الميت وصناعة الطعام .  
قال البوصيري في « الزوائد » : إسناده صحيح ، رجال الطريق الأول على شرط البخاري ، والثاني على شرط مسلم .  
وجملة « بعد دفنه » ليست عند ابن ماجه .

## الباب الثالث عشر

# في الثناء الحسن على الميت وذكر محاسنه وال سكوت عن مساويه

واعلم أن من أطلق الله ألسنة الناس فيه بالخير والثناء الحسن والذكر الصالح وغير ذلك من الأقوال الصالحة ، غلب على الظن أنه من أهل الخير وغير مستنكر إذا أحب عبداً أن يلقي على ألسنة المسلمين الثناء الحسن عليه ، وفي قلوبهم المحبة له . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [ مريم : ٩٦ ] .

وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ . قَالَ : فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ ، قَالَ : فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ » وذكر في البغضاء مثل ذلك . رواه البخاري ومسلم <sup>(١)</sup> .

وقد شاهدنا في عصرنا هذا وبلغنا عن عصر غيرنا أن أقواماً من العلماء وأهل الحديث والتجار والسوقة كثر الثناء عليهم وصرفت قلوب الناس إليهم ، وحصلت الحفلة العظيمة في جنازتهم من كثرة المشيعين لها ، وحضرها

---

(١) رواه البخاري ١٣ / ٣٨٧ في التوحيد : باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة ، وفي الأدب : باب المقة في الله تعالى ، ومسلم رقم (٢٦٣٧) في البر والصلة : باب إذا أحب الله عبداً حبيه إلى عباده ، والموطأ ٢ / ٩٥٣ في الشعر : باب ما جاء في المتحايين في الله ، والترمذي رقم (٣١٦٠) في التفسير : باب ومن سورة مريم ، وأحمد في « المسند » ٢ / ٢٦٧ و ٣٤١ و ٤١٣ و ٤٨٠ و ٥٠٩ و ٥١٤ .

الألوف من الناس ، وربما كثر الخلق في تشييع هؤلاء من الجن والملائكة ، وربما سمع ضجة عظيمة من جهة السماء في حال حضور الناس في الجنازة ، ولقد أخبرني شيخنا العلامة شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد المقدسي الخطيب بالجامع المظفري تغمده الله تعالى برحمته ، قال لي : سمعت هذه الضجة من السماء مراراً لبعض الأموات كهيئة البشائر ثم قال : وحدثني بها جماعة من أصحابنا أنهم سمعوا ذلك في بعض جنازات المتهمين بالصلاح والله تعالى أعلم بذلك .

وذكر قاسم بن أصبغ قال : حدثنا أحمد بن زهير ، ثنا محمد بن يزيد الرفاعي ، قال : مات عمرو بن قيس الملائي في ناحية فارس فاجتمع لجنازته من الخلق ما لا يحصى كثرة فلما دفن نظروا فلم يروا أحداً .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مرَّ بجنازة فأتوا عليها خيراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَجِبَتْ » . ومرَّ بجنازة فأتوا عليها شراً ، فقال نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم : « وَجِبَتْ » ، فقال عمر رضي الله عنه : فداك أبي وأمي يا رسول الله : مرَّ بجنازة فأتوا عليها خيراً فقلت : وجبت ، ومرَّ بجنازة فأتوا عليها شراً فقلت : وجبت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْراً وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرّاً وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ... ثلاثاً » وفي لفظ « وَجِبَتْ وَجِبَتْ ... ثلاثاً » : رواه البخاري ومسلم .

وفي رواية للبخاري ف قيل : يا رسول الله قلت لهذا وجبت ، ولهذا وجبت . قال : « شَهَادَةُ الْقَوْمِ الْمُؤْمِنِينَ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ » (١) .

---

(١) رواه البخاري ٣ / ١٨١ في الجنائز : باب ثناء الناس على الميت ، وفي الشهادات : باب تعديل كم يجوز ، ومسلم رقم (٩٤٩) في الجنائز : باب فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموق ، والترمذي رقم (١٠٥٨) في الجنائز : باب ما جاء في الثناء على الميت ، والنسائي ٤ / ٤٩ و ٥٠ في الجنائز : باب الثناء ، وابن ماجه رقم (١٤٩١) ، وأحمد في «المسند» ٣ / ١٨٦ و ٢١١ و ٢٤٥ و ٢٨٦ .

ولما مات الإمام أحمد بن حنبل ، قال الهيثم بن خلف : دفنا أحمد بن حنبل يوم الجمعة بعد العصر سنة إحدى وأربعين ومائتين وما رأيت جمعاً قط أكثر من ذلك ، وقال ابن أبي صالح القنطري : شهدت أربعين عاماً ما رأيت جمعاً قط مثل هذا ، ثم قال عبد الوهاب الوراق ، ما بلغنا أن جمعاً في جاهلية ولا إسلام مثل الجمع في جنازة أحمد ، حتى بلغنا أن الموضع مسح وحزر على الصحيح فإذا هو نحو من ألف ألف ، وأما النساء فهو من ستين ألف امرأة وكلهم يشهدون له بالصلاح والولاية ، ويرجون بالصلاة عليه البركة ، ويشنون عليه بأنواع الخير رحمة الله عليه .

## فصل

وفي « الصحيح »<sup>(١)</sup> قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال : « تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ » وفي رواية « وَيُجِبُّ النَّاسُ عَلَيْهِ » .

قال العلماء : معناه : هذه البشري المعجلة له بالخير هي دليل للبشري المؤخرة الى الآخرة لقوله تعالى : ﴿ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ ﴾ [ الحديد : ١٢ ] وهذه البشري المعجلة دليل على رضى الله تعالى عنه ومحبته له ومحبته إلى الخلق .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ » وفي لفظ « فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْخَيْرِ » . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [ التوبة :

(١) رواه مسلم (٢٦٤٢) في البر والصلة : باب المرء مع من أحب ، وابن ماجه رقم (٤٢٢٥) في الزهد : باب الثناء الحسن ، وأحمد في « المسند » ١٥٦ / ٥ و ١٥٧ و ١٦٨ .



١٨] . رواه الترمذي وقال : حديث حسن <sup>(١)</sup> .

وشهادة الناس له بعد الموت بالخير هي الشهادة التي كانوا يشهدون له بها في حال الحياة ، والله تعالى أعلم .

## فصل

### في الكف عن ذكر مساوىء الأموات

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضُوا إِلَىٰ مَا قَدَّمُوا » . رواه الامام أحمد والبخاري والنسائي <sup>(٢)</sup> .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تَسُبُّوا مَوْتَانَا فَتُؤْذُوا أَحْيَاءَنَا » رواه أحمد <sup>(٣)</sup> .

وعن أبي رافع - أسلم مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : « مَنْ غَسَلَ مَيِّتًا فَكَتَمَ عَلَيْهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً » رواه الحاكم ، وقال :

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٠٩٢) في التفسير : من سورة التوبة ، والدارمي رقم (١٢٢٦) في الصلاة : باب المحافظة على الصلوات ، وأحمد في « المسند » ٣ / ٦٨ و ٧٦ ، وابن ماجه رقم (٨٠٢) في المساجد : باب لزوم المساجد ، وابن حبان رقم (٣١٠) « موارد » والحاكم ١ / ٢١٢ - ٢١٣ . كلهم من حديث دراج أبي السمح ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري .

نقول : ذكر الحافظ في « التقريب » في ترجمة دراج أنه صدوق لكن في حديثه عن أبي الهيثم ضعيف وقد ضعفه الذهبي في « تلخيص المستدرک » ومغلطاي في شرح ابن ماجه ، ومع ذلك فقد حسنه الترمذي وصححه ابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم ، كما قال المنذري في « الترغيب والترهيب » ، في الترغيب في لزوم المساجد .

أقول : للحديث شاهد من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، عند الديلمي بلفظ « إذا رأيتم الرجل يلزم المسجد فلا تخرجوا أن تشهدوا له أنه مؤمن » ولعله يقوى به .

(٢) رواه البخاري ٣ / ٢٠٦ في الجنائز : باب ما ينهى من سب الأموات ، وفي الرقاق : باب سكرات الموت ، والنسائي ٤ / ٥٢ و ٥٣ في الجنائز : باب النهي عن ذكر الهلكى إلا بخير ، وباب النهي عن سب الأموات . وأحمد في « المسند » ٦ / ١٨٠ .

(٣) رواه احمد في « المسند » ١ / ٣٠٠ . وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧١٨٩) .

صحيح على شرط مسلم <sup>(١)</sup> .

قال ابن السماك : إنما سيفك بين لحيك تأكل به كل من مرّ عليك ؛  
قد آذنت أهل الدور في الدور حتى تعاطيت أهل القبور ، أما أهل القبور فما  
ترى لهم وقد جرى البلاء على وجوههم وأنت ها هنا تنبشهم ، ويحك ما  
عندك من نبشهم إلا أخذ الخرق عنهم ، إذا ذكرت مساويهم فقد نبشتهم . إنه  
لينبغي لك ان تترك القول في أخيك لخلال ثلاث ، أما الأولى فلعلك تذكره  
بأمر هو فيك ، والثانية لعلك تذكره بأمر قد عافاك الله منه ، فهذا جزاؤه إذ  
عافاك ! أما تسمع إذ يقال : ارحم أخاك وأحمد الذي عافاك !

وفي أبي داود في الأدب والترمذي في الجناز من حديث معاوية بن  
هشام ، عن عمران بن أنس المكي ، عن عطاء عن ابن عمر رضي الله عنهما  
مرفوعاً « اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ وَكُفُّوا عَنْ مَسَاوِيهِمْ » <sup>(٢)</sup> .  
وقد روى ابو داود مرفوعاً : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من  
عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ قَدْ تَابَ مِنْهُ لَمْ يَمِتْ حَتَّى يَفْعَلَهُ » <sup>(٣)</sup> .

وأما من جهة الأموات فقد روى ابن أبي الدنيا بإسناده أن النبي صلى  
الله عليه وسلم قال : « لَا تَذْكُرُوا مَوْتَاكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ ، إِنْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ  
تَأْتُمُوا ، وَإِنْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَحَسْبُهُمْ مَا هُمْ فِيهِ » <sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

(١) رواه الحاكم ٣٥٤/١ ، ٣٦٢ والبيهقي ٣/٣٩٥ من حديث أبي رافع رضي الله عنه ،  
وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وهو كما قال . قال الهيثمي في « المجمع » ٢١/٣ : رواه  
الطبراني في « الكبير » ورجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه ابو داود رقم (٤٩٠٠) في الأدب : باب في النهي عن سب الموتى ، والترمذي رقم  
(١٠١٩) في الجناز : باب رقم (٣٤) ، وصححه الحاكم ١/٣٨٥ ، وقال الترمذي : حديث غريب سمعت  
محمدًا - يعني البخاري - يقول : عمران بن أنس المكي منكر الحديث . اهـ . فالحديث ضعيف كما في  
« ضعيف الجامع » (٨٣٩) .

(٣) رواه الترمذي رقم (٢٥٠٧) في صفة القيامة : باب رقم (٥٤) ، من حديث معاذ بن  
جبل رضي الله عنه ، وهو حديث موضوع . انظر « الأحاديث الضعيفة » (١٧٨) .

(٤) قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧١٤٨) : صحيح ، بلفظ : « لا تذكروا  
هلكام إلا بخير » .

## — الباب الرابع عشر —

### في فرح العبد وتسليته، لكونه من أمة محمد ﷺ

اعلم أن الله علينا من النعم ما لا يحصيها الا الله تعالى الذي هدانا للإسلام وجعلنا من أمة خير الأنام ، فإن كل نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فضل بشيء ، فنبينا فضل به وزاد عليه ، وهو أول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع وأول مشفع ، وأول من يقرع باب الجنة . وقد ثبت في «صحيح مسلم» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا » (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يَأْتِي مَعِيَ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ السَّيْلِ وَاللَّيْلِ فَيَحْطُمُ النَّاسُ ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : لِمَا جَاءَ مَعَ مُحَمَّدٍ أَكْثَرُ مِمَّا جَاءَ مَعَ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ » رواه البزار (٢) .  
وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةٌ صَفٌّ ، ثَمَانُونَ مِنْهَا هَذِهِ الْأُمَّةُ ،

---

(١) رواه البخاري تعليقاً ١١ / ٨٢ في الدعوات : باب لكل نبي دعوة ، وقد وصله مسلم رقم (٢٠٠) في الإيمان : باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمة .

(٢) قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠ / ٣٤٤ : رواه البزار وفيه موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف .

وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ » رواه الترمذي (١) .

وعن الطفيل بن أبي عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيِّينَ وَخِطْبُهُمْ وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ غَيْرَ فَخْرٍ » رواه الترمذي (٢) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا سَبْعِينَ أَلْفًا » رواه مسلم (٣) .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : غاب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فلم يخرج حتى ظننا أن لن يخرج ، فلما خرج سجد سجدة ظننا أن نفسه قد قبضت ، فلما رفع قال : « إن ربي عز وجل استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم ؟ قلت : ما شئت يا رب هم خلقك وعبادك ، فاستشارني الثانية فقلت له كذلك ، ثم استشارني الثالثة فقلت له كذلك ، فقال : إني لم أخزك في أمتك وبشرني أن أول من يدخل الجنة زمراً من أمتي سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ، ثم أرسل إلي ربي عز وجل ادع تُجِبْ وسلِّ تُعْطَ ، فقلت لرسوله : أو معطني ربي عز وجل سؤلي ؟ قال : ما أرسل إليك إلا ليعطيك ، وقد أعطاني ربي غير فخر أنه غفر لي من ذنبي ما تقدّم وتأخر وشرح صدري ، وأعطاني أن لا تجوع أمتي ولا تغلب ، وأنه أعطاني الكوثر نهر في الجنة يسيل من حوضي ، وأنه أعطاني

---

(١) رقم (٢٥٤٩) في صفة الجنة : باب ما جاء في صفة أبواب الجنة ، وابن ماجه (٤٢٨٩) ، وأحمد في السند ٣٤٧ / ٥ من حديث بريدة ، و ١ / ٤٥٣ من حديث عبد الله بن مسعود ، وهو حديث صحيح .

(٢) رقم (٣٦١٨) في المناقب : باب في فضل النبي ﷺ ، قال الترمذي : هذا حديث حسن .

(٣) الذي وجدته في « صحيح مسلم » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رقم (٢١٦) في الإيمان : باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب : « يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب » وبدون لفظ « مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً » .

العزة والنصرة والرعب ، وأنه أعطاني بأني أول الأنبياء دخولاً الى الجنة ، وطيب لي ولأمتي الغنيمة ، وأحل لنا كثيراً مما شدد على من قبلنا ، ولم يجعل علينا في الدين من حرج ، فلم أجد شكراً الا هذه السجدة » رواه أبو بكر الشافعي .

وقوله : « ولا تجوع أمتي » أي لا تجوع كلها ، فإن جاءت في أرض شبت في أخرى ، وكذلك : « لا تغلب » أي كلها ، فإن غلبت في موضع غلبت في موضع آخر . والله أعلم .

\* \* \*

## الباب الخامس عشر

### في استحباب التعزية لأهل المصيبة والدعاء لميتهم

يقال : عُزِّي الرجل عزاء : إذا صبر ما ناب ، والتعزية : التصبر ، وعزيتة : أمرته بالصبر ، والعزاء - بالمد - اسم أقيم مقام التعزية ، ذكره النووي . وقال الأزهري : أصل التعزية : التصبر لمن أصيب بمن يُعزى عليه . وقال غيره : التعزية التسلية ، وهو أن يقال له : تعزى بعزاء الله ، وعزاء الله قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ الآية [ البقرة : ١٥٦ ] . ومعنى قوله : تعزى بعزاء الله ، أي : تصبر بالتعزية التي عزاك الله بها كما في كتابه . أو يقال : لك أسوة في فلان فقد مضى حميمه وأليفه فحسُن صبره . وأصل العزاء : الصبر ، والله أعلم .

عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعْزَى أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ إِلَّا كَسَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ حُلَلِ الْكَرَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » رواه ابن ماجه<sup>(١)</sup> وصححه الشيخ وقال : رواه كلهم ثقات .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « مَنْ عَزَى مُصَاباً فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ » رواه ابن ماجه والترمذي وقال : لا

---

(١) رقم (١٦٠١) في الجناز : باب ما جاء في ثواب من عزى مصاباً وهو حديث حسن بشواهد ، . قال البوصيري في « الزوائد » : في إسناده قيس أبو عمارة ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الذهبي في « الكاشف » : ثقة ، وقال البخاري : فيه نظر ، وباقي رجاله على شرط مسلم اهـ . انظر « ارواء الغليل » الألباني رقم (٧٦٤) .

نعرفه مرفوعاً إلا من حديث علي بن عاصم وذكر أنه روي موقوفاً ، وعلي بن عاصم ضَعَّفُ (١) .

وعن أبي برزة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ عَزَى ثَكْلًا كُسِيَ بُرْدًا فِي الْجَنَّةِ » ، قال الترمذي : إسناده هذا الحديث ليس بالقوي (٢) .

والمقصود من التعزية : تسلية أهل المصيبة وقضاء حقوقهم والتقرب إليهم بقضائهم قبيل الدفن وبعده لشغلهم بمصائبهم .

## فصل

ويستحب تعزية أهل الميت وهي مسألة متفق عليها ، ولم أعلم أن أحداً خالف فيها إلا سفيان الثوري رحمه الله ، قال : لا تستحب التعزية بعد الدفن لأنها خاتمة أمره ، والمعروف المستقر عند أهل العلم استحباب التعزية قبل الدفن وبعده لما تقدم من الأحاديث قريباً مثل عموم قوله عليه السلام : « مَنْ عَزَى مُصَابًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ » ، « مَنْ عَزَى ثَكْلًا كُسِيَ بُرْدًا فِي الْجَنَّةِ » فكل هذه عمومات تدل على الاستحباب مطلقاً .

---

(١) رواه الترمذي رقم (١٠٧٣) في الجنائز : باب ما جاء في أجر من عزى مصاباً ، وابن ماجه رقم (١٦٠٢) في الجنائز : باب ما جاء في ثواب من عزى مصاباً ، وهو حديث ضعيف ، كما بينه الإمام النووي في « المجموع » ٣٠٥/٥ ، والعسقلاني في « التلخيص » ٢٥١/٥ ، والألباني في « إرواء الغليل » رقم (٧٦٥) . انظر « الفوائد المجموعة » للشوكاني « رقم (٨٢٧) .

(٢) رواه الترمذي رقم (١٠٧٦) في الجنائز : باب في فضل التعزية ، وإسناده ضعيف ، كما قال الترمذي ، انظر « الإرواء » (٧٦٤) .

قوله : « ثكلى » : امرأة ثكلى : فقدت ولدها ومن يعزُّ عليها .

## فصل

ويستحب تعزية جميع أهل المصيبة كبارهم وصغارهم ويخص خيارهم والمنظور إليه من بينهم ليستن به غيره وذا الضعف منهم عن تحمل المصيبة لحاجته إليها ، ولا يعزي الرجلُ الأجنبيُّ شواب النساء مخافة الفتنة ، ويجوز للمرأة البرزة<sup>(١)</sup> ونحوها .

وثبت أن عائشة رضي الله عنها ، نهت عن الضحك في المصيبة لأن فيه إشماتاً بالمسلم وكسراً لقلبه . ولهذا رأى الإمام أحمد رجلاً يضحك في جنازة فهجره ، وقال : أي موعظة اتعظ هذا ، أو نحوه .

## فصل

وما يفعله أهل زماننا من الجلوس عند القبر  
يوم الدفن للتعزية وكذلك في اليوم الثاني والثالث

قال أبو الخطاب : يكره الجلوس للتعزية . وقال ابن عقيل : يكره الاجتماع بعد خروج الروح لأن فيه تهيجاً للحزن . وقال الإمام أحمد رحمه الله : يكره التعزية عند القبر إلا لمن لم يعز ، فيعزي إذا دفن الميت أو قبل أن يدفن . وقال أحمد : إن شئت أخذت بيد الرجل في التعزية وإن شئت لم تأخذ . وإذا رأى الرجل قد شق ثوبه على المصيبة عزّاه ولم يترك حقاً لباطل ، وإن نهاه فحسن .

قلت : إن كان الاجتماع فيه موعظة للمعزى بالصبر والرضى وحصل له من الهيئة الاجتماعية تسلية بتذاكرهم آيات الصبر وأحاديث الصبر والرضى فلا بأس بالاجتماع على هذه الصفة ؛ فإن التعزية سنة سنّها رسول الله صلى الله

---

(١) قال أبو عبيدة : البرزة من النساء الجلية التي تظهر للناس ويجلس إليها القوم ، وامرأة برزة : موثوق برأيها وعفافها . ويقال : امرأة برزة إذا كانت كهلة لا تحتجب احتجاب الشواب .



عليه وسلم ، لكن على غير الصفة التي تفعل في زماننا من الجلوس على الهيئة المعروفة اليوم لقراءة القرآن تارة عند القبر في الغالب ، وتارة في بيت الميت ، وتارة في المجامع الكبار ؛ فهذا بدعة محدثة كرهه السلف كما تقدم ؛ لكن فيه تسلية لهم وإشغال لهم عن الحزن ، والله أعلم .

## فصل

وأما قول أصحابنا وغيرهم من الفقهاء ففي غالب كتبهم يذكرون أنه لا بأس أن يجعل المصاب على رأسه ثوباً يعرف به ، وبعض أصحابنا المقدسة يرخي عذبة من غير عادة . قالوا : لأن التعزية سنة وفي ذلك تيسير لمعرفته حال التعزية . وأنكر هذا الفعل شيخ الإسلام ابن تيمية وقال : لا ريب أن السلف لم يكونوا يفعلون شيئاً من ذلك ، ولا نقل هذا عن أحد من الصحابة والتابعين ، وثُمَّ آثَارُ صريحة تأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى تُقَوِّي هذا القول . وقد كره إسحاق بن راهويه أن يترك لبس ما عادته لبسه ، والله أعلم .

## فصل

وقد ذكر الشيخ موفق الدين وغيره من أصحابنا في غالب الكتب : أن التعزية تجوز قبل الدفن وبعده ، وأنه يقول في تعزية المسلم بالمسلم : أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك ورحم ميتك ، وفي تعزيته بكافر : أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك .

وتوقف أحمد رحمه الله عن تعزية أهل الذمة ، وهي تُخْرَجُ على عيادتهم في أمراضهم وفيها روايتان :

إحداهما - يعودهم ؛ لأنه روي أن غلاماً من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعود فقعد عند رأسه ؛ فقال : « أَسْلِمَ » ، فنظر إلى أبيه وهو عند رأسه . فقال : أطع أبا القاسم ، فأسلم ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ

مَنْ النَّارِ» رواه البخاري<sup>(١)</sup> ، ولكن الحكمة في العيادة متتفة في التعزية وهو رجاء إسلامه ، والله تعالى أعلم .

والرواية الثانية - لا يجوز ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تَبْدُوهُمْ بِالسَّلَامِ »<sup>(٢)</sup> .

قال . . . . (٣) بجواز تعزيتهم عن مسلم ، يقال له : أحسن الله عزاءك وغفر لميتك ؛ وعن كافر : أخف الله عليك ولا نقص عددك . ويقصد زيادة عددهم لتكثر جزيتهم .

وقال أبو عبد الله بن بطة : لا بأس أن يقول في تعزية الكافر : أعطاك الله على مصيبتك أفضل ما أُعطي أحد من أهل ملتك . وقد روى أبو عبد الله المرزباني بإسناده عن الحسين نحوه مما قال ابن بطة ، ولكن لفظه : أجزاك الله على مصيبتك بأعظم مما جازى به أحداً من أهل ملتك .

وروى أبو موسى المديني بإسناده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا دَعَوْتُمْ لِأَحَدٍ مِنَ الْيَهُودِ أَوْ النَّصَارَى فَقُولُوا : أَكْثَرَ اللَّهُ مَالَكَ وَلَدَكَ »<sup>(٤)</sup> .

---

(١) ١٧٦ / ٣ في الجنائز : باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلي عليه وهل يعرض على الصبي الاسلام ، وفي المرضى : باب عيادة المشرك ، وأبو داود رقم (٣٠٩٥) في الجنائز : باب في عيادة الذمي ، وأحمد في « المسند » ١٧٥ / ٣ و ٢٢٧ و ٢٦٠ و ٢٨٠ .

(٢) رواه مسلم رقم (٢١٦٧) في السلام : باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم ، والترمذي رقم (٢٧٠١) في الاستئذان : باب ما جاء في التسليم على أهل الذمة ، وأبو داود رقم (٥٢٠٥) في الأدب : باب في السلام على أهل الذمة .

(٣) فراغ بالأصل .

(٤) قال المناوي في « الفيض » ١ / ٣٤٥ : فيه عبد الله بن جعفر بن نجيح متفق على ضعفه كما في « الميزان » وغيره ، وعد من مناكيره هذا الخبر قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٥٩٢) : ضعيف .

## فصل

ولم يرد في التعزية شيء محدود إلا أنه يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم عزى رجلاً فقال : « رَحِمَكَ اللهُ وَآجَرَكَ » رواه الإمام أحمد<sup>(١)</sup> .

وعزى أحمد أبا طالب فوقف على باب المسجد فقال : أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك .

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده. قال : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءت التعزية سمعوا قائلاً يقول : « إِنَّ فِي اللهِ عِزَاءً مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ ، وَخَلْفًا مِنْ كُلِّ هَالِكٍ ، وَدَرْكًا مِنْ كُلِّ مَا فَاتَ ، فَبِاللهِ فَتَقُوا وَإِيَّاهُ فَارْجُوا ، فَإِنَّ الْمُصَابَ مِنْ حَرَمِ الثَّوَابِ » رواه الشافعي في « مسنده »<sup>(٢)</sup> .

وروى الحاكم في « مستدركه »<sup>(٣)</sup> . وقال : صحيح الإسناد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه . قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أحرق به أصحابه فبكوا حوله واجتمعوا ، فدخل رجل أشهب اللحية جسيم صبيح ، فتخطى رقابهم فبكى ، ثم التفت إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « إِنَّ فِي اللهِ عِزَاءً مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ ، وَعَوْضًا مِنْ كُلِّ فَائِتٍ ، وَخَلْفًا مِنْ كُلِّ هَالِكٍ ؛ فَإِلَى اللهِ فَأَنْيَبُوا وَإِلَيْهِ فَارْغَبُوا ، وَنَظَرُهُ إِلَيْكُمْ فِي الْبَلَاءِ فَانْظُرُوا فَإِنَّمَا الْمُصَابُ مَنْ لَمْ يَجْبِرْ » وانصرف . فقال بعضهم

---

(١) قال الألباني في « ارواء الغليل » ٢٢٠/٣ : روى ابن أبي شيبة ١٦٤/٤ عن حسين بن أبي عائشة عن أبي خالد الوالبي أن النبي ﷺ عزى رجلاً : يرحمه الله ويأجره . وهو حديث مرسل ، أبو خالد هذا اسمه هرمز يروي عن ابن عباس وغيره ، وابن أبي عائشة أورده ابن أبي حاتم ( ٦٢/٢/١ ) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، وأما ابن حبان فأورده في « الثقات » ٥٩/٢ .

(٣) « ترتيب مسند الشافعي » رقم ( ٦٠٠ ) . الحاكم ٥٨/٣ قال الهيثمي في « المجمع » ٣/٣ : رواه الطبراني في « الأوسط » ، وفيه عباد بن عبد الصمد أبو معمر ضعفه البخاري . وقال الألباني في « أحكام الجنائز » ص ٢٥٥ : ضعيف .

لبعض : تعرفون الرجل ؟ قال : أبو بكر وعلي : نعم ، هذا أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم الخضر عليه السلام .

وروى الحاكم<sup>(١)</sup> من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءتهم الملائكة يسمعون الحس ولا يرون الشخص . قالت : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفاً من كل فائت ، فبالله فثقوا ، وإياه فارجوا ، فإنما المحروم من حُرْم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وحسنه الحاكم .

وسأيتي كلام السلف رحمهم الله في التعازي بألفاظ مختلفة ، فتارة مطوّلة وتارة وجيزة بليغة ، كما سأذكره قريباً إن شاء الله .

## فصل

ومن بلغه وفاة أحد من المؤمنين فليحسن الاسترجاع والتثبت ؛ فقد روى الطبراني بإسناده عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ لِلْمَوْتِ فَرْعاً ، فَإِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ وَفَاةَ أَحْيَاهِ فَلْيَقُلْ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ، اللَّهُمَّ اكْتُبْهُ فِي الْمُحْسِنِينَ وَاجْعَلْ كِتَابَهُ فِي عَلِيٍّ ، وَاخْلُفْ عَقْبَهُ فِي الْآخِرِينَ ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ »<sup>(٢)</sup> .

وفي حديث أبي سلمة : لما مات شق بصره فأغمضه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ » فصاح ناس من أهله ، فقال : « لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَوْمُنُونَ عَلَى مَا

---

(١) الحاكم ٣ / ٥٧ - ٥٨ وهو حديث ضعيف .

(٢) قال الهيثمي في « المجمع » ٢ / ٣٣١ : رواه الطبراني في « الكبير » ، وفيه قيس بن الربيع الأسدي ، وفيه كلام .

تَقُولُونَ . ثم قال : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبَةِ فِي الْغَابِرِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ « رواه مسلم <sup>(١)</sup> .

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما بلغه وفاة أبي بكر رضي الله عنه ، قال : رَضِينَا عَنِ اللَّهِ قَضَاءَهُ ، وَسَلَّمْنَا لَهُ أَمْرَهُ ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

قال سعيد بن منصور في « سننه » : حدثنا يوسف بن عطية الصفار ، قال جلست إلى عطاء بن أبي ميمونة وهو يعزِّي رجلاً فقال : حدثنا أنس بن مالك أن رجلاً كان يجيء بصبي له معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الغلام مات ، فاحتبس أبوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : مات صبيه الذي رأيت معه ، فقال : « أَفَلَا آذَنْتُمُونِي ، فَقُومُوا إِلَيَّ أَخِينَا نَعِزِّيهِ » فلما دخل عليه إذا الرجل حزين وبه كآبة فعزاه ، فقال : يا رسول الله ، كنت أرجوه لكبر سني وضعفي ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَا يَسُرُّكَ أَنْ يَكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِإِزَائِكَ يُقَالُ لَهُ : ادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : رَبِّ وَأَبَوَايَ ، وَلَا يَزَالُ يَشْفَعُ حَتَّى يُشَفَّعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَمِيعاً الْجَنَّةَ ! » <sup>(٢)</sup> .

(١) تقدم تخريجه ص (٥٩) . قوله : « إن الروح اذا قبض تبعه البصر » معناه : إذا خرج الروح من الجسد يتبعه البصر ناظراً أين يذهب ، وفي الروح لغتان : التذكير والتأنيث ، وهذا الحديث دليل للتذكير . وفيه دليل أن الروح أجسام لطيفة متخللة في البدن ، وتذهب الحياة من الجسد بذهابها .

قوله : « واخلفه في عقبه الغابرين » : أي كن له في ذريته ، والعقب مؤخر الرجل ، واستعير للولد وولد الولد ، وقولهم : لا عقب له ، أي لم يبق له ولد ذكر . والغابرين : أي الباقين كقوله تعالى : ﴿ إِلَّا امْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ .

(٢) وفيه يوسف بن عطية بن ثابت الصغار ، قال الحافظ في « التقريب » ٣٨١/٢ : متروك . وعطاء بن أبي ميمونة قال في « التقريب » ٢٣/٢ : ثقة رمي بالقدر .

## فصل

### فيما نقل إلينا من ألفاظ التعزية عن السلف والخلف

فقد روى الطبراني في كتاب الدعاء بإسناده عن محمود بن لبيد ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، أنه مات ابن له فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعزيه بابه فكتب إليه : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ ، فَأَعْظَمَ اللَّهُ لَكَ الْأَجْرَ وَاللَّهُمَّ الصَّبْرَ ، وَرَزَقْنَا وَإِيَّاكَ الشُّكْرَ ؛ فَإِنَّ أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا وَأَهْلِيْنَا وَأَوْلَادَنَا مِنْ مَوَاهِبِ اللَّهِ الْهَنِيَّةِ وَعَوَارِيهِ الْمُسْتَوْدَعَةِ ، مَتَّعَكَ اللَّهُ بِهِ فِي غِبْطَةٍ وَسُرُورٍ ، وَقَبَضَهُ مِنْكَ بِأَجْرِ كَثِيرٍ : الصَّلَاةَ وَالرَّحْمَةَ وَالْهُدَى ، إِنْ احْتَسَبْتَهُ بِالصَّبْرِ وَلَا يُحِيطُ جَزْعُكَ أَجْرَكَ فَتَنْدَمَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْ ثَوَابِ مُصِيبَتِكَ ، فَإِنَّكَ لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَى ثَوَابِ مُصِيبَتِكَ لَعَرَفْتَ أَنَّ الْمُصِيبَةَ قَدْ قَصَرْتَ عَنِ الثَّوَابِ - وهذه الزيادة في بعض طرقه - ثم قال : وَمَا هُوَ نَازِلٌ بِكَ فَكَأَنَّ قَدْ وَالسَّلَامُ » ورواه الحاكم في «المستدرک» وقال : غريب حسن ، ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في كتاب «الأدعية» وعنده : «فَلْيَذْهَبْ أَسْفَكَ مَا هُوَ نَازِلٌ بِكَ» . ولفظ الحاكم : «فَإِنَّ أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا وَأَهْلِيْنَا وَأَوْلَادَنَا مِنْ مَوَاهِبِ اللَّهِ الْهَنِيَّةِ ، وَعَوَارِيهِ الْمُسْتَوْدَعَةِ نُمَتِّعُ بِهِ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ ، وَيَقْبِضُهَا لَوَقْتٍ مَعْلُومٍ ، ثُمَّ افْتَرَضَ عَلَيْنَا الشُّكْرَ إِذَا أَعْطَى وَالصَّبْرَ إِذَا ابْتَلَى»<sup>(١)</sup> ، وباقي الحديث كما ساقه الطبراني ، والله أعلم .

<sup>(١)</sup> قال الهيثمي في «المجمع» ٣/٣ : رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» ، وفيه مجاشع بن عمرو وهو ضعيف . وقال الألباني في «أحكام الجنائز» ص ١٦٥ : هو موضوع كما قال الذهبي والعسقلاني وغيرهما ، وزهل عن ذلك الشوكاني وتبعه صديق حسن خان ، فحسناه تبعاً للحاكم ، فلا يغتر بذلك ، فإن لكل جواد كبوة . اهـ .

ورأيت في جزء لا أعرف مؤلفه وليس له أول . قال زيد بن أسلم : مات ابن لداود عليه السلام فجزع عليه ، فعزوه فيه فقيل له : ما كان يعدل عندك ؟ قال : كان أحب إلي من ملء الأرض ذهباً ، فقيل له : فإن لك من الأجر على قدر ذلك .

وفي الإسرائيليات : أن سليمان بن داود عليهما السلام مات له ولد فجزع عليه حتى عرف ذلك في مصابه ، فتحاكم إليه ملكان في صورة رجلين ، فقال أحدهما : إن هذا بذراً في طريق الناس فمررت فأفسدته ، فقال سليمان للآخر : لم بذرت في الطريق؟ أما علمت أنه لا بد للناس من ممر؟ فقال : ولم تحزن أنت على ابنك وهذا طريق الناس إلى الآخرة .

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما . قال : أرسلت ابنة النبي صلى الله عليه وسلم إليه : أن ابناً لي قد قبض فأتنا ؛ فأرسل يُقْرَىء السلام ويقول : « إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى ، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ » رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه (١) .

وقال وهب بن منبه : قرأت في بعض كتب الله تعالى يقول : لولا أني جعلت الميت ينتن على أهله ما دفن ميت ، ولولا أني جعلت الطعام يفسد لاحتجبه الملوك ، ولولا أني آتي بالعزاء بعد المصيبة ما عمرت الدنيا .

---

(١) تقدم تخريجه ص (٥٢) رقم (١) . قوله : « إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ ، وَلَهُ مَا أَعْطَى ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى » : معناه الحث على الصبر والتسليم لقضاء الله تعالى ، وتقديره : إن هذا الذي أخذ منكم كان له لا لكم ، فلم يأخذ إلا ما هو له ، فينبغي أن لا تجزعوا ، كما لا يجوز من استردت منه وديعة أو عارية ، وقوله ﷺ : « وَلَهُ مَا أَعْطَى » معناه أن ما وهبه لكم ليس خارجاً عن ملكه ، بل هو سبحانه وتعالى يفعل فيه ما يشاء .

وقوله ﷺ : « وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى » معناه : اصبروا ولا تجزعوا ، فإن كل من مات فقد انقضى أجله المسمى ، فمحال تقدمه أو تأخره عنه ، فإذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم .

وقال الحسن البصري رحمه الله : ما من جزعتين أحب إلى الله من  
جزعة مصيبة موجعة محرقة ردها صاحبها بحسن عزاء وصبر . وجزعة غيظ  
ردها صاحبها بحلم .

وقد روي عن شمر أنه كان إذا عزی مصاباً قال : اصبر لما حكم  
ربك .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثني عبد الله بن محمد بن إسماعيل التيمي أن  
رجلاً عزی رجلاً على ابنه فقال : إنما يستوجب على الله وعده من صبر الله  
بحقه ، فلا تجمع إلى ما أصبت به من المصيبة الفجيعة بالأجر ، فإنها أعظم  
مصيبتين عليك ، والسلام .

وعزی ابن السماك رجلاً فقال : عليك بالصبر فيه يعمل من احتسب  
وإليه يصير من جزع .

وقال عمرو بن دينار : قال عبيد بن عمير : ليس الجزع أن تدمع العين  
ويحزن القلب ، ولكن الجزع القول السيء والظن السيء .

وقال خالد بن أبي عثمان القرشي : كان سعيد بن جبير يعزيني على أبي  
فرائي أطوف بالبيت متقنعاً ، فكشف القناع عن رأسي ، وقال : الاستتار من  
الجزع .

وروى البيهقي بإسناده في مناقب الشافعي رحمه الله : أن عبد الرحمن  
ابن مهدي مات له ابن فجزع عليه جزعاً شديداً ، فبعث إليه الشافعي  
يقول له : يا أخي ، عز نفسك بما تعزي به غيرك ، واستقبح من فعلك ما  
تستقبحه من غيرك ، واعلم أن أمض المصائب فقد سرور وحرمان أجر ،  
فكيف إذا اجتمعاً مع اكتساب وزر ، فتناول حظك يا أخي إذا قرب منك قبل  
أن تطلبه وقد تنأى عنك ، الهلك الله عند المصائب صبراً ، وأحرز لنا بالصبر  
أجراً ، ثم أنشده :



إِنِّي مُعَزِّيكَ لَا أَنِّي عَلَى ثِقَةٍ      مِنْ الْخُلُودِ وَلَكِنْ سُنَّةُ الدِّينِ  
فَلَا الْمُعَزَّى بِبَاقٍ بَعْدَ مَيِّتِهِ      وَلَا الْمُعَزَّى وَلَوْ عَاشَا إِلَى حِينِ

ومات ابنٌ للشافعي رحمه الله فجاءوا يعزُّونه فأنشد :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا هَكَذَا فَاصْطَبِرْ لَهُ      رَزِيَّةُ مَالٍ أَوْ فِرَاقُ حَبِيبِ

دخل بعض الأعراب على بعض ملوك بني العباس وقد توفي له ولد  
اسمه العباس فعزاه فيه فقال :

اصْبِرْ نَكُنْ بِكَ صَابِرِينَ فَإِنَّمَا      صَبِرُ الرَّعِيَةِ عِنْدَ صَبْرِ الرَّاسِ  
وَأَخِيرُ مِنَ الْعَبَّاسِ أَجْرُكَ بَعْدَهُ      وَاللَّهُ خَيْرُ مَنْكَ لِلْعَبَّاسِ

وذكر أبو علي الحسن بن أحمد بن البنا بإسناده أن شخصاً من الحكماء  
أنشده :

إِذَا دَامَ ذَا الدَّهْرُ لَمْ يُحْزَنْ عَلَى أَحَدٍ      مِمَّنْ يَمُوتُ وَلَمْ يُفْرَحْ بِمَوْلُودٍ

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا الحسين ، حدثنا عبد الله ، حدثنا  
محمد بن مسلمة القاسمي وكان قد قارب المائة ، قال : وعظ عابداً جباراً فأمر  
به فقطعت يده ورجلاه وحمل إلى متعبده ، فجاء إخوانه يعزونه ، فقال : لا  
تعزوني ولكن هنتوني بما ساق الله إليّ ثم قال : إلهي ، أصبحت في منزلة  
الرغائب ، أنظر إلى العجائب ، إلهي أنت تتودّد بنعمتك إلى من يؤذيك ،  
فكيف لا تتودّد إلي من يؤذّي فيك .

وذكر عن سليمان بن حبيب ، قال : لما مات عبد الملك بن عمر بن  
عبد العزيز ، دخل عليه هشام فعزاه عنه ، فقال عمر : وأنا أعوذ بالله أن يكون  
لي محبةٌ في شيء من الأمور تخالف محبة الله عزّ وجلّ ؛ فإنّ ذلك لا يصلح

لي في بلائه عندي ، وإحسانه إليّ . وفي رواية أخرى ، قال : لما مات ابنه عبد الملك وأخوه سهل ومزاحم مولى عمر بن عبد العزيز في أيام متتابعة دخل عليه الربيع بن سبرة ، فقال : أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين فما رأيت أحداً أصيب بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعة ، والله ما رأيت مثل ابنك ابناً ، ولا مثل أخيك أخاً ، ولا مثل مولاك مولى قط ؛ فطأطأ رأسه ، فقال لي رجل معه على الوساد : لقد هيجت عليه ، قال : ثم رفع رأسه فقال : كيف قلت : ؟ فأعدت عليه ما قلت ، فقال : لا ، والذي قضى عليهم بالموت ما أحبُّ أن شيئاً من ذلك لم يكن .

وعن بشر بن عبد الله ، قال قام عمر بن عبد العزيز على قبر ابنه عبد الملك ، فقال : رحمك الله يا بني فقد كنت ساراً مولوداً ، وباراً ناشئاً ، وما أحب أني دعوتك فأجبتني .

ولما توفيت الياقوتة بنت المهدي ، جزع عليها جزعاً لم يُسمع بمثله ، فجلس للناس يعزونه ، وأمر أن لا يُحجب عنه أحد ، فأكثر الناس في التعازي واجتهدوا في البلاغة ، فأجمعوا أنهم لم يسمعوا تعزية أوجز ولا أبلغ من تعزية شبيب بن شبة ؛ فإنه قال : أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رُزئت أجراً ، وأعقبك خيراً ، ولا أجهد بلاءك بنقمة ، ولا نزع منك نعمة ؛ ثواب الله خيراً لك منها ، ورحمة الله خير لها منك ، وأحق ما صُبرَ عليه ما لا سبيل إلى رده ، وفي رواية قال : يا أمير المؤمنين ، الله خير لك منها ، وأنا أسأل الله أن لا يحزنك ولا يفتنك .

وقد روى مالك في « الموطأ » عن يحيى بن سعيد عن القاسم ، قال : هلكت امرأة لي ، فأتاني محمد بن كعب القرظي يعزيني بها ، فقال : إنه كان في بني إسرائيل رجل فقيه عالم عابد مجتهد وكانت له امرأة ، وكان بها معجباً ولها محباً ، فماتت فوجد عليها وجداً شديداً ، وتأسف عليها تأسفاً شديداً ، حتى خلا في بيت وأغلق على نفسه واحتجب ، وإن امرأة سمعت به فجاءته ،

فقلت : إِنَّ لِي إِلَيْهِ حَاجَةً أَسْتَفْتِيهِ فِيهَا لَيْسَ يَجْزِينِي إِلَّا مَشَافَهَتُهُ ، فَذَهَبَ النَّاسُ وَلَزِمَتْ بَابَهُ . وَقَالَتْ : مَا لِي مِنْهُ بُدٌّ ؛ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : إِنَّ هَا هُنَا امْرَأَةً أَرَادَتْ أَنْ تَسْتَفْتِيكَ . قَالَ : ائْذِنُوا لَهَا ، فَدَخَلَتْ ، فَقَالَتْ : إِنِّي اسْتَعْرْتُ مِنْ جَارَةٍ لِي حَلِيًّا وَكُنْتُ أَلْبَسُهُ وَأَعِيرُهُ ، فَلَبِثْتُ عِنْدِي زَمَانًا ، ثُمَّ إِنَّهُمْ أَرْسَلُوا إِلَيَّ فِيهِ ، فَأَفَرَّدُوهُ إِلَيْهِمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَالْإِلَهَ ، قَالَتْ : إِنَّهُ مَكَثَ عِنْدِي زَمَانًا ! قَالَ : فَذَاكَ أَحَقُّ لِرَدِّكَ إِيَّاهُ إِلَيْهِمْ ، قَالَتْ ؛ أَفَتَتَأَسَفُ عَلَى مَا أَعَارَكَ اللَّهُ ثُمَّ أَخَذَهُ مِنْكَ وَهُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ ، فَأَبْصُرْ مَا هُوَ فِيهِ وَنَفْعَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهَا .

وعزى عمرو بن عبيد يونس بن عبيد على ولد له مات ، فقال : إِنَّ أَبَاكَ كَانَ أَصْلَكَ ، وَإِنَّ ابْنَكَ كَانَ فِرْعَكَ ، وَإِنَّ امْرَأَةً ذَهَبَ أَصْلُهُ وَفِرْعُهُ لِحَرِيٍّ أَنْ يَقْلَ بِقَاؤُهُ .

وعزى صالح المري رجلاً قد مات ولده . فقال : إِنَّ كَانَتْ مَصِيبَتُكَ أَحْدَثَتْ لَكَ عِظَةً فِي نَفْسِكَ فَنَعَمْ الْمَصِيبَةُ مَصِيبَتُكَ ، وَإِنْ كَانَتْ لَمْ تَحْدِثْ لَكَ عِظَةً فِي نَفْسِكَ ؛ فَمَصِيبَتُكَ بِنَفْسِكَ أَعْظَمُ مِنْ مَصِيبَتِكَ بِابْنِكَ .

وعزى رجل رجلاً . فقال : يَا أَخِي ، الْعَاقِلُ يَصْنَعُ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مَا يَفْعَلُهُ الْجَاهِلُ بَعْدَ عَامٍ .

وعزى رجل رجلاً فقال : عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالصَّبْرِ فِيهِ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ الْمُحْتَسِبَ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْجَزَاعُ .

وعزى رجل رجلاً . فقال : إِنَّ مِنْ كَانَ لَكَ فِي الْآخِرَةِ أَجْرًا ، خَيْرٌ مِمَّنْ كَانَ لَكَ فِي الدُّنْيَا سُرُورًا .

وعن ابن جريج . قَالَ : مَنْ لَمْ يَتَعَزَّزْ عِنْدَ مَصِيبَتِهِ بِالْأَجْرِ وَالْإِحْتِسَابِ ، سَلَا كَمَا تَسْلُو الْبَهَائِمُ .

قال بعض السلف وقد عزی مصاباً : إن صبرت فهي مصيبة واحدة ، وإن لم تصبر فهما مصيبتان .

وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده عن ميمون بن مهران . قال : عَزَى رجلٌ عَمَرَ بن عبد العزيز رحمة الله عليه على ابنه عبد الملك ؛ فقال عمر : الأمر الذي نزل بعبد الملك أَمْرٌ كُنَّا نَعْرِفُهُ ، فلما وقع لم نُنْكِرْهُ .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده قال : مات ابن رجلٍ فحضره عمرُ بن عبد العزيز، فكان الرجل حَسَنَ العزاء، فقال رجل من القوم: هذا والله الرُّضَا: فقال عمر بن عبد العزيز : أو الصبر ، قال سليمان : الصبر دون الرضا ، الرضا : أن يكون الرجل قبل نزول المصيبة راض بأي ذلك كان ، والصبر : أن يكون بعد نزول المصيبة فيصبر .

وذكر الحافظ ابن عساكر : قال إبراهيم بن خالد : كتب محمد بن إدريس الشافعي إلى رجل من إخوانه من قریش يعزيه بآبن أصيب به : اعلم يا أخي أن كل مصيبة لا يجبر صاحبها ثوابها فهي المصيبة العظمى ، فكيف رضيت أخي بآبنك فتنة ، ولم ترض به نعمة ؟ وكيف رضيت به مفارقاً ، ولم ترض به خالداً ؟ وكيف رضيت على التعريض من الفساد ، ولم ترض به على اليقين من الصلاح ؟ بل كيف لك بمقت منعم ولم تعرف له نعمة ؟ يُرِيكَ ما تحب ، ويرى منك ما يكره ، ارجع إلى الله عز وجلّ وتعزّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وتمسكْ بدينك ، والسلام .

وذكر أيضاً بإسناده قال : كتب رجلٌ إلى أخ له يعزيه بآبنه : أما بعد ، فإن الله تعالى وهب لك موهبةً جعل عليك رزقه ومؤنته ، وأن تحشى فتنته ، فاشتدّ لذلك فرحتك : فلما قبض موهبته وكفاك مؤنته، اشتدّ لذلك حُزنك ؛ أقسم بالله إن كنت تقيا لَهْنُتَ على ما عَزَّيْتَ عليه ، وَلَعَزَّيْتَ على ما هُنَّتَ عليه ؛ فإذا أتاك كتابي هذا فاصبر نفسك عن الأمر الذي لا ضَبْرَ لك على عقبه ، واصبر نفسك عن الأمر الذي لا غنى بك عن ثوابه ، واعلم أن كل

مصيبة لم يذهب فرحُ ثوابها حُزنَها ، فذلك الحزنُ الدائم ، والسلام .

عن عبد الله بن صالح العجلي ، قال : كتب ابن السماك إلى رجل يعزيه عن مولود له مات : أما بعد ، فإن استطعت أن يكون شكرك حين قبضه الله عزّ وجلّ منك ، أكثر منه حين وهبه لك ، فافعل ؛ فقد أحرز لك هبته حيث قبضه ؛ ولو بقي لم تسلم من فتنته ، أرايت حزنك على فراقه وتلهّفك على ذهابه ! أرضيت الدار لنفسك فترضّاها لابنك ؛ أما هو فقد خلس من الكدر وبقيت أنت معلقاً بالخطر ، والمصيبة إن جزعت فهي واحدة إن صبرت ، ومصيبتان إن لم تصبر ، فلا تجمع الأمرين على نفسك ، والسلام .

وكتب رجلٌ إلى بعض إخوانه يعزيه بابه : أما بعد ، فإن الولد على والده ما عاش حزن وفتنة ، فإذا قدّمه فصلاً ورحمة ؛ فلا تجزع على ما فاتك من حزنه وفتنه ، ولا تضيع ما عوضك الله من صلاته ورحمته .

وقال موسى بن المهدي لإبراهيم بن مسلم وعزّاه بابه : أسركَ وهو بلية وفتنة ، وأحزنك وهو صلوات ورحمة .

وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه دفن ابناً له فضحك عند قبره ! ف قيل له : أتضحك عند قبر ؟ قال : أردت أن أرغم الشيطان .

ومات للحافظ ابن عساكر ولدٌ لم يحتلم وكان ولداً حسناً . قال الحافظ : فحمدت الله ولم أظهر لموته جزعاً ولا قلقاً ، ولم أحالف لذهابه هلعاً ولا أرقاً ، ولم أترك لحزنه مجلس الحديث ، ولم أمتنع لأجله من الانبساط والحديث ، وما كان ذلك إلا بتوفيق الله وإعانتة ؛ وحُسن عصمته من الجزع وصيانتة ، فله الحمد إذ لم يحبط أجري فيه بجزعي ، ولم يذهب صبري عنه بهلعي ؛ لأن المحروم من حُرْم عظيم الثواب ، والملوم من جَزَع لأليم المصاب ، وأعجب من تصبري : لما عزاني بعض إخواني حضني على

الصبر . وقال لي : مررت بك يوم ثانية وأنت تحدّث الجماعة فتعجبت من انشراح صدرك للتحديث تلك الساعة ؛ فقلت له : إن الجزع لا يَرُدُّ فائتاً ولا ذاهباً ، والحزن لا يرجع هالكاً ولا عاطباً ، والبكاء لا يجدي صرفاً لمسلم ولا نفعاً ، وإذا كان الأمر بهذه الصفة ، والحال هكذا عند أهل المعرفة ؛ فالصبر أحمى بذوي الحجى ، وأليق بأولي الدين والنهى .

\*\*\*

## — الباب السادس عشر —

### في وجوب الصبر على المصيبة

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [ آل عمران : ٢٠٠ ] وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [ البقرة : ١٥٣ ] وقال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [ محمد : ٣١ ] والآيات التي فيها الأمر بالصبر كثيرة جداً معروفة .

قال الإمام أحمد : ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر في القرآن في تسعين موضعاً .

اعلم أن حقيقة الصبر عند أرباب التصوف : خُلُقٌ فاضل من أخلاق النفس يمنع به من فعل مالا يحسن ولا يجمل ، وهو قوة من قوَى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها .

قال سعيد بن جبير : الصبر اعتراف العبد لله بما أصابه منه واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه ، وقد يجزع الرجل وهو متجلّد لا يرى منه إلا الصبر . وقد تقدم حديث أبي زيد أسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإرسال بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ابني قد احتضر فاشهد ، فأرسل يقرئ السلام ، ويقول : « إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى ، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ » الحديث<sup>(١)</sup> . أمرها بالصبر .

---

(١) تقدم تخريجه ص (٥٢) رقم (١) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال: مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر ، فقال : « اتَّقِ اللَّهَ وَاصْبِرِي » ، فقالت إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي - ولم تعرفه - فقل لها : إنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فأثت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين ، فقالت : لم أعرفك ، فقال ؛ « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى » رواه البخاري ومسلم . وفي رواية : تبكي على صبي لها . فقال : « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ » (١) . وهذا يشبه قوله عليه الصلاة والسلام « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » (٢) فَإِنَّ مفاجأة المصيبة بغتة لها روعة تزعزع القلب وترعجه بصدمة ؛ فَإِنَّ صبر للصدمة الأولى انكسرت حدتها ؛ وضعفت قوتها ، فهان عليه استدامة الصبر ، كذلك الغضب .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبِضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةَ » رواه البخاري (٣) .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فأخبرها : « أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ؛ فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ؛ فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ فِي الطَّاعُونِ فَيَمُوتُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ » رواه

(١) تقدم تخريجه ص (٣٩) رقم (٢) .

(٢) رواه البخاري ١٠ / ٤٣١ في الأدب : باب الحذر من الغضب ، ومسلم رقم (٢٦٠٩) في البر والصلة والآداب : باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب ، والموطأ ٢ / ٩٠٦ في حسن الخلق : باب ما جاء في الغضب ، واحمد في « المسند » ٢ / ٢٣٦ و ٢٦٨ و ٥١٧ . قوله : « الصُّرْعَةُ » : بضم الصاد وفتح الراء ، وأصله عند العرب : من يصرع الناس كثيراً .

(٣) تقدم تخريجه ص (١٢٤) رقم (١) .



البخاري ، ورواه الإمام أحمد من حديث عائشة أيضاً بلفظه (١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : الصبر على المصائب واجب باتفاق أئمة الدين ، وإنما اختلفوا في وجوب الرضا . انتهى كلامه .

فالصبر واجب من حيث الجملة ، ولكنه يتأكد بحسب الأوقات فهو في زمن الطاعون أكد منه في غيره ، فإنه إذا صبر على الإقامة في البلد الذي وقع فيه الطاعون ، وصبر عند موت أولاده أو أقاربه أو أصحابه ، وصبر أيضاً عند مصيبتة بنفسه ، وعلم يقيناً أن الآجال لا تقديم فيها ولا تأخير ، وأن الله تعالى كتب الآجال في بطون الأمهات كما ثبت في الصحيح<sup>(١)</sup> «كتب رزقه وأجله وشقي هو أو سعيد» فلا زيادة ولا نقص إلا في صلة الأرحام ففيه خلاف معروف بين أهل العلم ؛ فإذا صبر واحتسب لم يكن له ثواب دون الجنة ، وإذا جزع ولم يصبر أثم وأتعب نفسه ولم يرَدَّ من قضاء الله شيئاً . ولقد ضمن الوافي الصادق الناطق في محكم كتابه حيث قال عن الصابرين : أنهم يُوفَّون أجرهم بغير حساب . وأخبر أنه معهم بهدايته ونصره العزيز وفتح المبين . فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [ البقرة : ١٥٣ ] فذهب الصابرون بهذه المعية التي هي خير الدنيا والآخرة ، وشارك بعض الأنبياء في قوله : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [ طه : ٤٦ ] وأخبر تعالى أن الصبر خير لأهله خبراً مؤكداً . فقال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ [ النحل : ١٢٦ ] وأخبر أن الصبر مع التقوى لا يضرّ معه كيد الأعداء أبداً . فقال ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يُضَرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [ آل عمران : ١٢٠ ] .

---

(١) رواه البخاري ١٠ / ١٦٣ في الطب : باب أجر الصابر على الطاعون ، وفي الأنبياء : باب ما ذكر عن بني اسرائيل ، وفي القدر : باب ﴿ قُلْ لَنْ يَصِيَّبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ ، وأحمد في المسند ٦ / ٦٤ و ١٥٤ و ٢٥٢ .

(١) تقدم لفظه وتخرجه ص (١٤٨) رقم (١) .

## — الباب السابع عشر —

### في ما ورد في الصبر على المصيبة

قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [ البقرة : ١٥٥ - ١٥٧ ] وقال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [ الشورى : ٤٣ ] وقال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ ﴾ [ محمد : ٣١ ] .

وهذا باب متسع جداً في الآيات والأحاديث ؛ وإنما نذكر منه ما يوقظ الساهي وينبه الغافل . وقد تقدم حديث أم سلمة من غير وجه من رواية الإمام أحمد ومسلم وغيرهما (١) .

وعن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ » الحديث رواه مسلم (٢) .

---

(١) انظر ص ١٥ - ١٧ .

(٢) رقم (٢٢٣) في الطهارة : باب فضل الوضوء ، والترمذي رقم (٣٥١٢) في الدعوات : باب رقم (٩١) ، والنسائي ٥ / ٥ و ٦ في الزكاة : باب وجوب الزكاة . وأحمد في « المسند » ٥ / ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٤ .

قوله : « الطهور » : التطهر والنظافة ، واشتقاقه من الطهارة ، وهي لغة : النظافة حسية كانت أو معنوية ، وشرعاً : فعل ما يترتب عليه إباحة أو ثواب مجرد . والطهور : هو اسم لما يتطهر به . =

ورواه أبو داود (١) من طريق أخرى بلفظ غريب : أن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا أَصَابَتْ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَقُلْ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، اللَّهُمَّ عِنْدَكَ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي فَأَجْرُنِي بِهَا وَأَبْدِلْنِي خَيْرًا مِنْهَا » . فلما احتضر أبو سلمة قال : اللَّهُمَّ اخْلُفْنِي فِي أَهْلِي خَيْرًا مِنِّي ؛ فلما قبض . قالت أم سلمة : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، عِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي فَأَجْرُنِي فِيهَا .

فانظر رحمك الله إلى ما آلت إليه حين احتسبت وصبرت ورضيت وركنت واتبعت السنة ، وقد تقدّم نحو ذلك .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، حتى نفذ ما عنده ، فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده : « مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَعِفَّ يَعْفُهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » رواه البخاري ومسلم (٢) .

وعن صهيب بن سنان رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله

---

= قوله : « شطر » : أي نصف الإيمان ، أي ينتهي تضعيف أجره إلى نصف أجر الإيمان . قوله « حُجَّة » : أي حجة علي إيمان مؤديها .

(١) رقم (٣١١٩) في الجنايز : باب في الاسترجاع ، ورواه مسلم أتم منه رقم (٩١٨) في الجنايز : باب تلقين الموق .

(٢) رواه البخاري ٢٦٥/٣ في الزكاة : باب الاستعفاف في المسألة ، وفي الرقاق : باب الصبر عن محارم الله ، ومسلم رقم (١٠٥٣) في الزكاة : باب فضل التعفف والصبر ، والموطأ ٢/ ٩٩٧ في الصدقة : باب ما جاء في التعفف عن المسألة ، وأبو داود رقم (١٦٤٤) في الزكاة : باب في الاستعفاف ، والترمذي رقم (٢٠٢٥) في البر والصلة : باب ما جاء في الصبر ، والنسائي ٩٥ / ٥ في الزكاة : باب الاستعفاف عن المسألة ، وأحمد في « المسند » ٣/ ١٢ و ٤٧ و ٩٣ .

قوله : « ومن يتصبر » : أي يتكلف الصبر على ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا ، أن يتجرع مرارة ذلك ، ولا يشكو لغير مولاة .

عليه وسلم : « عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ » رواه مسلم (١) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ : « إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ » - يُرِيدُ عَيْنَيْهِ - رواه البخاري (٢) .

وعن عطاء بن أبي رباح . قال : قال لي ابن عباس رضي الله عنهما : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ فقلت : بلى . قال : هذه المرأة السوداء ، أتت النبي صلى الله عليه وسلم . فقالت : إني أصرع وإني أتكشف ، فادع الله تعالى لي فقال : « إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَعْافِيكَ » فقالت : أَصْبِرُ ، ثم قالت : إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف ، فدعاها ، رواه البخاري ومسلم (٣) .

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ ، وَلَا وَصَبٍ ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ ، وَلَا أَذًى ، وَلَا غَمٍّ ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ » . رواه البخاري ومسلم (٤) . اللهم : على المستقبل ، والحزن : على الماضي ، والنصب : التعب ، والوصب : المرض .

وروي من حديث أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) رقم ٢٩٩٩ في الزهد : باب المؤمن أمره كله خير ، وأحمد في « المسند » ٦ / ١٥ و ١٦ انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٤٨) .

(٢) ١٠ / ١٠٠ في المرضي : باب فضل من ذهب بصره ، والترمذي رقم (٢٤٠٢) في الزهد : باب ما جاء في ذهاب البصر ، وأحمد في « المسند » ٣ / ١٤٤ .

(٣) رواه البخاري ١٠ / ٩٩ في المرضي : باب فضل من يصرع من الريح ، ومسلم رقم (٢٥٧٦) في البر والصلة : باب ثواب المؤمن فيما يصيبه ، وأحمد في « المسند » ١ / ٣٤٧ .

قولها : « أتكشف » : أي ينكشف بعض بدني من الصرع .

(٤) تقدم تخريجه ص (١٤) رقم (١) .

قال : « لَا يُصِيبُ الْعَبْدَ نَكْبَةٌ فَمَا فَوْقَهَا أَوْ دُونَهَا إِلَّا بِذَنْبٍ ، وَمَا يَعْفُو اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرَ » قال : وقرأ ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [ الشورى : ٣٠ (١) ] .

وروي من حديث عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم .  
قال : « الْمُسْلِمُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ » (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصَبِّ مِنْهُ » رواه البخاري (٣) . قوله « يصب » بفتح الصاد وكسرها .

وفي « الصحيح » (٤) : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَسَمَ مَالاً ،

(١) رواه الترمذي رقم (٣٢٤٩) في التفسير : باب ومن سورة الشورى ، وفي سنده مجهولان : عبيد الله بن الوازع الكلابي البصري ، والشيخ من بني مرة . وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا في هذا الوجه قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٦٠٩) : حديث حسن .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٥٠٩) في صفة القيامة : باب مخالطة الناس مع الصبر على أذاهم ، ورواه أيضاً ابن ماجه رقم (٤٠٣٢) في الفتن : باب الصبر على البلاء ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، واسناده حسن قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٥٢٧) : حديث صحيح .

وفي الحديث أفضلية من يخالط الناس مخالطة يأمرهم فيها بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحسن معاملتهم ، فإنه أفضل من الذي يعتزلهم ولا يصبر على المخالطة ، والأحوال تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمان ، ولكل حال مقال .

(٣) رواه البخاري ١٠ / ٩٣ و ٩٤ في المرضى : باب ما جاء في كفارة المريض ، والموطأ ٩٤١ / ٢ في العين : باب ما جاء في أجر المريض ، وأحمد في « المسند » ٢ / ٢٣٧ .

(٤) رواه البخاري ٨ / ٤٤ في المغازي : باب غزوة الطائف ، وفي الجهاد : باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلف قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ، وفي الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ وَوَاعِدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ ﴾ ، وفي الأدب : باب من أخبر صاحبه بما يقال فيه ، وباب الصبر على الأذى ، وفي الاستئذان : باب اذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة وفي الدعوات : باب قول الله تعالى : ﴿ وَصَلْ عَلَيْهِمْ ﴾ ، ومسلم رقم (١٦٠٢) في الزكاة : باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الاسلام وتصبر من قوي ايمانه ، وأحمد في « المسند » ١ / ٣٨٠ و ٣٩٦ و ٤١١ .

فقال بعض الناس : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : « رَحِمَ اللهُ أَخِي مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مَنْ هَذَا فَصَبَرَ » .

وقال عبد الرزاق ، حَدَّثَنَا الثوري عن سفيان العصفري عن سعيد بن جبير أنه قال : في قوله تعالى . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٣] . قَالَ : لم يعط أحدٌ غير هذه الأُمَّة الصبرَ ألا تسمعون إلى قول يعقوب عليه السلام : ﴿ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ ﴾ [يوسف : ٨٤] .

وروى سعيد بن منصور في « سننه » : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا عِيْنَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَعِيَ إِلَيْهِ أَخُوهُ قُثْمٌ وَهُوَ فِي سَفَرٍ ، فَاسْتَرْجَعَ ، ثُمَّ تَنَحَّى عَنِ الطَّرِيقِ فَأَنَاحَ ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ فَأُطَالَ فِيهِمَا الْجُلُوسَ ، ثُمَّ قَامَ يَمْشِي إِلَى رَاحِلَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٥] . وقال هشيم : حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ فِي مَسِيرٍ لَهُوَ فَنَعِيَ إِلَيْهِ ابْنُ لَهُ ، فَنَزَلَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ اسْتَرْجَعَ ، وَقَالَ : فَعَلْنَا كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ .

وقال أبو الفرج بن الجوزي ، روي عن أم كلثوم - وكانت من المهاجرات - أنه لما غشي على زوجها عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه خرجت الى المسجد تستعين بما أمرت به من الصبر والصلاة .

وحكى سعيد بن منصور عن الحجاج عن ابن جريج ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ قال : إنهما معونتان على رحمة الله .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يُوعَكُ ، فقلت : يا رسول الله ، إنك توعك وعكاً شديداً ، قال : « أَجَلٌ إِنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوْعَكُ الرَّجُلَانِ مِنْكُم » قلت : ذلك أن لك أجري . قال : « أَجَلٌ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَرَ »

الله بِهَا سَيِّئَاتِهِ [ وَحُطَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ ] كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا » رواه البخاري  
ومسلم <sup>(١)</sup> والوعك : مَغْثُ الحُمَى ، وقيل : الحُمَى .

وعن خباب بن الأرت رضي الله عنه . قال : شكونا إلى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وهو متوسّد بردةً له في ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا  
ألا تدعونا ؟ فقال : « قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلُكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ  
فَيُجْعَلُ فِيهَا ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ ، وَيَمْشَطُ  
بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ ، مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللَّهُ لَيُتِمِّنَّ  
اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّائِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ ،  
وَالذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ » رواه البخاري <sup>(٢)</sup> .

وفي الترمذي <sup>(٣)</sup> أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ عِظَمَ  
الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ  
الرِّضَى ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ » قال الترمذي : حديث حسن .

وعن أنس رضي الله عنه ، قال : كان ابن لأبي طلحة رضي الله عنه  
يشتكى ، فخرج أبو طلحة فقبض الصبي ، فلما رجع أبو طلحة قال : ما فعل  
ابني ؟ قالت أم سليم - وهي أم الصبي - هو اسكن ما كان ، فقدمت له العشاء

---

(١) رواه البخاري ٩٦ / ١٠ في المرضى : باب شدة المرض ، وباب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم  
الأمم فالأمم ، وباب وضع اليد على المريض ، وباب ما يقال للمريض وما يجيب ، وباب قول  
المريض : إني وجع أو وأرساه ، ومسلم رقم (٢٥٧١) في البر والصلة : باب ثواب المؤمن فيما يصيبه  
من المرض والحزن ، وأحمد في « المسند » ٣٨١ / ١ و ٤٤١ و ٤٥٥ .  
قوله : « يوعك » : الوعك مَغْثُ الحُمَى ، وقيل : الحُمَى .

(٢) ١٢٦ / ٧ في فضائل أصحاب النبي ﷺ : باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين  
بمكة ، وفي الأنبياء ، باب علامات النبوة في الإسلام ، وفي الاكراه : باب من اختار الضرب والقتل  
والهوان على الكفر ، وأبو داود رقم (٢٦٤٩) في الجهاد : باب في الأسير يكره على الكفر ، والنسائي  
٢٠٤ / ٨ في الزينة : باب لبس البرود ، وأحمد في « المسند » ١٠٩ / ٥ و ١١١ و ٣٩٥ .

(٣) رقم (٢٣٩٨) في الزهد : باب ما جاء في الصبر على البلاء ، وابن ماجه رقم (٤٠٣١)

في الفتن : باب الصبر على البلاء ، من حديث أنس رضي الله عنه واسناده حسن .

فتعشى ثم أصاب منها ، فلما فرغ منها قالت : واروا الصبي ، فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : « أَعْرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ » قال : نعم . قال : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا » فولدت غلاماً ، فقال لي أبو طلحة : أحمله حتى تأتي به النبي صلى الله عليه وسلم وبعث معه تمرات ، فقال : « أَمَعَهُ شَيْءٌ » ؟ قال : نعم تمرات ، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فمضغها ثم أخذها من فيه فجعلها في في الصبي وحنكه وسماه عبد الله ، رواه البخاري ومسلم ، وفي رواية البخاري قال ابن عيينة : فقال رجل من الأنصار : فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن - يعني من أولاد عبد الله .

وفي رواية لمسلم : مات ابن لأبي طلحة من أم سليم فقالت لأهلها : لا تحدثوا أبا طلحة بآبائه حتى أكون أنا أحدثه ، فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب ، ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك ، فوقع بها ، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها ، قالت : يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا ، فقالت : احتسب ابنك ، فغضب ثم قال : تركتيني حتى إذا تلطخت ثم أخبرتيني ! فانطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بَارَكَ اللَّهُ فِي لَيْلَتِكُمَا » قال : فحملت ، وذكر تمام الحديث وقد تقدم (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةُ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح (٢) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تنصب الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيؤفون

---

(١) تقدم تخريجه ص (١١٩) .

(٢) تقدم تخريجه ص (١١١) رقم (٢) .



أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصيام فيوفون أجورهم بالموازين ، ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ، ويؤتى بأهل البلاء فلا يُنصب لهم ميزان ، ولا يُنشر لهم ديوان ، وَيُصَبُّ عَلَيْهِمُ الْأَجْرُ صَبًّا بغير حساب ، ثم قرأ ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ الزمر : ١٠ ] حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل . رواه ابن منجويه في تفسيره .

وروى مالك بن أنس في « الموطأ »<sup>(١)</sup> من حديث عطاء بن يسار أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : « إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكَينِ فَقَالَ : انْظُرَا مَاذَا يَقُولُ لِعُودِهِ ، فَإِنْ هُوَ إِذَا جَاؤُهُ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ رَفَعَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ - وَهُوَ أَعْلَمُ - فَيَقُولُ : لِعَبْدِي عَلَيَّ إِنْ تَوَفَّيْتُهُ أَنْ أَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَإِنْ أَنَا شَفَّيْتُهُ أَنْ أُبَدِّلَهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ ، وَأَنْ أَكْفَرَهُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ » .

## فصل

### في كلام السلف في الصبر

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الصبر ثلاثة : صبرٌ على المصيبة ، وصبرٌ على الطاعة ، وصبرٌ عن المعصية ، فمن صبر على المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها كتب له ثلثمائة درجة ، ومن صبر على الطاعة كتبت له ستمائة درجة ، ومن صبر عن المعصية كتبت له تسعمائة درجة .

(١) ٩٤٠ / ٢ في العين : باب ما جاء في أجر المريض ، وإسناده منقطع ، قال الزرقاني : « شرح الموطأ » : وصله ابن عبد البر من طريق عباد بن كثير المكي ، قال : وليس بالقوي ، وثقه بعضهم وضعفه ابن معين وغيره ، عن زيد عن عطاء عن أبي سعيد الخدري . . . الحديث .

قال الحافظ المنذري ٢٩٥/٤ : ورواه ابن أبي الدنيا وعنده : « فيقول الله عز وجل : إن لعبدي هذا عليّ إن أنا توفّيته أدخلته الجنة ، وإن أنا رفعته أن أبذله لحماً خيراً من لحمه ، ودماً خيراً من دمه ، واغفر له » .

وقال ميمون بن مهران : الصبر صبران : فالصبر على المصيبة حسن ، وأفضل منه الصبر عن المعصية .

وقال الجنيد - وقد سئل عن الصبر ، فقال : هو تجرُّع المرارة من غير تعبس .

وقال الفضيل بن عياض : في قوله تعالى : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد : ٢٤] ثم قال : صبروا على ما أمروا به ، وصبروا عما نهوا عنه ، انتهى كلامه ، فكأنه رحمه الله جعل الصبر عن المعصية داخلاً في قسم المأمور به .

قال الإمام أحمد : حدَّثنا وكيع عن مالك بن مغول ، عن أبي السفر قال : مرض أبو بكر فعادوه . فقالوا : ألا ندعوك الطبيب ؟ فقال : قد رأيي الطبيب ، قالوا : فأئي شيء قال لك ؟ قال : إني فعَّال لما أريد .

قال أحمد : حدَّثنا أبو معاوية ، حدَّثنا الأعمش عن مجاهد ، قال : قال عمر بن الخطاب : وجدنا خير عيشنا بالصبر . وفي رواية : أفضل عيش أدركناه بالصبر ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريماً .

وقال عليُّ بن أبي طالب : ألا إنَّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قطع الرأس بار الجسد ، ثم رفع صوته فقال : ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له .

وقال الحسن : الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده .

وقال عمر بن عبد العزيز : ما أنعم الله على عبده نعمة فانتزعها منه فعاوضها مكانها الصبر إلا كان ما عوّضه خيراً مما انتزعه منه .

وقال بعض العارفين في رقعة<sup>(١)</sup> يخرجها كل وقت فينظر فيها وفيها

---

(١) هكذا بالأصل : « وقال بعض العارفين في رقعة » ، ولعل الصواب والله أعلم : « وكان لبعض العارفين رقعة ... الخ » فتدبر .

مكتوب ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [ الطور : ٤٨ ] .

وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ فَصَبِّرْ جَمِيلٌ ﴾ [ يوسف : ١٨ و ٨٣ ] في غير جزع .

وقال عمرو بن قيس ﴿ فَصَبِّرْ جَمِيلٌ ﴾ قال : الرضا بالمصيبة والتسليم .

وقال حسان ﴿ فَصَبِّرْ جَمِيلٌ ﴾ لا شكوى فيه . وقال همام عن قتادة في قول الله تعالى : ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [ يوسف : ٨٤ ] قال : كظيم على الحزن فلم يقل إلا خيراً . وقال الحسن : الكظيم : الصبور . وقال الضحاك : كظيم الحزن .

وقال عبد الله بن المبارك : أخبرنا عبد الله بن لهيعة ، عن عطاء بن دينار أن سعيد بن جبير ، قال : الصبر اعتراف العبد لله بما أصاب منه ، واحتسابه عند الله .

وقال يونس بن زيد : سألت ربيعة بن أبي عبد الرحمن : ما منتهى الصبر قال : أن يكون يومَ تصيبه المصيبة مثله قبل أن تصيبه .

وقال قيس بن الحجاج في قوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ [ المعارج : ٥ ] قال : أن يكون صاحب المصيبة في القوم لا يُعرف من هو .

وذكر أبو الفرج بن الجوزي في « عيون الحكايات » : قال الأصمعي : خرجت أنا وصديق لي إلى البادية فضللنا الطريق ، فإذا نحن بخيمة عن يمين الطريق فقصدناها فسلمنا ، فإذا امرأة ترد علينا السلام ، قالت : ما أنتم ؟ قلنا : قوم ضالون عن الطريق أتيناكم فأنسنا بكم ، فقالت : يا هؤلاء ولوا وجوهكم عني حتى أقضي من حقكم ما أنتم له أهل ، ففعلنا . فألقت لنا مسحاً . فقالت : اجلسوا عليه إلى أن يأتي ابني . ثم جعلت ترفع طرف الخيمة وتردّها الى أن رفعتها ، فقالت : أسأل الله بركة المقبل ، أما البعير فبعير ابني ، وأما الراكب فليس بابني ، فوقف الراكب عليها . فقال : يا أمّ عقيل ،

أعظم الله أجرك في عقيل، قالت: ويحك مات ابني؟ قال: نعم، قالت: وما سبب موته؟ قال: ازدحمت عليه الإبل فرمت به في البئر، فقالت: انزل فاقض ذمام القوم، ودفعت إليه كبشاً فذبحه وأصلحه وقرب إلينا الطعام، فجعلنا نأكل ونتعجب من صبرها، فلما فرغنا خرجت إلينا وقد تكوّرت، فقالت: يا هؤلاء: هل فيكم من أحدٍ يُحسن من كتاب الله شيئاً؟ قلت: نعم، قالت: اقرأ عليّ من كتاب الله آياتٍ أتعزى بها، قلت يقول الله عزّ وجلّ في كتابه ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]، قالت: الله إنها لفي كتاب الله هكذا؟ قلت: الله إنها لفي كتاب الله هكذا، قالت: السلام عليكم ثم صفت قدميها وصلت ركعات ثم قالت: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ عند الله احتسب عقيلًا. تقول ذلك ثلاثاً، اللهم إني فعلت ما أمرتني به فأنجز لي ما وعدتني.

\* \* \*

## — الباب الثامن عشر —

### في أن الشخص لا يستغني عن الصبر في المصيبة ولا في غيرها

اعلم رحمك الله أن الشخص البالغ العاقل المسلم ما دام في دار التكليف والأقلام جارية عليه ، لا يستغني عن الصبر في حالة من الأحوال ، فإنه بين أمرٍ يجب عليه امتثاله ، والصبر لا بد له منه قولاً وفعلاً ، وبين نهْيٍ يجب عليه اجتنابه وتركه ، والصبر لا بد له منه ، وبين قضاء وقد يجب عليه الصبر فيهما ، وبين نعمة عليه شكر المنعم عليها والصبر عليه ، وإذا كانت هذه الأحوال لا تفارقه فالصبر لازم له الى الممات .

فإن قيل : نعم يجب الصبر عليها ؟

قيل : نعم ، لأنها من الإبتلاء كما قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ [ الفجر : ١٥ ] وقال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ ﴾ [ محمد : ٣١ ] وفي الآية الأخرى : ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ كلاً ﴿ [ الفجر : ١٦ - ١٧ ] أي ليس الأمر كذلك ، وإنما الله تعالى يبتلي عباده بالغنى والفقر ، فينظر من هو المجاهد الشاكر الصابر على ما ابتلاه به كما يبتلي عباده بالمصائب والأسقام تطهيراً لهم من الذنوب والآثام .

## فصل

ويحتاج العبد إلى الصبر في ثلاثة أحوال :

أحدها - قبل الشروع في العبادات بتصحيح النية والإخلاص، وعقد العزم على توفية المأمور به وتجنب دواعي الرياء والسمعة .

والحالة الثانية - الصبر حال العمل ، فيلازم الصبر عند دواعي التقصير فيه والتفريط ويلازم على استصحاب ذكر النية وحضور القلب بين يدي المعبود ، وهو محتاج إلى الصبر في توفية أركانها وشروطها وواجباتها وسننها .

والحالة الثالثة - الصبر بعد الفراغ من العمل فيحذر من الإتيان بما يبطله ، كما قال تعالى : ﴿ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ [ البقرة : ٢٦٤ ] فالصبر على محافظتها بعد الفراغ أنفع ما للعبد . هذا معنى ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية .

وقال العلامة ابن القيم : وكل ما يلقي العبد في هذه الدار لا يخلو من نوعين :

أحدهما - موافق هواه ومراده .

والثاني - يخالفه ، وهو محتاج إلى الصبر في كل منهما .

أما النوع الموافق لغرضه فكالصحة والسلامة والجاه والمال وأنوع الملاذ المباحة . وهو أحوج شيء إلى الصبر فيها من وجوه :

أحدها - ان لا يركن إليها ولا يغتر بها ، ولا يحمله عليه البطر والأشر والفرح المذموم الذي لا يحب الله أهله .

الثاني - أن لا ينهمك في نيلها ولا يبالغ في استقصائها فإنها تنقلب الى أضدادها ، فمن يبالغ في الأكل والشرب والجماع انقلب ذلك ضده وحرم الأكل والشرب والجماع .

الثالث - أن يصبر على أداء حق الله فيها ولا يضعه فيسلبها .

الرابع - أن يصبر عن صرفها في الحرام فلا يمتكّن نفسه من كل ما تريده

منها ، [ فإنها ] توقعه في الحرام ، فاذا احترز أوقعته في المكروه ، ولا يصبر على السراء إلا الصديقون .

قال بعض السلف : البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر ، ولا يصبر على العافية إلا صديق .

وأما النوع الثاني : فأما الطاعة فالعبد يحتاج إلى الصبر عليها لأن النفس بطبعها تنفر عن كثير من العبادات إلا من وفقه الله ، وتبين ذلك بالصلاة طبع النفس فيها الكسل وإيثار الراحة ، والزكاة فطبع النفس فيها الشح والبخل ، وأما الصوم فطبع النفس بمحبة الفطر وعدم الجوع ، وعلى هذا فقس ، فهو محتاج إلى الصبر في جميع ذلك ، والله اعلم .

ومن هذا الباب قول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : ابتلينا بالضراء فصبرنا ، وابتلينا بالسراء فلم نصبر .

## فصل

وإنما كان الصبر على السراء شديد مشق على النفس لأنه مقرون بالقدرة على ما تشتهي النفس وتميل إليه ، لأن الجائع عند عدم الطعام أقدر منه على الصبر عند حضوره ، وكذلك الشبق عند غير المرأة أصبر منه عند حضورها ، وكذلك العطشان الشديد العطش عند عدم الماء أصبر منه عند وجوده .

## فصل

وقد حذر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين في كتابه العزيز من فتنة المال ومن فتنة الأزواج ومن فتنة الأولاد ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [ المنافقون : ٩ ] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [ الأنفال : ٢٨ ] . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ [ التغابن : ١٤ ] وليس المراد من هذه العداوة ما يفهمه كثير من الناس أنها عداوة البغضاء

والمجادلة ، بل عداوة المحبة الصادرة للآباء عن الهجرة والجهاد وتعليم العلم وغير ذلك من أعمال البر ، هذا معنى ما ذكره العلامة ابن القيم .

فالمقصود : أنه من صبر في السراء عن المعصية فقد أمن فتنة المال فإنه قادر على فعل المعصية وبذل المال ، فلهذا كان له الثواب الجزيل ، والفضل العظيم ، وكذلك من صبر على تربية الأولاد وأذى بعض الزوجات كان له الدرجات العاليات ، فانه ليس كل زوجة وولد منهم أذى .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مَنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ فإن ﴿ مِنْ ﴾ هنا للتبعية باتفاق الناس ، والمعنى : إن من الأزواج والأولاد عدوًّا ، ليس المراد أن كل زوج وولد عدو ، فإن هذا ليس هو مدلول اللفظ وهو باطل في نفسه ، فإنه سبحانه وتعالى قد قال عن عباد الرحمن أنهم يقولون : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [الفرقان : ٧٤] . فسألوا الله أن يهب لهم من أزواجهم وأولادهم قرة أعين ، فلو كان كل زوج وولد عدوًّا لم يكن فيهم قرة أعين ، فإن العدو لا يكون قرة عين بل سخنة عين . وأيضاً فإنه من المعلوم أن إسماعيل وإسحاق ابني إبراهيم ويحيى بن زكريا وأمثالهم ليسوا أعداء .

وقول من قال : أنها زائدة غلط لوجوه :

أحدها - أن مذهب سيبويه وجمهور أئمة النحاة : أنها لا تزداد في الإثبات وانما تزداد في النفي تحقيقاً للعموم النفي لقوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٦٢] ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ [المائدة : ٧٣] ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : ٦] ونحو ذلك ، فانه لولا ﴿ مِنْ ﴾ لكان الكلام ظاهراً في العموم ، فإنه يجوز أن يقول ، ما رأيت رجلاً بل رأيت رجلين : فإذا أدخلت « من » فقلت : ما رأيت من رجل ، كان نعتاً في العموم ، فلا يجوز أن يقال : ما رأيت من رجل بل رجلين ، مع أن النكرة في سياق النفي للعموم مطلقاً ، لكن قد يكون نصاً وقد



يكون ظاهراً ، فإذا كانت ظاهراً احتملت نفي الواحد من الجنس ، بخلاف النص ، وهذا الموضع إثبات لا نفي فلا تزداد فيه .

الثاني - أن من جوز زيادتها في الإثبات كالأخفش لا يجوزها إلا إذا كان في الكلام ما يدل عليه ، وإلا فلو قال قائل : إن من هؤلاء القوم مسلمين ، وأراد أن جميعهم مسلمون لم يجوز ذلك بالاتفاق .

الثالث - إذا قيل بزيادتها كان المعنى باطلاً .

الرابع - الزيادة على خلاف الأصل ، فلا يجوز ادعاؤها بغير دليل . انتهى كلامه .

وهذه فائدة عارضة ذكرتها على سبيل التنبيه لوقوع أناس كثير فيها . والمقصود أن العبد لا يستغني عن الصبر في حالة من الأحوال ، ويكفي من فضل الصبر أن الله تعالى وصف نفسه به كما في حديث أبي موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَيْسَ أَحَدٌ - أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ - أَصْبَرَ عَلَى أَذَى سَمِعَهُ ، مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، إِنَّهُمْ يَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا وَإِنَّهُ لِيُعَافِيَهُمْ وَيَرْزُقُهُمْ » رواه البخاري (١) .

قال القرطبي في « تفسيره » : وصف الله تعالى بالصبر إنما هو بمعنى الحلم ومعنى وصفه تعالى بالحلم هو تأخير العقوبة عن المستحقين لها ،

---

(١) رواه البخاري ١٠ / ٤٢٦ في الأدب : باب الصبر على الأذى ، وفي التوحيد : باب قول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرزاق ذو القوة المتين﴾ ومسلم رقم (٢٨٠٤) في صفات المنافقين : باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل ، وأحمد في « المسند » ٤ / ٣٩٥ و ٤٠١ و ٤٠٥ . قوله : « لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله » : قال العلماء : معناه أن الله تعالى واسع الحلم حتى على الكافر الذي ينسب إليه الولد والد .

قال المازري : حقيقة الصبر منع النفس من الانتقال أو غيره ، فالصبر نتيجة الامتناع ، فأطلق اسم الصبر على الامتناع في حق الله تعالى ، لذلك قال القاضي : والصبور من أسماء الله تعالى ، وهو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام ، وهو بمعنى الحليم في أسمائه سبحانه وتعالى . والحليم هو الصفوح مع القدرة على الانتقام .

ووصفه تعالى بالصبر لم يرد في التنزيل ، وإنما ورد في الحديث ، وتأوله أهل السنة على تأويل الحلم قاله ابن فورك . انتهى كلامه . وذكر عند قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [ البقرة : ١٥٣ ] قلت : وقد جاء في أسمائه الحسنی الصبور ، وجاء في أسمائه الحلیم ، فلو كان الصبور بمعنى الحلیم كان الإسمان الشریفان مترادفين ، والأصل في الأسماء التغاير ، والله أعلم .

\* \* \*

## — الباب التاسع عشر —

### في أن الصبر من أشق الأشياء على النفوس

وهذا الباب ينقسم فيه الصبر إلى قسمين :

أحدهما - بحسب قوة الداعي إلى الفعل .

الثاني - بسهولته على العبد .

فإذا اجتمع في الفعل هذان الأمران كان الصبر عنه أشق ، وإن فقدنا معاً - يعني قوة الداعي وسهولته - سهل الصبر عنه ، وإن وجد أحدهما وفقد الآخر سهل الصبر من وجه دون آخر ، فمن لا داعي له إلى قتل النفس والسرقة وشرب الخمر وأكل الحشيشة وأنواع الفواحش ، ولا هو سهل عليه فصبره عنه من أيسر شيء وأسهله ، ومن اشتد داعيه إلى ذلك وسهل عليه فعله فصبره عنه أشق شيء عليه ، ولهذا كان صبر السلطان عن الظلم ، وصبر الشباب عن الفاحشة ، وصبر الغني عن تناول اللذات والشهوات ، منزلتهم عند الله منزلة عظيمة عالية منيعة لا يصل إليها إلا من صبر مثل صبرهم ، وكذلك من صبر على موت أولاده وأبويه وأقاربه وأصحابه ونحوهم ، وهو مع ذلك صابر محتسب يأمر أهله بالصبر ، وينهاهم عن لطم الخدود وشق الجيوب ، وعن كلام ما لا يجوز لهم شرعاً ، فهذا له من الثواب الجزيل والأجر العظيم ما لا يعلمه إلا الله ، فالعبد إذا ذاق لذة المعصية ثم تاب وصبر عنها كانت توبته توبة صادقة .

ولقد بلغني عن من أعرفه أنه تاب عن الخمر وحلف بالطلاق لا يشربه ثم إنه خالغ وشرب . ولقد رأيت جماعة منهم ممن حلف بالطلاق الثلاث

لا يلعب بالشطرنج وتاب منه ، ومع ذلك يعلم أن أكثر العلماء قالوا بتحريمه ، وأنه يصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة ، وأنه يحصل عليه من الحلف الكاذبة والفحش ما هو معروف مشهور ، ومع ذلك منهم من خالعه ولعب ، ومنهم من لعب ووقع عليه الطلاق الثلاث بعد التوبة والحلف . فالصبر المستمر مع القدرة من غير خوف على جاهه أو ماله أو عرضه ، صبرٌ عن المعاصي ، ومواظبته على ما أمره الله تعالى به صبرٌ على الطاعات ، فإذا فعل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى ثوابه أن يوفى أجره بغير حساب .

ولهذا روى الإمام أحمد في « مسنده »<sup>(١)</sup> أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ شَابٍّ لَيْسَتْ لَهُ صَبُوءٌ » . وفي « الصحيح »<sup>(٢)</sup> . من حديث أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ،

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ١٥١/٤ . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٢٧٠/١٠ : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ، وإسناده حسن .  
قوله : « صَبُوءٌ » : أي يبل إلى الهوى ، وهي المرأة منه .

(٢) رواه البخاري ٢ / ١١٩ - ١٢٤ في الجماعة : باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، وفضل المساجد ، وفي الزكاة : باب الصدقة باليمين ، وفي الرقاق : باب البكاء من خشية الله ، وفي المحاربيين : باب فضل ترك الفواحش ، ومسلم رقم (١٠٣١) في الزكاة : باب فضل إخفاء الصدقة ، و« الموطأ » ٢ / ٩٥٢ - ٩٥٣ في السفر : باب ما جاء في المتحايين في الله ، والترمذي رقم (٢٣٩٢) في الزهد : باب ما جاء في حب الله ، والنسائي ٨ / ٢٢٢ - ٢٢٣ في القضاء : باب الإمام العادل ، وأحمد في « المسند » ٢ / ٤٣٩ .

قوله : « في ظله » : أي في كرامته وحمايته ، أو في ظل عرشه ، وأضافه إليه سبحانه تشريفاً .  
قوله : « قلبه معلق في المساجد » : كناية عن حبه لها وحنينه إليها إذا خرج منها حتى يعود إليها .  
قوله : « ففاضت عيناه » : أي فاضت الدموع منها . قال القرطبي : وفيض العين بحسب حال الذكر وما ينكشف له ، فبكاءه خشية من الله تعالى حال أوصاف الجلال وشوقاً إليه سبحانه حال أوصاف الجمال .

فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا أَنْفَقَتْ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » .

ولذلك استحق هؤلاء السبعة أن يظلهم في ظله لكمال صبرهم ومشقته على نفوسهم ، فصبر الملك على العدل مع قدرته على الظلم والانتقام من رعيته ، وصبر الشاب على عبادة الله ومخالفة هواه ، وصبر الرجل على ملازمة المسجد ، وصبر المتصدق على إخفاء الصدقة حتى عن شماله مع قدرته على الرياء ، وصبر المدعو إلى الفاحشة مع جمال الداعي ، وصبر المتحابين في الله في اجتماعهما وانفرادهما ، وصبر الباكي من خشية الله على كتمان ذلك عن الناس ، فهذه الأمور فيها مشقة على النفوس ، فالصبر عليها بتوفيق الله وفضله وإحسانه إلى عبده صبرٌ جميل عظيم .

## فصل

ولما كان الداعي في حق بعض الناس ضعيفٌ ولم يصبروا مع تمكنهم من الصبر ، كان عقوبتهم عند الله تعالى أشدَّ من عقوبة غيرهم ، كالشيخ الزاني ، والملك الكذاب ، والفقر المحتال ، وإنما كانوا أشدَّ عقوبة من غيرهم لسهولة التصبر عن هذه المحرمات عليهم ، ولضعف دواعيها في حقهم ، فكان تركهم الصبر عنها دليلاً على تمردهم على الله تعالى ، وعتوهم عليه ، ولهذا كان الصبر على معاصي اللسان والفرج من أشق أنواع الصبر لشدة الداعي اليهما وسهولتهما ، فإن معاصي اللسان فاكهة الإنسان لسرعة حركته وسهولة اطلاقه .

وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : « وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » <sup>(١)</sup> .

---

(١) قطعة من حديث رواه الترمذي رقم (٢٦١٩) في الإيمان : باب ما جاء في حرمة الصلاة ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٥ / ٢٣١ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٧ و ٢٤٥ و ٢٤٦ ، وابن ماجه رقم (٣٩٧٣) في الفتن : باب كف اللسان في الفتنة ، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح بطرقه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

فيجب لجامه بلجام الشرع ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم :  
« مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » (١) .

فإن اللسان رحب الميدان في الخير والشر ، فمن أطلقه ولم يضبطه بالشرع سلك به الشيطان في المهالك ، وكبّه في النار عند مالك ، فالكمال إمساكه مطلقاً عن فضول الكلام إلا في خير وما لا بدّ منه ، فإن اللسان لا تؤمن غائلته وخطره عظيم ، ولسهولة حركته وسرعة إطلاقه قد بُلي أكثر الناس في زماننا بآفاته التي هي فاكهتهم وسرور مجالسهم : كالغيبة والنميمة والكذب والمراء والجدال والخوض في الباطل ، والخصومات وفضول الكلام والتحريف والزيادة والنقصان ، وتركية النفس تفريحاً وتعريضاً ، وحكاية كلام الناس والطعن على من يبغضه وتركية من يحبه ، وهتك المستورات ونحو ذلك . فيتفق قوة الداعي وسرعة حركة اللسان فيضعف الصبر ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ » ، وقد تقدم الحديث .

---

= ولفظه بتمامه : « كنت مع النبي ﷺ في سفر ، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير ، فقلت : يا رسول الله ! أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار ، قال : لقد سألتني عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير : الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل من جوف الليل ، قال : ثم تلا ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ حتى بلغ ﴿ يعملون ﴾ ، ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده ، وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله ! قال : رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد ، ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا نبي الله ! فأخذ بلسانه ، قال : كُفَّ عليك هذا ، فقلت : يا نبي الله ! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك يا معاذ ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم » .

(١) رواه البخاري ٣٧٣ / ١٠ في الأدب : باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، و ٢٦٥ / ١١ في الرقاق : باب حفظ اللسان ، ومسلم رقم (٤٨) في الإيمان : باب الحث على إكرام الجار والضيف ، وأحمد في « المسند » ٤ / ٣١ و ٦ / ٣٨٤ و ٣٨٥ من حديث أبي شريح الخزاعي . ورواه البخاري ٣٧٣ / ١٠ و ٤٤٢ و ١١ / ٢٦٥ ، ومسلم رقم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فإذا صارت هذه الآفات التي ذكرناها للسان عادة وسجية ، فإنه يشقّ على العبد الصبر عنها إلا من عصمه الله . فأفات اللسان مهلكة ولها حلاوة في القلب ، وعليها بواعث من الطبع ، نسأل الله السلامة منها .

لهذا نجد كثيراً من المتفكّهة وغيرهم ممن ينتسب إلى الورع يتورّع من استناده إلى مخدة من الحرير ، أو من قعوده على بساط حرير ، أو من شربه من قدح زجاج مموه بالذهب أو الجلوس لحظة واحدة في فرح وغيره مع ما فيه من الخلاف ، ولا يتورّع من إطلاق لسانه في الكبائر من الذنوب ، كالغيبة والنميمة والتفكه في أعراض الخلق .

وكذا إذا وقع الكلام في تفسير كلام الله ، أو في مسند رسول الله ، اطلق لسانه فيهما بغير علم مع علمه بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [ الاسراء : ٣٦ ] .

ثم أيضاً ممن يتورّع عن الحبة من الحرام ، بل عن الفلّس المحرم وعن القطرة من الخمر ، ويتحرّز عن مثل رأس الإبرة من النجاسة ، ولا يبالي بارتكاب الفرج المحرم ، سواء كان صبيّاً أو امرأة ، كما يحكى : أن رجلاً خلا بامرأة أجنبية فلما أراد جماعها قال : يا هذه غطي وجهك فإن النظر إلى وجه الأجنبية حرام .

والمقصود أن الصبر عن الأشياء التي اعتادها الإنسان وورد في الشرع بدمها من اشق الأشياء على النفوس ، إلا من وفقه الله لذلك .

## فصل

ومن علامة الصبر وعدم مشقته على النفس عند ورود المصائب وكف الكف عن تمزيق الثياب ولطم الخدود ، وحبس اللسان عن الاعتراض على

المقادير، والتسخط والامتناع من كل شيء يوجب إظهاره حتى إن السلف كرهوا الأنين .

قال الحكماء : العاقل يفعل أول يوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام .

وقد قال عليه الصلاة والسلام للأشعث بن قيس : « إِنَّكَ إِنْ صَبَرْتَ إِيمَانًا وَاجْتِسَابًا وَإِلَّا سَلَوْتَ كَمَا تَسْلُو الْبَهَائِم » (١) .

\* \* \*

---

(١) تقدم قول المصنف رحمه الله تعالى بانه من كلام الأشعث بن قيس رضي الله عنه . ص ٣٩ .  
وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى في « جواب أهل العلم والإيمان » ص (٢٣) من طبعتنا : قال سهل بن عبد الله التستري : أفعال البر يفعلها البر والفاجر ، ولن يصبر عن المعاصي إلا صديق ، ويوسف صلوات الله عليه كان صديقاً نبياً ، وأما من يظلم بغير اختياره ويصبر فهذا كثير ، ومن لم يصبر صبر الكرام سلاسل البهائم . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في « عدة الصابرين » ص ٤٥ : وقال بعض العقلاء . . . . . فذكره . ولم أجده مرفوعاً من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين يدي من المصادر ، والله أعلم .



## — الباب العشرون —

### في الرضا بالمصيبة

اعلم رحمك الله أن الرضا بالمصائب أشقُّ على النفوس من الصبر ، وقد تقدم أن الصبر من أشق الأشياء على النفوس ، وفي « جامع الترمذي » أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : « إذا أَحَبَّ الله قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرُّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ » (١) .

وقد تنازع العلماء والمشايع من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم في الرضا بالقضاء هل هو واجب أو مستحب على قولين ، فعلى الأول يكون من أعمال المقتصدين ، وعلى الثاني يكون من أعمال المقربين ، ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية ، فالعبد قد يصبر على المصيبة ولا يرضى بها ، فالرضا أعلى من مقام الصبر ، لكن الصبر اتفقوا على وجوبه ، والرضا اختلفوا في وجوبه ، والشكر أعلى من مقام الرضا ، فإنه يشهد المصيبة نعمة فيشكر المبلي عليها .

قال عمر بن عبد العزيز : أما الرضا فمنزلة عزيزة أو منيعة ، ولكن قد جعل الله في الصبر مُعَوَّلًا حسنًا .

وقال محمد بن إدريس الشافعي : حَدَّثَنَا زهير بن عباد ، عن السري بن حيان ، قال : قال عبد الواحد بن زيد : الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا وسراج العابدين .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ،

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٩٠) رقم ٣ .

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الصَّيْرُ رَضًا »<sup>(١)</sup> فهذا الحديث فيه بشارة عظيمة لأهل المصائب ، إذا سمى الصبر رضا .

وبإسناده أيضاً إلى أبي مسلم ، قال أبو مسلم : دخلت على أبي الدرداء في اليوم الذي قُبِضَ فيه وكان عندهم في العز كأنفسهم ، فجعل أبو مسلم يكبر ، فقال أبو الدرداء : أجل فهكذا فقولوا : فإن الله إذا قضى بقضاء أحب أن يُرَضَى به .

وذكر ابن أبي الدنيا في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن : ١١] قال علقمة بن أبي وقاص : هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله ويسلم لها ويرضى .

وقال : حدَّثنا الحسين ، حدَّثنا عبد الله ، حدَّثنا علي بن الحسن العامري ، حدَّثنا أبوه بدر ، حدَّثنا عمر بن ذر ، قال : بلغنا أن أم الدرداء كانت تقول : إن الراضين بقضاء الله الذين ما قضى الله لهم رضوا به ، لهم في الجنة منازل يغبطهم بها الشهداء يوم القيامة .

وبهذا الإسناد عن سليمان بن المغيرة ، قال : كان فيما أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ، إنك لن تلقاني بعمل هو أرضى لي عنك ، ولا أحط لوزرك من الرضا بقضائي ، ولن تلقاني بعمل هو أعظم لوزرك ولا أشد لسخطي عليك من البطر ، فإياك يا داود والبطر .

وقال الشافعي : سمعت ابن أبي الحواري يقول : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : أرجو أن أكون رزقت من الرضا طرفاً لو أدخلني النار لكنت بذلك راضياً .

وقال ابن زيد : نظر علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى عدي بن

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «النوادر» وابن عساكر في «التاريخ» ، والدليمي (٣٦٥٩) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، ورمز السيوطي في «جامع الصغير» إلى ضعفه .

حاتم كَثِيباً . فقال : يا عديُّ مالي أراك كَثِيباً حزيناً ؟ قال : وما يمنعني وقد قتل أبنائي وفقت عيني ، فقال : يا عديُّ ، من رضي بقضاء الله كان له أجر ، ومن لم يرض بقضاء الله حبط عمله . ذكره ابن أبي الدنيا .

وقال أبو عبد الله البرائي : من وهب له الرضا فقد بلغ أقصى الدرجات .

فإن قيل : غالب الناس يصبرون ولا يرضون فكيف يتصور الرضى بالمكروه ؟ يقال : إن نفور الطبع عن المصائب لا ينافي رضا القلب بالمقدور ، فإننا نرضى القضاء وإن كرهنا المقتضى .

قيل لبعض الصالحين : قتل ولدك في سبيل الله ! فبكى ف قيل له : أتبكي وقد استشهد ؟ فقال : إنما أبكي كيف كان رضاه عن الله عز وجل حين أخذته السيوف .

وذكر أبو الفرج بن الجوزي بسنده عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال : اللهم لو أعلم أنه أرضى لك أن أوقد ناراً عظيمة فأقع فيها لفعلت ، ولو أعلم انه أرضى لك عني أن ألقي نفسي في الماء فأغرق لفعلت .

وعن مصعب بن ماهان عن سفيان الثوري ، قال : في قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ [ الحج : ٣٤ ] . قال : المطمئنين الراضين بقضائه المستسلمين له .

## فصل

وقد أطنب الناس من السلف والخلف في الرضا ، وبسطوا القول فيه واعتنوا به ، وهذا يدل على علو منزلته .

قال عمرو بن أسلم العابد : سمعت أبا معاوية الأسود يقول : في قوله تعالى ﴿ فَلْنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [ النحل : ٩٧ ] قال : الرضا والقناعة .

وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده رفعه الي النبي صلى الله عليه وسلم .

قال : « جُلَسَاءُ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْخَائِفُونَ الرَّاضُونَ الْمُتَوَاضِعُونَ الشَّاكِرُونَ الذَّاكِرُونَ » .

وبإسناده إلى محمد بن كعب رفعه أنه قال : أي رب ، أيُّ خلقك أعظم ذنباً ؟ قال : الَّذِي يَتَّهَمُنِي ، قال : رب وهل يتهمك أحد ؟ قال : نَعَمْ ، الَّذِي يَسْتَجِيرُنِي وَلَا يَرْضَى بِقَضَائِي .

قال مالك بن أنس : بلغني أن أبا الدرداء دخل على رجل وهو يموت وهو يحمد الله تعالى ، فقال أبو الدرداء : أصبت ، [ إن ] الله تعالى إذا قضى أحبُّ أن يرضى به .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن ابن عون أنه ، قال : ارض بقضاء الله على ما كان [ من ] عسر ويسر ، فإن ذلك أقل لغمك ، وأبلغ فيما تطلب من أمر آخرتك ، واعلم أن العبد لن يصيب حقيقة الرضا حتى يكون رضاه عند الفقر والبلاء ، كرضاه عند الغنى والرخاء ، كيف تستقضي الله في أمرك ثم تتسخط إن رأيت قضاءه مخالفاً لهواك ؟ ولعل ما هويت من ذلك لو وفق لك لكان فيه هلاكك ، وترضى قضاءه إذا وافق هواك وذلك لقلة علمك بالغيب ، وكيف تستقضيه ، إن كنت كذلك ما أنصفت من نفسك ، ولا أصبت باب الرضا .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا أيضاً ، قال : حدّثنا الحسين ، ثنا عبد الله حدّثني المروزي ، قال : قال حفص بن حميد : كنت عند عبد الله بن المبارك بالكوفة حين ماتت امرأته ، فسألته ما الرضا ؟ قال : الرضا أن لا يتمنى خلاف حاله ، فجاء أبو بكر بن عياش فعزى ابن المبارك ، قال حفص ، ولم أعرفه ، فقال عبد الله : سلّه عما كنا فيه فسألته فقال : من لم يتكلم بغير الرضا فهو راضٍ ، قال حفص : وسألت الفضيل بن عياض ، فقال : ذاك للخواص . ثم قال قادم الديلمي العابد : قال : قلت للفضيل بن

عياض : من الراضي عن الله ؟ قال : الذي لا يحب أن يكون على غير منزلته التي جُعل فيها .

وقال أبو عبد الله البرائي : لم يرد الآخرة أرفع درجاتٍ من الراضين عن الله عز وجل على كل حال .

وقال سيار : دخلت على أبي العالية في مرضه الذي مات فيه ، فقال : إن أحبه إليّ أحبه إلى الله عز وجل .

وقال عمرو بن أسلم العابد : سمعت أبا معاوية الأسود يقول : في قوله تعالى : ﴿ فَلْنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [ النحل : ٩٧ ] . قال : الرضا والقناعة .

ذكرهن ابن أبي الدنيا في كتاب الرضا ، ثم ذكر عن مصعب بن ماهان عن سفيان الثوري . قال في قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [ الحج : ٣٤ ] قال : المطمئنين الراضين بقضائه المستسلمين له .

وعن وهب بن منبه ، قال : وجدت في زبور داود عليه السلام : يا داود هل تدري أي الفقراء أفضل ؟ الذين يرضون بحلمي وبقسمي ويحمدوني على ما أنعمت عليهم ، هل تدري يا داود أي المؤمنين أعظم عندي منزلة؟ الذي هو بما أعطي أشد فرحاً بما حبس .

وروى الإمام أحمد في « كتاب الزهد » عن زياد بن أبي حسان أنه شهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه حين دفن ابنه عبد الملك ، استوى قائماً وأحاط به الناس ، فقال : والله يا بني لقد كنت باراً بأبيك ، والله ما زلت منذ وهبك الله لي مسروراً بك ، ولا والله ما كنت قط أشد سروراً ولا أرجى لحظي من الله فيك منذ وضعك في [هذا] المنزل الذي صيرك إليه ، فرحمك الله وغفر لك ذنبك ، وجزاك بأحسن عملك ، ورحم كل شافعٍ يشفع لك بخير شاهد وغائب ، رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمره ، والحمد لله رب العالمين - ثم انصرف .

وقال سفيان الثوري : قال عمر بن عبد العزيز لابنه ، : كيف تجدك ؟  
قال : في الموت ، قال : لأن تكون في ميزاني أحب إليّ من أن اكون في  
ميزانك ، فقال : والله يا أبة لأن يكون ما تحب أحب الي من أن يكون ما  
أحب .

وروى الإمام أحمد في « الزهد » بإسناده عن الحسن . قال : حدّثني  
الأحوص ، قال : دخلنا على ابن مسعود رضي الله عنه وعنده بنون له ثلاثة  
كأنهم الدنانير حسناً ، فجعلنا نتعجب من حسنهم ، فقال لنا : كأنكم  
تغبطونني بهم ! قلنا : إي والله لمثل هؤلاء يُغبط المسلم ، فرفع رأسه الى  
سقف بيت له صغير قد عشش فيه خطاف وباض ، فقال : والذي نفسي بيده  
لأن أكون نقضت يدي عن تراب قبورهم أحب الي من أن يسقط عش هذا  
الخطاف وينكسر بيضه .

وبإسناده عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال يوم مات أبو بكر  
الصدّيق رضي الله عنه : رضينا عن الله قضاءه ، وسلّمنا له أمره ، إنا لله وإنا  
إليه راجعون .

## فصل

قد تقدّم ما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل المصيبة وما نهى  
عنه ، ومما سنه الخشوع والبكاء الذي لا صوت معه ، وحزن القلب وكان  
يفعل ذلك ويقول : « تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي  
الرَّبَّ » وكذلك الحمد والاسترجاع . وقد تقدّم (١) .

ومن سنته الرضا عن الله في المصيبة وغيرها ، ولم يكن ذلك منافياً  
لدمع العين وحزن القلب .

وأشد الناس حرصاً على رضی مولاہم الأنبياء ؛ فقد روى ابن أبي  
الدنيا بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) تقدم تخرجه ص (٥٤) رقم (٣) .

قال : « إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ يُضَاعَفُ عَلَيْنَا الْبَلَاءُ تَضْعِيفًا » قال : فقلنا : سبحان الله . قال : « أَفَعَجِبْتُمْ ، إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ » . قلنا : سبحان الله ، قال : « أَفَعَجِبْتُمْ ، إِنْ كَانَ النَّبِيُّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَيَتَدَرَّعُ الْعِبَادَةَ مِنَ الْحَاجَةِ لَا يَجِدُ غَيْرَهَا » ، قلنا : سبحان الله ، قال : « أَفَعَجِبْتُمْ ، إِنْ كَانُوا لَيَفْرَحُونَ بِالْبَلَاءِ كَمَا تَفْرَحُونَ بِالرَّخَاءِ »<sup>(١)</sup> .

ولهذا كان أرضاهم وأرضى الخلق عن الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في قضائه وقدره، وأعظمهم له حمداً ، ولم يمكنني أحصر ما وقع له في ذلك لكثرته وشهرته ، ومع ذلك بكى يوم مات ابنه إبراهيم عليه السلام رافة ورحمة منه للولد ورقة عليه ، وقلبه صلى الله عليه وسلم ممتلىء بالرضا عن الله تعالى وشكره له ، واللسان مشغول بحمده وذكره .

ولما ضاق هذا المشهد والجمع بين الأمرين - يعني رحمة الولد والرقعة عليه والرضا عن الله تعالى - على أن بعض العارفين من السلف يوم مات ولده جعل يضحك ، فقليل له : تضحك في مثل هذه الحال ؟ فقال : إن الله تعالى قضى بقضاء فأحببت أن أرضى بقضائه .

فأشكل هذا على جماعة من العلماء وأرباب الأحوال والتصوف وقالوا : كيف يبكي رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم يوم مات ولده وهو أرضى الخلق عن الله ، ويبلغ الرضا بهذا العارف إلى أن ضحك يوم مات ولده ؟

---

(١) يشهد له الحديث الصحيح الذي رواه الدارمي رقم (٢٧٨٦) في الرقاق : باب في أشد الناس بلاءً ، وأحمد في « المسند » ١٧٢/١ والترمذي رقم (٢٤٠٠) في الزهد : باب ما جاء في الصبر على البلاء ، وابن ماجه رقم (٤٠٢٣) في الفتن : باب الصبر على البلاء ، من حديث سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه ، ولفظه : سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس أشد بلاءً ، قال : « الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، يتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة زيد صلابة ، وإن كان في دينه رقة خفف عنه ، ولا يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض ما له خطيئة » وسيرد ص (٢٣٣) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : هدي نبينا صلى الله عليه وسلم أكمل من هدي هذا العارف ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم أعطى العبودية حقها ، فاتسع قلبه للرضا عن الله ورحمة الولد والرقعة عليه ، فحمد الله ورضي عنه في قضائه ، وبكى رحمة ورقة ، فحملته الرحمة على البكاء وعبوديته لله ومحبة له على الرضا والحمد ، وهذا العارف ضاق قلبه عن اجتماع الأمرين ، ولم يتسع باطنه لشهودهما والقيام بهما ، فشغلته عبودية الرضا عن عبودية الرحمة والرقعة ، والله تعالى أعلم . انتهى .

قلت : ومما يؤيد ما ذكره الشيخ رحمه الله قصة نبي الله يعقوب إسرائيل عليه السلام ، إذ حكى الله تعالى عنه أنه ابيضت عيناه من الحزن . وقال : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [ يوسف : ١٨ و ٣٨ ] ﴿ وَإِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [ يوسف : ٨٦ ] فمشهده أوسع من مشهد هذا العارف ، بل نبي الله يعقوب أبلغ من هذا العارف فإن يعقوب كان له عدة من الولد ومع هذا فهذه الرقة والرحمة التي عنده مع الرضا الكامل ، واستعمل الرضا والتفويض في قوله : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ واستعمل الرقة والرحمة عند ﴿ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ ﴾ [ يوسف : ٨٤ ] فطريقة يعقوب عليه السلام أفضل من طريقة هذا العارف ، مع كثرة أولاد يعقوب ، وهذه رحمته ورقته ، وأما هذا العارف على ما قيل لم يكن له ولد سواه .

وروى الإمام أحمد في « كتاب الزهد » بإسناده عن ثابت البناني : أن صلة بن أشيم كان في مغزى له ومعه ابنه ، فقال له : أي بني تقدم فقاتل حتى أحتسبك ؛ فجاء فقاتل حتى قتل ، ثم تقدم أبوه فقتل ، فاجتمعت النساء عند أمه معاذة العدوية ، فقالت : مرحباً ، إن كنتن جئتن لتهنئني مرحباً بكن ، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن .

وذكر أبو الفرج بن الجوزي : قال أبو جحيفة : إنا لمتوجهون إلى همدان ومعنا رجل من الأزد فجعل يبكي ، فقلت : أجزع هذا ؟ قال : لا ،



ولكن تركت ابني في الرحل فلوددت أنه كان معي فدخلنا الجنة جميعاً .

## فصل

الرضا من أعمال القلوب، لكن وإن كان من أعمال القلوب فكماله هو الحمد حتى إن بعضهم فسر الحمد بالرضا : ولهذا جاء في الكتاب والسنة حمد الله على كل حال ، وذلك يتضمن الرضا بقضائه .

وفي الحديث : « أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى إِلَى الْجَنَّةِ الْحَمَّادُونَ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ » (١) .

وفي الحديث مرفوعاً ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه أمر يسره ، قال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ » وإذا أتاه أمر يُسُوِّهُ قال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ » (٢) .

وقد تقدّم في « مسند الإمام أحمد » من حديث أبي موسى الأشعري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : « إِذَا قَبِضَ اللَّهُ وَلَدَ الْعَبْدِ يَقُولُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَقْبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ . فَيَقُولُ : مَاذَا قَالَ ؟ فَيَقُولُونَ : حَمْدَكَ وَاسْتَرْجَعَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ » (٣) .

---

(١) قال المناوي في « فيض القدير » ٩٢ / ٣ : رواه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » و« الصغير » والحاكم في « الدعاء » وأبو نعيم كلهم عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال الحاكم على شرط مسلم ، وأقره الذهبي ، وقال الحافظ العراقي بعدما عزاه للطبراني وأبو نعيم والبيهقي : فيه قيس بن الربيع ضعفه الجمهور ، وقال الهيثمي : في أحد أسانيد الطبراني قيس بن الربيع وثقه شعبة وضعفه القطان وغيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح . وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٢١٤٦) : ضعيف .

(٢) رواه بمعناه ابن ماجه رقم (٣٨٠٣)، وزاد في آخره : « رب أعوذ بك من حال أهل النار » ورواه ابن السني (٣٧٨)، والحاكم، ١ / ٤٩٩، وهو حديث حسن . « الأحاديث الصحيحة » (٢٦٥) .

(٣) تقدم تخريجه ص (١٨) .

ومحمد نبينا صلى الله عليه وسلم هو صاحب لواء الحمد ، وأمته هم الحمادون الذي يحمدون الله على السراء والضراء ، والرضا ، والحمد على الرضا له مشهدان :

أحدهما - علم العبد بأن الله سبحانه مستوجب لذلك مستحق له لنفسه ، أحسن كل شيء خلقه وأتقن كل شيء وهو العليم الحكيم .

الثاني - أن يعلم أن اختيار الله لعبده المؤمن خير من اختياره لنفسه ، كما روى مسلم في « صحيحه »<sup>(١)</sup> عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقْضِي اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ : إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » فأخبر صلى الله عليه وسلم أن كل قضاء يقضيه الله للمؤمن الذي يصبر على البلاء ويشكر على الرخاء فهو خير له ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم : ٥] .

فمن لا يصبر على البلاء ولا يشكر على الرخاء ، فلا يلزم أن يكون القضاء خيراً له ، ولهذا أجيب من أورد على هذا بما يقضى على المؤمن من المعاصي بجوابين :

أحدهما : أن هذا إنما يتناول ما أصاب العبد لا ما يفعله ، كما في قوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ [النساء : ٧٩] . وكقوله تعالى أيضاً : ﴿ وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الاعراف : ١٦٨] أي بالسراء والضراء .

---

(١) الذي في « صحيح مسلم » بلفظ « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته ... » الحديث رواه مسلم رقم (٢٩٩٩) في الزهد والرقائق : باب المؤمن أمر كله خير ، وأحمد في « المسند » ٣٣٢/٤ و٣٣٣ و١٥/٦ و١٦ من حديث صهيب رضي الله عنه . وتقدم ص ١٨٧ .

الثاني - أنَّ هذا في حق المؤمن الصابر الشاكر ، والذنوب تنقص الإيمان فإذا تاب العبد أحبه الله ، وقد ترتفع درجته بالتوبة .

قال بعض السلف : كان داود عليه السلام يعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة ، فمن قضي له بالتوبة كان كما قال سعيد بن جبير : إنَّ العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار ، وإن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة ، وذلك أنه يعمل الحسنة فتكون نصب عينيه ويعجب بها ، ويعمل السيئة فتكون نصب عينيه فيستغفر الله ويتوب إليه منها .

وثبت في « الصحيح » أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ »<sup>(١)</sup> .

والمؤمن إذا فعل سيئة فإنَّ عقوبتها تندفع بعشرة أسباب :

أحدها - أن يتوب توبة نصوحاً ليتوب الله عليه ؛ فإنَّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له .

الثاني - أن يستغفر الله فيغفر الله تعالى له .

الثالث - أن يعمل حسنات يمحوها لقلوبه : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ .

الرابع - أن يدعوه لإخوانه المؤمنون ويشفعون له حياً وميتاً .

الخامس - أن يهدي له إخوانه المؤمنون من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به .

السادس - أن يشفع فيه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

السابع - أن يتبليه الله في الدنيا بمصائب في نفسه وماله وأولاده وأقاربه

---

(١) رواه البخاري ٤٣٦/١١ في القدر : باب العمل بالخواتيم من حديث سهل بن سعد الساعدي .

ورواه أحمد عن جابر رضي الله عنه ، وابن حبان عن عائشة ومعاوية رضي الله عنهما .

ومن يحب ونحو ذلك .

الثامن - أن يتليه في البرزخ بالفتنة والضغطة ، وهي عصر القبر ، فيكفر بها عنه .

التاسع - أن يتليه الله في عرصات القيامة من أهوالها بما يكفر عنه .  
العاشر - أن يرحمه أرحم الراحمين .

فمن أخطأته هذه العشرة فلا يلومنّ إلا نفسه ، كما قال تعالى في الأحاديث الإلهيات : « إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ [ ثُمَّ أُوفِّيْكُمْ إِيَّاهَا ] ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمِدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ »<sup>(١)</sup> ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية .

والمقصود أن المؤمن إذا كان يعلم أن القضاء خير له ، فيرضى عن الله بما قسم له ، كان قد رضي بما هو خير له .

وفي الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : « إِنَّ اللَّهَ يَقْضِي بِالْقَضَاءِ ؛ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ » .

\* \* \*

---

(١) قطعة من حديث رواه مسلم رقم (٢٥٧٧) في البر والصلة : باب تحريم الظلم ، والترمذي رقم (٢٤٩٧) في صفة القيامة وباب رقم (٤٩) وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الاسلام ، قد اشتمل على قواعد عظيمة في أصول الدين ، وهو من الأحاديث التي عليها مدار الاسلام ، وقد شرحه العلماء وأفردوه بالتأليف . وكان أبو ادريس الخولاني إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه ، وقال أحمد بن حنبل : ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث .

## الباب الحادي والعشرون

### في ما يتصرح في الصبر والرضا ونياهما

قد تقدم أن الصبر اعتراف العبد لله بما أصابه منه واحتسابه عند الله ، وأنه حبس النفس عما لا يحسن فعله ولا يجمّل ، وحبس اللسان عما لا يحسن قوله ؛ فإذا كان معنى هذه المقالة أن الصبر حبس اللسان عن الشكوى إلى غير الله ، والقلب عن التسخط ، والجوارح عن لطم الخدود ، وخمش الوجوه ، وشق الثياب ، ونحو ذلك ، وأن العبد يرضى عن الله فيما يفعله به مما يحب وقوعه ، ومما يكره وقوعه ؛ فإذا وقع من العبد عكس ما ذكرته كان متلبساً بالنقائص والردائل ، فمن شك ما به إلى مخلوق مثله كان قد شكاً ربه إلى بعض مخلوقاته ، فمثله كمثل من شكاً من يرحمه ويلطف به ويعافيه ويبيده ضرّه ونفعه ، إلى من لا يرحمه وليس بيده نفعاً ولا ضرّاً . فهذا من عدم المعرفة وضعف الإيمان شكاية الضار النافع الذي بيده أزمة الأمور ، إلى من لا يضر ولا ينفع .

قال شقيق البلخي : من شكاً مصيبة نزلت به إلى غير الله لم يجد في قلبه لطاعة الله حلاوة أبداً .

وأما إخبار المخلوق بحاله لا على وجه الشكوى ، فإن كان للاستعانة بأن يرشده أو يعاونه أو يوصله إلى زوال ضره بما ينفعه مما هو أخبر منه به كالحجام يحجمه ويقلع ضرسه ، أو رجل صالح يدعوله ؛ فهذه الأمور على هذا الوجه لم تقدح في صبره : لأنّ هذا كإخبار المريض الطبيب بحاله ؛ وإخبار المبتلى في جسده ببلائه لمن يرجو أن يكون فرجه على يديه ، وكذلك إخبار المظلوم لمن ينتصر به ، وإخبار المبتلى في دينه لمن هو مسترشد

الهداية لبيّن له طريق الهداية إن وفق لها .

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل على المريض سأله عن حاله ، ويقول : « كيف تجدك » ؟ وهو استخبار منه واستعلام بحاله .

وأما الأنين فهل يقدر في الصبر ؟ فيه روايتان عن الإمام أحمد ، قال القاضي أبو الحسين : أصح الروايتين الكراهة لما روي عن طاووس أنه كان يكره الأنين في المرض .

وقال مجاهد : يكتب على ابن آدم مما سطر به حتى أنينه في مرضه . انتهى .

وقال جماعة من العلماء : الأنين شكوى بلسان الحال فينا في الصبر .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : قال لي أبي في مرضه الذي توفي فيه : أخرج إليّ كتاب عبد الله بن إدريس ، فأخرجت الكتاب . فقال : أخرج أحاديث ليث بن أبي سليم ، فأخرجت أحاديث ليث بن أبي سليم فقال : اقرأ عليّ أحاديث الليث قال : قلت لطلحة : إن طاووساً كان يكره الأنين في المرض فما سمع له أنين حتى مات ، فما سمعت أبي أن في مرضه ذلك إلى أن توفي .

والرواية الثانية أنه لا يكره ولا يقدر في الصبر ، بل قد يقدر في الرضا .

قال بكر بن محمد عن أبيه : سئل الإمام أحمد عن المريض يشكو ما يجد من الوجع ! فقال : يعرف فيه شيئاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، حديث عائشة ، وأراساه . وجعل يستحسنه .

وقال المروزي : دخلت على أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، وهو مريض فسألته ، فتغرّرت عينه وجعل يخبرني ما مرّ به في ليلته من العلة .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : اعلم أن الأنين على قسمين ، أنين شكوى فيكره ، وأنين استراحة وتفريح فلا يكره ، والله أعلم .

## فصل

ومما ينافي الصبر والرضا ما يفعله أكثر الناس في زماننا عند المصيبة من شق ثيابهم ، ولطم خدودهم ، وخمش وجوههم ، ونتف شعورهم ، والتصفيق بإحدى اليدين على الأخرى ، ورفع أصواتهم عند المصيبة .

ولقد حضرت عند شخص حين فارق الدنيا وهو من الجند ، فحين خرجت روحه أتوا بجعبة شاب فكسروها بمجموعها واحدة بعد واحدة عليه ، وأتوا أيضاً بعدة الحرب فرموها عليه ، وأنا مع ذلك أعظمهم وأقول لهم : هذا حرام نهى الله ورسوله عن ذلك ، وهذا فيه إضاعة مال ، فقال بعضهم لي : لم يصبك ما أصابنا ، فخرجت عنهم ، ثم إنهم بعد ذلك ندموا على ما فعلوا من إتلاف ما أتلفوه .

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى »<sup>(١)</sup> لأن في تلك الحالة هيجان الحزن واستغراق الذهن ، وذهول العقل بما دهمه ، وتمكن الشيطان منه فإن الشيطان لعنه الله دائماً يتمكن من بني آدم عند ذهول عقلهم : إما بسكر كما وقع في قصة هاروت وماروت ، وهي مشهورة حين دعتهما المرأة إلى قتل الولد ، أو السجود للصنم ، أو شرب القدح من الخمر مراراً وأنهما شربا القدح من المسكر فلما شربا سكرًا ؛ فأتيا كل ما أمرتهما به . وكذلك ذهول العقل عند العشق ، وعند الولاية ، وعند كثرة المال ، وعند المصيبة ؛ فكل هذه الأمور العارضة للعبد في الغالب يحصل له بها ذهول العقل ، فيتمكن الشيطان بها منه .

نسأل الله العافية ودوام العافية ، والثبات في الأمر ، والعزيمة على

---

(١) تقدم تخريجه ص (٣٩) رقم (٢) .

الرشد ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسأل الله في دعائه : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّباتَ فِي الْأَمْرِ »<sup>(١)</sup> الدعاء المشهور . وكان يقول : « اللَّهُمَّ يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ »<sup>(٢)</sup> فالثبات في الأمور مطلوب شرعاً ، كما أن العبد نهى عن الأمور المذمومة من اللجاج والطيش ، والعجلة والحدة ، وافتقاد الحزن ، وغير ذلك من الأمور المذمومة التي لا أحصيها عدداً . ويحاً لمن يقدم على الله تعالى مع هذه الأمور المذمومة التي نهى الشرع عنها ، غير تائب منها ، معتمداً على صومه وصلاته وحجه وعبادته ، وهو مع ذلك فرح مستبشر كأنه قد جاز الصراط وأعطي البراءة وجاءه البشير من الله تعالى بالفوز والخلاص ، ويحاً لمن يغتر بأعماله الظاهرة وباطنه مثل المزابل ، نسأل الله تعالى حسن التوفيق .

## فصل

وأما البكاء والحزن من غير صوتٍ ولا كلامٍ محرمٍ ؛ فهو لا ينافي الصبر والرضا ؛ وقد تقدم لنا قريباً من ذلك . قال تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام : ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف : ٨٤] . قال قتادة : كظيم على الحزن ، فلم يقل إلا خيراً . مع قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [يوسف : ٨٦] وقوله تعالى عنه في أول السورة ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف : ١٨ و ٨٣] وقد جاء في أثر مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ بَثَّ لَمْ يَصْبِرْ » لكن يعقوب عليه السلام ابيضت عيناه من البكاء ولم يناف حزنه وبكاؤه صبره ؛ فإنه عليه السلام ما شكاه بته وحزنه إلى مخلوق ، وإنما شكاه إلى الله .

(١) تقدم تخريجه ص (٣٩) رقم (١) .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢١٤١) في القدر : باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن ، من حديث أنس رضي الله عنه وإسناده حسن ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، قال : وفي الباب عن النّوّاس بن سميّان وأم سلمة ، وعائشة ، وأبي ذر .



وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : « مَا كَانَ مِنَ الْعَيْنِ وَمِنَ الْقَلْبِ فَمِنَ اللَّهِ وَالرَّحْمَةِ ، وَمَا كَانَ مِنَ الْيَدِ وَاللِّسَانِ فَمِنَ الشَّيْطَانِ » (١) .

قال خالد بن أبي عثمان : مات ابن لي ، فرآني سعيد بن جبير مقنعاً ، فقال لي : إياك والتقنع فإنه من الاستكانة .

وقال بكر بن عبد الله المزني : كان يقال من الاستكانة الجلوس في البيت بعد المصيبة .

وقال عبيد بن عمير : ليس الجزع أن تدمع العين ويحزن القلب ، ولكن الجزع القول السيء ؛ والظن السيء .

ومات ابن لبعض قضاة البصرة فاجتمع إليه العلماء والفقهاء ، فتذاكروا ما يتبين به جزع الرجل من صبره ؛ فأجمعوا أنه إذا ترك شيئاً مما كان يصنعه فقد جزع .

وقال ابن عبد العزيز : مات ابن ليس نفيس ، فقلت لأمه : اتق الله واحتسبيه عند الله واصبري ، فقالت : مصيبتني به أعظم من أن أفسدها بالجزع .

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله : أتى رجل يزيد بن يزيد وهو يصلي وابنه في الموت ، فقال : ابنك يَقْضِي وَأَنْتَ تَصْلِي ، فقال : إن الرجل إذا كان له عمل يعمل فتركه يوماً واحداً كان ذلك خلافاً في عمله .

وقال ثابت : أصيب عبد الله بن مطرف بمصيبة فرأيته أحسن شيء شارة وأطيبه .

---

(١) تقدم تخريجه ص (٥٣) رقم (٣) .

## فصل

ولا بد أن يعلم المصاب أن الذي ابتلاه بمصيبته أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين ، وأنه سبحانه لم يرسل البلاء ليهلكه به ولا ليعذبه ، ولا ليجتاحه ، وإنما افتقده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه ، وليسمع تضرّعه وابتهاله وليراه طريحاً على بابه لائذاً بجناحه مكسور القلب بين يديه رافعاً قصص الشكوى إليه .

قال الشيخ الإمام العالم العارف المكاشف عبد القادر الكيلاني رحمة الله عليه لابنه : يا بني إن المصيبة ما جاءت لتهلكك ، وإنما جاءت لتمتحن صبرك وإيمانك ، يا بني ، القدر سبع ، والسبع لا يأكل الميتة . انتهى كلامه .

والمقصود أن المصيبة كير العبد الذي يسبك بها حاصله ، فإما أن يخرج ذهباً أحمر ، وإما أن يخرج خبثاً كله ، كما قيل :

سبكناه ونَحَسَبُهُ لُجَيْنًا فأبدى الكيرُ عن خَبَثِ الحَديدِ

فإن لم ينفعه هذا الكير في الدنيا ، فبين يديه الكير الأعظم ؛ فإذا علم العبد أن إدخاله كير الدنيا ومسبكها خير له من ذلك الكير والمسبك ، وأنه لا بد من أحد الكيرين ؛ فليعلم قدر نعمة الله عليه في الكير العاجل ، فالعبد إذا امتحنه الله بمصيبة فصبر عند الصدمة الأولى ، كما ورد في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة عند قبر وهي تبكي فقال لها : « اتَّقِ اللَّهَ وَاصْبِرِي » فقالت : إليك عني ، فإنك لم تصب بمصيبتي - ولم تعرفه - فقيل لها : إنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين ، فقالت : لم أعرفك يا رسول الله ! قال : « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى » رواه البخاري . ولفظ مسلم : أتى على امرأة تبكي على صبي لها ، فقال لها : « اتَّقِ اللَّهَ

وَأَصْبِرِي» فقالت : وما تبالي بمصيبتي فلما ذهب قيل لها : إنه رسول الله فأخذها مثلُ الموت ، فأُتت بابه فلم تجد على بابه بوابين . . . وذكر تمام الحديث (١) .

## فصل

ومما يقدح في الصبر والرضا وينافيهما : إظهار المصيبة والتحدث بها وإشاعتها ، سواء كان كلام بها بين الأصحاب أو غيرهم ، اللهم إلا أن يقول لأصحابه أو لأقاربه : مات فلان ، يعني والده أو ولده ، ونحو ذلك ، وما يريد به إظهار المصيبة ؛ وإنما يريد إعلامهم لأجل الصلاة عليه وتشيعه ونحو ذلك مما هو من فروض الكفايات ، ويحصل لهم بذلك القراريط من الأجر ، وقد تقدم أن الإعلام بالميت هل هو نعي أم لا ، والمقصود أنَّ كتمان المصيبة رأس الصبر .

قال الحسن بن الصباح في «مسنده» : حدثنا خلف بن تميم ، حدثنا زفر بن سليمان ، عن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مِنْ الْبِرِّ كِتْمَانُ الْمَصَائِبِ وَالْأَمْرَاضِ وَالصَّدَقَةِ » وذكر أنه من بثَّ لم يصبر (٢) .

وروي من وجه آخر من حديث أنس رضي الله عنه رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « مِنْ كُنُوزِ الْبِرِّ كِتْمَانُ الْمَصَائِبِ ، وَمَا صَبَرَ مَنْ بَثَّ » .

ولما نزل في إحدى عيني عطاء الماء مكث عشرين سنة لا يعلم به أهله

---

(١) تقدم تخريجه ص (٣٩) رقم (٢) .

(٢) البيهقي في «الشعب» (١٠٠٤٧) قال الشوكاني في «الفوائد المجموعة» رقم (٨١٧) : في إسناده من ليس بشيء . وقد تقدم في أول الكتاب ص ٢٤ بأنه من كلام عبد العزيز بن أبي رواد .

حتى جاء ابنه يوماً من قَبْل عينه التي أصيب فيها فلم يشعر به ، فعلم أن الشيخ قد أصيب .

ودخل رجل على داود الطائي في فراشه ، فرآه يزحف فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال : مه ، لا تُعلم بهذا أحداً . وقد أقعد قبل ذلك بأربعة أشهر لم يعلم بذلك أحد .

وشكا الأحنف إلى عمه وجع ضرسه فكرر ذلك عليه . فقال : ما تكرر عليّ لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة فما شكوتها إلى أحد .

ومن المنافاة للصبر والرضا : الهلع عند ورود المصيبة ، وهو الجزع ، فقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً \* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً \* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ﴾ [ المgarj : ١٩ - ٢١ ] قال الجوهرى : الهلع : أفحش الجزع ، وقد هلع بالكسر فهو هلعٌ وهلوعٌ .

وفي الحديث : « شَرُّ مَا فِي الْعَبْدِ شُحُّ هَالِعٍ وَجُبْنُ خَالِعٍ »<sup>(١)</sup> .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : هنا في هذا الحديث أمران : أمرٌ لفظيٌّ وأمرٌ معنويٌّ ؛

فأما اللفظي فإنه وصف الشح بكونه هالِعاً ، والهالع صاحبه ، وأكثر ما

---

(١) رواه أبو داود رقم (٢٥١١) في الجهاد : باب في الجرأة والجبين ، وأحمد في « المسند » ٣٠٢/٢ و ٣٢٠ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، وجود اسناده الحافظ العراقي والألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (٥٦٠) .

قال الخطابي : أصل « الهلع » : الجزع ، والهالع هنا ذو الهلع ، كقول النابغة: كليني لهم يا أميمة ناصب ، أي ذو نصب ويقال : إن الشح أشد من البخل ، ومعناه : البخل الذي يمنعه من إخراج الحق الواجب عليه ، فإذا استخرج منه هلع وجزع منه . و« الجبن الخالع » : هو الشديد الذي يخلع فؤاده من شدته . اهـ .

يسمى هلوفاً ، ولا يقال : هالع له ؛ فإنه لا يتعدى وفيه وجهان :  
أحدهما - أنه على النسب ، كقولهم : ليلٌ نائم ، وشرٌّ قائم ، ونهارٌ  
صائم ويومٌ عاصف كله عند سيبويه على النسب أي ذو كذا .  
والثاني - أن اللفظة غيّرت عن بابها للازدواج مع خالع ، وله نظائر .

وأما المعنوي ، فإن الشح والجبن أوردى صفتين في العبد ، ولا سيما إذا  
كان شحّه هالفاً ، أي ملولة في الهلع ، وجبنه خالفاً ، أي قد خلع قلبه من  
مكانه ، فلا سماحة ولا شجاعة ، كما يقال : لا يطرد ولا يثرد ، انتهى  
كلامه .

وروى سعيد بن منصور في « سننه » : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن  
سليمان بن سليم ، عن يحيى بن جابر ، أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه  
وسلم ، فقال ما يحبط الأجر في المصيبة ؟ قال : « تَصْفِيْقُ الرَّجُلِ بِيَمِينِهِ عَلَى  
شِمَالِهِ » <sup>(١)</sup> « وَالصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى » « فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى وَمَنْ سَخِطَ  
فَعَلَيْهِ السَّخَطُ » .

وذكر بإسناده أيضاً رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إِنَّ  
الْقَوْمَ لَيَصَابُونَ بِالمُصِيبَةِ فَيَجْزَعُونَ وَيَهْلَعُونَ ، فَمَا يَكُونُ لَهُمْ مِنْ أَجْرِهَا  
شَيْءٌ ، فَيَمُرُّ بِهِمُ الرَّجُلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَسْتَرْجِعُ ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ أَجْرُ  
مَا أَعْطَاهُمْ مِنْ تِلْكَ المُصِيبَةِ » .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني أحمد بن عبد الأعلى ، حدثني شيخ من  
آل ميمون بن مهران أن الحجاج أصيب بآبن له فاشتد جزعه عليه ، فدخل  
فغير ثيابه ومس شيئاً من طيب ، وجلس وأذن للناس فلم يتكلموا ، فقال :  
حسبي ثواب الله من كل نكبة ، وحسبي بقاء الله من كل هالك ، تحدّثوا .

(١) وهو حديث مرسل .

## فصل

والله تبارك وتعالى يبتلي عبده ليسمع شكواه وتضرعه ودعائه وصبره ورضاه بما قضاه عليه ؛ فهو سبحانه وتعالى يرى عباده إذا نزل بهم ما يختبرهم به من المصائب وغيرها ، ويعلم خائنة أعينهم وما تخفي صدورهم ، فيثيب كلَّ عبد على قصده ونيته ، وقد ذمَّ الله تعالى من لم يتضرع إليه ولم يستكن له وقت البلاء ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكُنُوا لِربِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [ المؤمنون : ٧٦ ] .

والعبد أضعف من أن يتجلد على ربه ولا يشكو إليه حاله ، فإنه إذا كان سادات الخلائق وهم الأنبياء المعصومون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، قد أثنى الله تعالى عليهم حيث شكوا ما بهم إلى الله تعالى . فقال تعالى عن بعضهم : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [ الأنبياء : ٨٧ ] . وأثنى على أيوب بقوله : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [ الأنبياء : ٨٣ ] . وعلى يعقوب : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [ يوسف : ٨٦ ] . وعلى موسى بقوله : ﴿ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [ القصص : ٢٤ ] . وقد شكا إليه خاتم أنبيائه ورسله بقوله : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعِفِينَ » الحديث المشهور في دعاء الطائف<sup>(١)</sup> ،

---

(١) رواه الطبراني من حديث عبد الله بن جعفر، كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣٥/٦ ، ورجاله ثقات إلا أن فيه تدليس ابن اسحاق ولفظه : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ! أنت أرحم الراحمين ، وأنت رب المستضعفين ، إلى من تكلني إلى عدو بعيد يتجهمني ، أم إلى صديق قريب ملكته أمري ، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، غير أن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أضاءت له =

وهو دعاء عظيم ؛ فالشكوى إلى الله تعالى لا تنافي الصبر ولا الرضا ، بل إعراض العبد عن الشكوى إلى غيره من جهله بخالفه وعدم رضاه وصبره بما ابتلاه الله تعالى به ، والله تعالى يمقت من يشكوه إلى خلقه ويحبُّ مَنْ يشكو ما به إليه .

قيل لبعضهم : كيف تشتكي إلى من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ؟ فقال :

قالوا : أتشكو إليه ما ليس يخفى عليه  
فقلت : ربِّي يرُضِّي ذلَّ العبيدِ لديه

وذكر ابن أبي الدنيا عن علي بن الحسن ، قال : قال رجل : لأمتحنن أهل البلاء ، قال : فدخلت على رجل بطرسوس وقد أكلت الأكلة أطرافه ، فقلت له : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت والله وكل عرق وكل عضو يآلم على حدته من الوجع ، وإن ذلك لبعين الله أحبه إلي أحبه إلى الله عز وجل ، وددت أن ربي قطع مني الأعضاء التي اكتسبت بها الإثم ، وأنه لم يبق مني إلا لساني يكون له ذاكراً ، قال : فقال له رجل : متى بدأت هذه العلة ؟ قال : أما كفاك ، الخلق كلهم عبيد الله وعياله فإذا نزلت بالعباد علة فالشاكي إلى الله ليس يشكي الله إلى العباد .

\* \* \*

---

= السموات ، وأشرقت له الظلمات ، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك ، أو يحل بي سخطك ، ولك العتبي حتى ترضي ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

## الباب الثاني والعشرون هل المصائب مكفّرات أو مشيات

وقد اختلف العلماء في هذا الباب اختلافاً كثيراً ، وتباينوا فيه تبايناً شديداً ، فذهب بعض العلماء إلى أنه يثاب على كل مصيبة ، وذهب طائفة أخرى من العلماء إلى أنه لا يثاب على المصائب مطلقاً ، وإنما يثاب على الصبر عليها ، حتى قطع به ابن عبد السلام في «قواعده» ، وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة من العلماء إلى أن إطلاق القول بالثواب ، وإطلاقه بعدم الثواب ، كلاهما يرد عليه ما يدفعه ، وأن ثمَّ فرقاً مؤثراً نذكره فيما بعد ، إن شاء الله .

وقد احتجت كل طائفة بظواهر مرجحة لما ذهبت إليه كما سندكره بعد .

احتجت طائفة من العلماء إلى أنه يثاب على كل مصيبة بقوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾ الآية [ التوبة : ١٢٠ ] .

وفي «الصحيحين» عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنُ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا غَمٍّ وَلَا أَذًى حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ »<sup>(١)</sup> ، الوصب : الوجه اللازم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ [ الصافات : ٩ ] أي لازم ثابت ، والنصب : التعب .

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٤) رقم (١) .



وروى الحاكم في « المستدرک » أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « الْمُصَابُ مَنْ حُرِمَ الثَّوَابَ » .

وروى ابن ماجه من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ وَلَا بِإِضَاعَتِهِ ، وَلَكِنَّ الزَّهَادَةَ فِي الدُّنْيَا أَنْ تَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِكَ ، وَأَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ الْمُصِيبَةِ إِذَا أُصِيبَتْ بِهَا أَرْغَبَ مِنْكَ فِيهَا لَوْ أَنَّهَا أُبْقِيَتْ لَكَ » ورواه الإمام أحمد موقوفاً على أبي مسلم الخولاني<sup>(١)</sup> .

وفي « صحيح البخاري » أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْتَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ »<sup>(٢)</sup> ورواه أحمد والنسائي « مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْتَ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا » وغير ذلك من الأحاديث مما اختصرته .

قال النووي رحمه الله في « شرح مسلم » عند قوله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ بِشَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَمُحِيتَ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ » وفي رواية « إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ » وفي بعض النسخ « وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ » بغير ألف ، وفي رواية « إِلَّا كُتِبَ لَهُ حَسَنَةٌ أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ » قال : وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة للمسلمين ، فإنه قل أن ينفك الواحد منهم ساعة من شيء من هذه الأمور ، وفيه تكفير الخطايا بالأمراض والأسقام ومصائب الدنيا وهمومها وإن قلت مشقتها ، وفيه رفع الدرجات بهذه الأمور وزيادة الحسنات ، وهذا هو الصحيح

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٣٤١) في الزهد : باب ما جاء في الزهادة في الدنيا ، وابن ماجه رقم (٤١٠٠) في الزهد في الدنيا ، وفي سننه عمرو بن واقد الدمشقي أبو حفص ، وهو متروك ، كما قال الحافظ في « التقریب » .

(٢) تقدم تخريجه ص (٨٥) رقم (١) .

الذي عليه جماهير العلماء . وحكى القاضي عياض عن بعض العلماء : أنها تكفر الخطايا فقط(\*) . ولم يبلغهم هذه الأحاديث الصحيحة الصريحة برفع الدرجات ، وكتب الحسنات ، انتهى كلامه .

ويؤيد ذلك قول عائشة رضي الله عنها : ما رأيت رجلاً أشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقوله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي لَأَوْعَكُ مِثْلَ رَجُلَيْنِ مِنْكُمْ »<sup>(١)</sup> وإنك لتوعك وعكاً شديداً . وقوله صلى الله عليه وسلم : « أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ »<sup>(٢)</sup> .

قال جماعة من العلماء : والحكمة في كون الأنبياء أشد بلاء ثم الأمثل فالأمثل : أنهم مخصوصون بكمال الصبر وصحة الاحتساب ؛ والأنبياء معصومون من الخطايا فتعين الثواب ، والله أعلم .

وفي حديث المرأة التي كانت تصرع : دليل على أن الصرع يثاب عليه أكمل ثواب .

وفي « صحيح مسلم » قالت امرأة : يا رسول الله ، دفنت ثلاثة من الولد ، قال : « احْتَظَرْتُ بِحَظَارٍ مِنَ النَّارِ »<sup>(٣)</sup> .

قال بعض السلف : فقد الثواب على المصيبة أعظم من المصيبة : فإنه قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « الْمُصَابُ مَنْ حُرِمَ الثَّوَابُ » وقد تقدم .

---

(\*) ثم قال النووي : ولا ترفع درجة ولا تكتب حسنة . قال : وروي نحوه عن ابن مسعود ، قال : الوجع لا يكتب به أجر ولكن تكفر به الخطايا فقط ، واعتمد على الأحاديث التي فيها تكفير الخطايا اهـ « شرح النووي لصحيح مسلم » ١٦ / ١٢٨ - ١٢٩ .

(١) تقدم تخريجه ص (١٩٠) رقم (١) .

(٢) تقدم تخريجه ص (٤٥) رقم (١) .

(٣) تقدم تخريجه ص (٨٩) رقم (٣) .

وتقدم في أثناء الكتاب أحاديث تشهد لهذا القول ؛ والله أعلم .

احتجت الطائفة الأخرى من العلماء ممن أطلق القول بأن المصائب لا يثاب عليها ، وإنما يثاب على الصبر عليها . بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ الزمر : ١٠ ] . قال ابن عبد السلام في « قواعد » : الثواب إنما يكون على فعل العبد لا على فعل الله فيه ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [ البقرة : ١٥٦ و ١٥٧ ] فما حصل لهم من صلاة الله عليهم ورحمته لهم وهدايته إياهم بقولهم : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ فالاسترجاع هو سبب في حصول ما ذكر ، وكذلك حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه لأنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَكِ الْمَوْتِ : يَا مَلَكُ الْمَوْتِ ، قَبِضْتَ وَلَدَ عَبْدِي ، قَبِضْتَ قُوَّةَ عَيْنِهِ وَثَمَرَةَ فُؤَادِهِ ؟ قال : نَعَمْ ، قال : فَمَا قَالَ ؟ قال : حَمَدَكَ وَاسْتَرْجَعَ ؛ قال : ابْنُوا لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ »<sup>(١)</sup> فحمده واسترجاعه هو سبب بناء البيت له في الجنة ، وتسمية البيت كافية .

قال القاضي عياض : وقد روي عن عبد الله بن مسعود ؛ أنه قال : الوجد لا يكتب به أجرٌ وإنما يكفر الخطايا فقط .

## فصل

في سياق كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

أما ما يحدثه الله من المصائب ، فتارة بغير فعل الخلائق كالأمراض ونحوها ، وتارة بفعلهم . وفصل الخطاب أن المصائب تولدت عن عمل صالح كما تتولد عن الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحوه ،

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٨) .

فهذا يثاب عليه ، فإن الإنسان يثبته الله على عمله وعلى ما يتولد عن عمله إذا أقدم على احتماله ، فإن المجاهد قد أقدم على الجهاد وهو يعلم أنه يؤذى في الله عز وجل : وقد يناله ضررٌ في جهاده فتموت فرسه ، أو يؤخذ ماله ، أو يضرب أو يشتم ونحو ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُنَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾ [ التوبة : ١٢٠ ] فأخبر تعالى أنه يكتب لهم عمل صالح بما يصيبهم من التعب والجوع والعطش ، ونحو ذلك الذي حصل لهم بسبب الجهاد في سبيل الله عز وجل ، فهذه الأمور يغفر الله بها خطاياهم ، ويؤجرُ على هذه المصائب ، لأنها حصلت بسبب جهاده فهي مما تولد عن عمله ، وما تولد عن عمله الصالح يثاب عليها . وأما الجوع والعطش والتعب الذي يحصل بدون ذلك فلا يثاب إلا على الصبر عليه ، فإنه ليس من عمله ولا متولداً عن عمل صالح ، لكن هو من المصائب التي يكفر الله بها خطاياهم . وأما المصيبة بالولد ، فالولد تولد عن جماعه الذي صان نفسه به عن الزنا وقصد به النسل وتكثير الأمة وغض البصر عن المحارم ، فإذا حصل له ذلك ثم مات الولد فقد أثيب عليه من جهة ، وكفر الله به خطاياهم من جهة ، لأنه تولد عن عمله ، وأما الأمراض والأسقام فهي تكفر الخطايا .

وقد روي أن أبا عبيدة بن الجراح لما عادوه وقالوا له : أجرٌ . فقال : ليس لي من الأجر مثل هذه ، ولكن المرض حطة يحط الله به الخطايا .

فهذا الذي ذكرته هو الفرق بين المصائب التي يثاب عليها ، والمصائب التي لا يثاب عليها ، فإن بعض الناس يظن أنه يثاب على كل مصيبة ، ومن العلماء من يطلق القول بأن المصائب لا يثاب عليها ، وإنما يثاب على الصبر عليها .

ثم قال بعد ذلك بكلام كثير : فمن فعل فعلاً صالحاً باختياره فأؤذي واحتسب ذلك الأذى ، كان ذلك الأذى من عمله الصالح الذي يثاب عليه ، كالصائم إذا احتسب جوعه وعطشه . وقد قال صلى الله عليه وسلم :

« لَخْلُوفٍ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ » (١) والخلوف تولد عن صومه بغير اختياره ، ولكن تولد عن عمل صالح ، وكذلك القائم بالليل إذا احتسب تعبهُ وسهره ، فإن الأذى الذي يحصل باختيارك في طاعة الله ، أنت جلبته على نفسك باختيارك طاعة الله ، فليس هو كمن أودى بغير اختياره ، فإن ذلك أذاه مصيبة محضة ، لكن هي حق له على الظالم .

وقال الشيخ رحمه الله في قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا يَقْضِي اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ : إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » (٢) . وهي نفسها تكفر خطاياهُ ويؤجر على الصبر عليها ، ففيها له مغفرة من جهة ما يكفره من الخطايا . وله فيها رحمة من جهة ما يؤجر على الصبر عليها ، لاسيما إذا اقترن بها توبة وإنابة إلى الله وتوكل عليه وتوحيد له وإخلاص الدين له ، فإنها تكون من أعظم النعم ، ومصيبة تقبل بها على الله خير لك من نعمة تنسيك ذكر الله .

وقال بعض السلف : يا ابن آدم لقد بورك لك في حاجة أكثرت فيها قرع باب سيدك .

---

(١) قطعة من حديث رواه البخاري ٤ / ٨٧ - ٩٤ في الصوم : باب فضل الصوم ، ومسلم رقم (١١٥١) (١٦٣) في الصيام : باب فضل الصيام ، وأبو داود والنسائي ٤ / ١٦٣ في الصوم : باب ذكر الاختلاف على أبي صالح في هذا الحديث ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ولفظه : « قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام ، فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ، ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إني امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده ! لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك ، وللصائم فرحتان ، إذا أفطر ، فرح بفطره ، وإذا لقي ربه ، فرح بصومه » .

قوله : « لخلوف » : الخلوف تغير رائحة الفم من أثر الصيام ، لخلو المعدة من الطعام .

(٢) تقدم تخريجه ص (١٨٧) و (٢١٧) .

وفي الحديث « إِذَا قَالُوا لِلْمَرِيضِ : اَللّٰهُمَّ ارْحَمْهُ ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : كَيْفَ اَرْحَمُهُ مِنْ شَيْءٍ بِهِ اَرْحَمُهُ ؟ » .

وفي الأثر : يا ابن آدم البلاء يجمع بيني وبينك ، والعافية تجمع بينك وبين نفسك . انتهى .

والمقصود من كلام الشيخ رحمه الله أن كل ما تولد عن عمله الصالح من المصائب أثيب عليه ، بخلاف المصائب التي لم تتولد عن عمله ، فإنها مكفرات لا مثيبات .

## فصل

قال الشيخ رحمه الله : وكثيرٌ من الناس لا يعرف النعمة الا ما يلتذ به في دنياه ، كما قال بعض السلف : من لم يعرف نعمة الله الا في مطعمه ومشربه فقد قلَّ علمه ، وحضر عذابه . فمن الناس من يرى النعمة في بدنه فقط بالأكل والشرب والنكاح ، ومنهم من يرى النعمة بالرياسة والجاه ونفاذ الأمر والنهي وقهر الأعداء ، ومنهم من يرى النعمة في جمع الأموال والقناطير المقنطرة ، وهؤلاء من جنس الكفار ، يرون هذه نعماً ، وأعلى من هؤلاء : من يرى النعمة في الإيمان والعمل الصالح ، لكن لا يرى الأمر بذلك والجهاد عليه نعمة ، بل يرى فيه من المضار ما يوجب تركه ، والذين يرون هذه النعمة : منهم من لا يراه نعمة الا مع السلامة والغنيمة ، فان جرح أو قتل بعض أولاده ، أو أخذ ماله ، عد ذلك مصيبة لا نعمة . وحجة هؤلاء كلهم أن النعمة ما يتنعم به العبد ، وهذه الأمور تؤلم النفس فلا تكون من النعم بل من المصائب ، ولا ريب أنها من المصائب باعتبار ما يحصل فيها من الألم ، ولهذا أمر بالصبر عليها ، لكن لا منافاة بين كون الشيء مصيبة باعتبار ، ونعمة باعتبار ، فباعتبار ما يحصل به من الأذى هو مصيبة ، وباعتبار ما حصل به من الرحمة نعمة ، وهذا لأنه إذا قيل : هذا يكفر به الخطايا ويؤجر عليها ويؤجر

على الصبر عليها كانت نعمة ، وهذا بمنزلة شرب المريض الدواء الكريه ، هو مصيبة باعتبار مرارته ، وهو نعمة باعتبار إزالته للمرض الذي هو أشد ضرراً فيه ، وأدنى الشرين إذا زال أعظمهما كان نعمة ، ومن استعمل نعمة الله في المعاصي كانت شراً في حقه ، لأنها جرت به الى العذاب الذي هو أعظم من تلك اللذة ، كمن أكل عسلًا فيه سم ، فإن ضرر السم أعظم من حلاوة العسل ، والله أعلم . انتهى كلامه .

\* \* \*

## الباب الثالث والعشرون

### في الصبر عن المصائب به، وأفعال البر عنه

وهذا الباب مما يطيب قلوب أهل المصائب على مصابهم ، فإنهم إذا بدلوا بدل الحزن والبكاء ولطم الخدود وشق الثياب والنياحة ، الصدقة والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن والصلاة والصيام ، ونحو ذلك من أفعال القرب ، وعلموا وصولها إلى موتاهم ، وأنه يحصل لهم بذلك : إما تكفير سيئات ، أو رفع درجات أو كلاهما - حصل لهم السرور بذلك والفرح الزائد .

وهذا الباب منعقد على إهداء القرب إلى الموتى والأحياء ، فنذكر اختلاف العلماء في وصول ثواب ذلك إليهم ، فمن أنواع القرب : قرب لم يختلف العلماء في وصول ثوابها إلى الموتى ، وثم قرب يختلف العلماء في وصول ثوابها اختلافاً كثيراً ، فنذكر ما يسره الله تعالى في ذلك ، فإن ذكر الاختلاف والبسط سبيل ذلك الكتب المطولة .

## فصل

### في ذكر اختلاف الناس في وصول ثواب إهداء القرب الى الموتى

أما الدعاء والاستغفار والصدقة وقضاء الدين وأداء الواجبات ، فلا أعلم خلافاً في وصولها ، حكاها غير واحد من العلماء ، ومن العلماء من يشترط في الوصول اذا كانت الواجبات مما يدخله النياحة . قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الآية [ الحشر : ١٠ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [ محمد : ١٩ ] ودعاء النبي



صلى الله عليه وسلم لأبي سلمة حين مات أبو سلمة ، ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم للميت الذي صلى عليه ، وشرع الله ذلك له ، وشرعه لكل من صلى على ميت بقوله : « اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا » (١) . وكذلك : « اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ » (٢) . الدعاء المشهور المعروف .

وأما وصول العبادات المالية المحضة ، كالعتق والصدقة ونحوهما : فجمهور العلماء من أهل السنة والجماعة على وصول ثوابها إلى الموتي كما يصل إليهم ، الدعاء والاستغفار ، وأما وصول ثواب الأعمال البدنية كالصوم والصلاة والقراءة ونحو ذلك ، فالصحيح الوصول ، وهو مذهب الإمام أحمد وأبي حنيفة وطائفة من أصحاب مالك والشافعي ، لما يأتي من الأحاديث بعد إن شاء الله .

## فصل

### في الآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب

قد تقدم قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ الآية [ الحشر : ١٠ ] . وقال تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [ محمد : ١٩ ] وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾

---

(١) قطعة من حديث رواه الترمذي رقم (١٠٢٤) في الجنائز : باب ما يقول في الصلاة على الميت ، وأبو داود رقم (٣٢٠١) في الجنائز : باب ما يقول في الصلاة على الميت ، والنسائي ٧٤ / ٤ في الجنائز : باب الدعاء ، وابن ماجه رقم (١٤٩٨) في الجنائز : باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنائز ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه الحاكم ٣٥٨ / ١ ووافقه الذهبي ، وهو كما قال .

(٢) رواه مسلم رقم (٩٦٣) في الجنائز : باب الدعاء للميت في الصلاة ، والترمذي رقم (١٠٢٥) في الجنائز : باب ما يقول في الصلاة على الميت ، والنسائي ٧٣ / ٤ في الجنائز : باب الدعاء ، وابن ماجه رقم (١٥٠٠) في الجنائز : باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنائز ، وأحمد في « المسند » ٢٣ / ٦ و ٢٨ ، من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه .

وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ [ غافر : ٧ ] فلو لم ينفعهم ذلك لم يخبر الله تعالى به ترغيباً .

وأما الأحاديث فمنها : ما روى الإمام أحمد من حديث الحسن بن سعد بن عبادة أن أمه ماتت ، فقال : يا رسول الله ! ماتت أمي أفأتصدق عنها ؟ قال : « نَعَمْ » ، قال : قلت : فأبي الصدقة أفضل ؟ قال : « سَقِي الْمَاءِ » ، قال الحسن : فتلك سقاية آل سعد بالمدينة . ورواه النسائي أيضاً <sup>(١)</sup> .

ومنها عن معقل بن يسار ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقْرَؤُوا يَسَ عَلَي مَوْتَاكُمْ » رواه أبو داود وابن ماجه ، ورواه الإمام أحمد ولفظه : « يَسَ قَلْبُ الْقُرْآنِ لَا يَقْرَؤُهَا رَجُلٌ يُرِيدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَالذَّارَ الْآخِرَةَ إِلَّا غَفِرَ لَهُ ، وَاقْرَؤُوهَا عَلَي مَوْتَاكُمْ » <sup>(٢)</sup> .

وفيه دليل على وصول القراءة إلى الميت فإنه صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نقرأها على موتانا ، وأمره في هذا المكان أمر إرشاد لا يجوز أن يعري عن فائدة ، ولا فائدة للعبد بعد موته أعظم من الثواب ، فإننا نعلم يقيناً أن الميت من أحوج الناس إلى ما يقربه من رحمة الله ، ويباعده من عذاب الله ، وقد امتنع عليه بعد موته بفعل نفسه فما بقي يحصل له ذلك إلا بفعل غيره ، والحصول هو الثواب المترتب على القراءة ، والله أعلم .

فإن قيل : قد فسر جماعة من العلماء أن المراد بقراءة « يس » عند الاختصار للمسلم الذي سيموت . وقد ذهب إلى هذا جماعة من العلماء حتى

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٢٨٤ - ٢٨٥ و ٦ / ٧ وابن ماجه رقم (٣٦٨٤) في الأدب : باب فضل صدقة الماء ، والنسائي ٦ / ٢٥٤ في الوصايا : الوصايا . وهو حديث حسن .

(٢) رواه أبو داود رقم (٣١٢١) في الجنائز : باب القراءة عند الميت ، وأحمد في « المسند » ٥ / ٢٦ و ٢٧ ، وابن ماجه رقم (١٤٤٨) في الجنائز : باب ما يقال عند المريض إذا حضر ، من حديث عبد الله بن المبارك عن سليمان بن طرفان اليتيمي عن أبي عثمان وليس بالنهدي عن أبيه عن معقل ابن يسار رضي الله عنه ، وأبو عثمان وأبوه مجهولان ، وليسا بالمشهورين ، فالحديث ضعيف .

الشيخ مجد الدين بن تيمية الحراني بوب عليه في كتابه « المنتقى » .

قيل : هذا خلاف الحقيقة ، فإنه إذا حمل على من سيموت يكون حمل اللفظ على مجازه ، ومعلوم أن حمل اللفظ على حقيقته أولى من حمله على مجازه ، فإن سلم أنه أريد به المحتضر فهو حجة على المخالف المانع من وصول ثواب القراءة إلى الميت ، فإن قول المخالف في أن الحي لا ينتفع بعمل الغير ، أشد من قوله في الميت .

فإن قيل : إنما يحصل له به راحة وسرور كالتذاذبه في الدنيا . قلنا : هذه دعوى تفتقر إلى دليل ، والأصل عدمه ، بل نقول : أي راحة وسرور أعظم من ثواب يحصل للميت يرفع درجاته أو يحط عنه سيئاته ؟ وقد أفردت لهذا الكلام جزءاً وسميته « الدرر المنتخب في إهداء القرب » فمن رام كشف ذلك فليطلبه من محله ، وما نذكره هنا على سبيل التنبيه . ومنها ما روي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن العاص بن وائل نذر أن ينحر في الجاهلية مائة بدنة ، وأن هشام بن العاص نحر حصته خمسين ، وأن عمرأ سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال : « أَمَّا أَبُوكَ فَلَوْ أَقَرَّ بِالْتَّوْحِيدِ فَصِمَّتْ عَنْهُ وَتَصَدَّقَتْ عَنْهُ نَفَعَهُ ذَلِكَ » رواه الإمام أحمد <sup>(١)</sup> . وهو دليل على وصول افعال الخير إلى الميت .

ومنها عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم إن أبي مات ولم يوص أفينفعه أن أتصدق عنه ؟ قال : « نَعَمْ » رواه مسلم والإمام أحمد والنسائي وابن ماجه <sup>(٢)</sup> .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ١٨٢/٢ ، وفي اسناده الحجاج من أرطأة وهو مدلس ، كما قال الهيثمي في « المجمع » ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (٢٨٨٣) والبيهقي ٢٧٩/٦ بلفظ آخر ومن طريق آخر اسناده حسن ، كما قال الألباني في « أحكام الجنائز » ص ١٧٣ .

(٢) رواه مسلم رقم (١٦٣٠) في الوصية : باب وصول ثواب الصدقات إلى الميت ، والنسائي ٢٥٢/٦ في الوصايا : باب فضل الصدقة عن الميت ، وابن ماجه رقم (٢٧١٦) في الوصايا : باب من مات ولم يوص هل يتصدق عنه ، وأحمد في « المسند » ٣٧١/٢ .

ومنها عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً ، قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن أُمِّي افتلنت نفسها ، وأراها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر إن تصدقت عنها ؟ قال : « نَعَمْ » رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد (١) .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ أَنْ يَجْعَلَهَا عَنْ وَالِدَيْهِ إِذَا كَانَا مُسْلِمِينَ فَيَكُونَ لِوَالِدَيْهِ أَجْرُهَا وَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِمَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمَا شَيْءٌ » رواه حرب في « مسائله » بسنده (٢) .

وروى ابن المنذر بإسناده عن عائشة رضي الله عنها أنها أعتقت عن أخيها عبد الرحمن عبداً بعد موته .

وروى الدارقطني وغيره عن عطاء بن أبي رباح مرسلًا أن رجلاً قال : يا رسول الله ، إن أبي مات أفأعتق عنه ؟ قال : « نعم » .  
وروى الدارقطني أيضاً عن الحسن والحسين رضي الله عنهما أنها كانا يعتقان عن أبيهما علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد موته .

---

(١) رواه البخاري ٢٩١/٥ في الوصايا : باب ما يستحب لمن توفي فجأة أن تصدقوا عنه وقضاء النذور عن الميت ، وفي الجنائز : باب ما يستحب لمن يتوفي فجأة أن تصدقوا عنه ، وقضاء النذور عن الميت ، ومسلم رقم (١٠٠٤) في الزكاة : باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه والموطأ ٢/ ٧٦٠ في الأقضية : باب صدقة الحي عن الميت ، وأبو داود رقم (٢٨٨١) في الوصايا : باب ما جاء فيمن مات عن غير وصية يتصدق عنه ، والنسائي ٦/ ٢٥٠ في الوصايا : باب اذا مات الفجأة هل يستحب لأهله ان يتصدقوا عنه ، وأحمد ٦/ ٥١ .

قوله :: « افتلنت نفسها » بنصب السين ورفعها أيضاً ، فالرفع على أنه مفعول ما لم يسم فاعله ، والنصب على أنه مفعول ثان . قال القاضي : أكثر روايتنا فيه النصب . وقوله : « افتلنت » بالفاء هو الصواب الذي رواه أهل الحديث وغيرهم . قالوا : ومعناه ماتت فجأة ، وكل شيء فعل بلا تمكث فقد افتلنت . ويقال : افتلنت الكلام واقترحه واقتضبه ، إذا ارتجله .

قوله : « وأظنها لو تكلمت » : أي لو قدرت على الكلام .

(٢) قال العراقي : وسنده ضعيف . كما في « فيض القدير » ٥ / ٤٥٦ و« ضعيف الجامع »

رقم (٥١١١) .

عن ابن أسيد مالك بن ربيعة الساعدي قال : بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه رجل من بني سلمة . فقال : يا رسول الله ، هل بقي من برِّ أبي شيءٍ أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : « نَعَمْ ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا وَالْأَسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَأَنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا ، وَصِلَةُ الرَّجِمِ الَّتِي لَا تَوْصَلُ إِلَّا بِهِمَا ، وَإِكْرَامُ صَدِيقَيْهِمَا » رواه أبو داود ، وهذا لفظه ، وابن ماجه (١) .

## فصل

ومن الأدلة المستحسنة . قوله صلى الله عليه وسلم في الأضحية لما ضحى بكبشين ، فلما ذبح أحدهما ، قال : « بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُمَّ هَذَا عَنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ » ولما ذبح الثاني . قال : « اللَّهُمَّ هَذَا عَنِّي وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحَّ مِنْ أُمَّتِي » وفي رواية ابن ماجه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ضحى بكبشين عظيمين سمينين أقرنين أملحين موسومين فذبح أحدهما عن محمد وآل محمد ، وذبح الآخر عن أمته وعمن شهد له بالبلاغ (٢) .

ففيه دليل على أن النفع قد نال الأحياء والأموات من أمته بأضحيته صلى الله عليه وسلم ، وإلا لم يكن في ذلك فائدة ، فإنه صلى الله عليه وسلم ما

---

(١) رواه أبو داود رقم (٥١٤٢) في الأدب : باب في بر الوالدين ، وابن ماجه رقم (٣٦٦٤) في الأدب : باب صل من كان أبوك يصل ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٠٣٠) « موارد » ، وفي سنده علي بن عبيد الأنصاري المدني ، لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات . ولبعضه شاهد عند مسلم رقم (٢٥٥٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، انظر « مجمع الزوائد » ١٤٧/٨ . وضعف الحديث الألباني في « ضعيف ابن ماجه » .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٦ / ٣٩١ و ٣٩٢ من حديث علي بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا ضحى ، اشترى كبشين سمينين أقرنين أملحين ، فإذا صلى وخطب الناس ، إتي بأحدهما وهو قائم في مصلاه ، فذبحه بنفسه بالمدينة ثم يقول : « اللهم إن هذا عن أمتي جميعاً ممن شهد لك بالتوحيد ، وشهد لي بالبلاغ » ، ثم يؤتي بالآخر فيذبحه بنفسه ، ويقول : « هذا عن محمد وآل محمد » ، فيقطعهما جميعاً المساكين ، ويأكل هو وأهله منها ، فمكثنا سنين ليس رجل من بني هاشم يضحى قد كفاه الله المؤنة برسول الله ﷺ والعزم . وإسناده حسن .

ينطق عن الهوى . وقال للذي قضى الدين عن الميت : « الآن بَرَدَتْ عَلَيْهِ جِلْدَتُهُ » (١) .

وحديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ بقبرين فقال : « إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ - وفي لفظ لَا يَسْتَنْزِهُ عَنِ الْبَوْلِ - وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، ثم دعا بجريدة رطبة فشققها نصفين ثم غرس على كل قبر واحدة ، وقال : إِنَّهُ لِيُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسَا » (٢) .

قال الخطابي : هذا عند أهل العلم محمول على أن الأشياء ما دامت على أصل خلقتها أو خضرتها وطراوتها فانها تسبح الله عز وجل حتى تجف رطوبتها ، أو تحول خضرتها ، أو تقطع من أصلها ، ؛ فإذا خفف عن الميت بوضعه صلى الله عليه وسلم الجريدة على قبره ، لكونه تسبح الله ، فبطريق

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٣ / ٣٣٠ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال الهيثمي في « المجمع » ٣ / ٣٩ : رواه أحمد والبخاري وإسناده حسن .

(٢) رواه البخاري ١ / ٢٧٣ - ٢٧٦ في الوضوء : باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله ، وباب ما جاء في غسل البول ، وفي الجنائز : باب الجريدة على القبر ، وباب عذاب القبر من الغيبة والبول ، وفي الأدب : باب الغيبة ، وباب النميمة من الكبائر ، ومسلم رقم (٢٩٢) في الطهارة : باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ، والترمذي رقم (٧٠) في الطهارة : باب ما جاء في التشديد في البول ، وأبوداود رقم (٢٠) و (٢١) في الطهارة : باب الاستبراء من البول ، والنسائي ١ / ٢٨ - ٣٠ في الطهارة : باب التنزه عن البولة ، وأحمد في « المسند » ١ / ٢٢٥ ، وابن ماجه رقم (٣٤٧) في الطهارة : باب التشديد في البول ، والدارمي رقم (٧٤٥) في الوضوء : باب الاتقاء من البول .

قوله : « وما يعذبان في كبير » قد ذكر العلماء فيه تأويلين : أحدهما أنه ليس بكبير في زعمهما ، والثاني أنه ليس بكبير تركه عليهما ، وحكى القاضي عياض رحمه الله تعالى تأويلاً ثالثاً ، أي ليس بأكبر الكبائر .

قوله : « لا يستتر » روي ثلاث روايات : « يستتر » و« يستنزه » و« يستبرى » . وكلها صحيحة ، ومعناها لا يتجنبه ويتحرز منه .

قوله : « بالنميمة » حقيقتها نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد .

الأولى والأخرى أن تخفف القرب على اختلاف أسبابها ، وإن أعظم القرب كلام رب العالمين ، الذي نزل به الروح الأمين ، على قلب أشرف المرسلين ، وقد أوصى بريدة رضي الله عنه أن يجعل جريدة على قبره ، ذكره البخاري .

## فصل

في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ [ النجم : ٣٩ ]

وأما احتجاج بعض من خالف من أصحاب الشافعي ومالك بهذه الآية على أن الميت لا ينتفع بثواب من سعي غيره ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » .

قالوا : ولأن نفع العبادة لا يتعدى فاعلها .

فيقال لهم : قد ثبت بالسنة المتواترة واجماع الأمة ، أن الميت يصلى عليه ويدعى له ويستغفر له ، وهذا من سعي غيره ، وكذلك ما وافقوا عليه وسلموه من أنه ينتفع بالصدقة والعق ، وهو من سعي غيره ، فما كان جوابهم عن مورد الإجماع ، فهو جواب الباقيين عن محل النزاع ، وللناس في ذلك أجوبة متعددة سبيلها الكتب المطولة ، ولكن تحقيق ذلك ان يقال : أن الله تعالى لم يقل : إن الإنسان لا ينتفع الا بسعي نفسه ، وإنما قال : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ وهو لا يملك الا سعيه ، ولا يستحق غير ذلك ، وإنما سعي غيره فهو له ، كما إن الإنسان لا يملك إلا مال نفسه ، ويملك نفع نفسه بمال غيره . وقد روي عن ابن عباس أن الآية منسوخة بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [ الطور : ٢١ ]

فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء ، ولا يصح هذا ، لأن لفظ الآيتين لفظ خبر ، والأخبار لا تنسخ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : اللفظ المنقول عن ابن عباس هو من تفسير عليّ بن طلحة الوالي عنه ، وقد قيل : إنه لم يسمعه من ابن عباس ، وقال عكرمة : هي خاصة بقوم ابراهيم وموسى دون هذه الأمة ، وشرع من قبلنا ليس بشرع لنا ، وأما هذه الأمة فلهم ما سعوا وسعي لهم . قال الشيخ : وهذا ضعيف ، لأن الله إنما ذكر هذا ليخبر به هذه الأمة ، وليعلموا أن هذا حكم شامل ، ولو كان هذا مخصوصاً بأمة موسى وإبراهيم لم يقم به حجة ، على أن من أرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم وجميع المسلمين بما في هذا لقوله : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [ الأنعام : ١٦٤ ] .

وأيضاً فمن أين لهم أن تلك الأمة لم تكن تنفعهم الصدقة عنهم بعد الموت والدعاء لهم ؟ وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنا إذا قلنا : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أصابت كل عبد لله في السماء والأرض ، ونحن إذا ذكرنا الصالحين من الأمم وترحمنا عليهم وصل ذلك إليهم ، وليس هو من سعيهم ، وإبراهيم قد دعا لأولاده بنص القرآن ، وليس ذلك من سعيهم .

وقال الربيع بن أنس : المراد بالإنسان الكافر ، وهذا ليس بشيء ، لأن سياق الآية يناقضه بقوله : ﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ﴾ [ النجم : ٤١ ] وهذا يتناول المؤمن قطعاً ، فلو عكس كان أولى ، مع أن حكم العدل لا فرق فيه بين مؤمن وكافر .

قال الحسن بن الفضل : ليس للإنسان إلا ما سعى من طريق العدل ، فأما من طريق الفضل فجائز أن يزيده الله ما شاء .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وهذا القول أمثل من غيره ، ومعناه صحيح ، لكنه لم يفسر لفظ الآية ، فإن قوله : ﴿ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ ﴾ نفياً عام



فليس له إلا ذلك ، وهذا هو العدل ، ثم إن الله قد ينفعه ويرحمه بغير سعيه من جهة فضله وإحسانه ، وإن كان ذلك ليس له ، ثم قال الشيخ : وقال ابن الزاغوني : إنه ليس له إلا سعيه ، غير أن الأسباب مختلفة ، فتارة يكون سعيه في تحصيل الشيء نفسه ، وتارة يكون في تحصيل سببه ، مثل سعيه في تحصيل قرابة أو نكاح ليحصل له ولدٌ صالح يدعو له ، أو صديقٌ صالح ، وتارة يسعى في خدمة أهل الدين والعبادة ، فيكتسب محبتهم بسبب سعيه في ذلك .

قال الشيخ رحمه الله : وهذا أمثل من غيره ، وقد استحسنته ورجحته أبو البركات وهو ضعيف ، فإنه قد ينتفع بعمل غيره من لم يحصل سبباً ، وبسط القول على هذا وعلله بأمور ، وذكر عن ابن الزاغوني قولاً آخر قال : وأن ليس للإنسان ، بمعنى : وأن ليس عليه إلا ما سعى .

قال الشيخ : وهذا من أرذل الأقوال فإنه قلب لمعنى الآية ، فإنه ليس للإنسان إلا ما سعى ، وتامها ﴿ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى ﴾ \* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ﴿ [ النجم : ٤٠ - ٤١ ] أفترى السعي الصالح لم يدخل في هذه ، وبسط القول على هذا وبين فساده ، وقد ذكرنا هذه الأقوال وربناها مبسطة في « إهداء القرب » .

## فصل

ومما يستأنس به في وصول الثواب أنه يستحب الدفن عند الصالحين ، ليناله بركتهم ، ونص الإمام أحمد على أن الميت يتأذى بالمنكر عنده .

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : جنبوا الميت جار السوء .

وقالت عائشة رضي الله عنها : الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته .

لكن هذان الأثران وإن كان فيهما ضعف ، ففيهما دلالة على المسألة ،

فإن الميت إذا تأذى بالمنكر انتفع بالخير بطريق الأولى .

وقد ثبت في « الصحيح » أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِكُأْ أَهْلِهِ عَلَيْهِ <sup>(١)</sup> » فإله تعالى أحكم وأعدل من أن يوصل عقوبة المعصية إليه ، ويحجب عنه المثوبة . والله تعالى أعلم .

## فصل

تستحب القراءة عند القبر ، لأنه قد صح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عنده بفاتحة البقرة وخاتمتها .

والمشهور عن الإمام أحمد أن القراءة في المقبرة وعند القبر لا تكره اختاره أبو بكر عبد العزيز والقاضي وجماعة من أصحابنا ، ذكره بعض أصحابنا ، وعليه عمل الناس في زماننا هذا .

قال في « المستوعب » : ولا تكره القراءة على القبر . وكان أحمد رحمه الله يكرهها ، ثم رجع رجوعاً أبان به عن نفسه ، وقال : يقرأ ، بعد أن نهى عن ذلك ، ومن أصحابنا من يتمسك بكراهته أولاً ويجعل المسألة على روايتين . ثم قال بعد ذلك : فإن أهدي إليه الثواب نفعه ، انتهى كلامه . وهذا مذهب الحنفية ، لكن اختلف اصحابهم هل تستحب القراءة أم تباح ؟ وجهان لهم .

وروي عن الإمام أحمد أن القراءة لا تكره حال الدفن دون غيره . وروي عنه الكراهة مطلقاً ، اختارها الإمام عبد الوهاب الوراق وأبو حفص العكبري .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : الكراهة نقلها الجماعة عن الإمام أحمد وهي قول جمهور السلف ، وعليها قدماء أصحابه كالمروزي وغيره .

---

(١) تقدم تخريجه ص (٥٠) رقم (١) .

وقال ابن عقيل وابن المنجا - تعليلاً لرواية الكراهة - بأنها مدفن النجاسة كالحش ونحوه ، انتهى كلامهما .

وذكر بعض أصحابنا عن الخلال أنه قال : المذهب رواية واحدة ، أن القراءة عند القبر لا تكره . انتهى .

لكن القراءة على القبر ليست من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ، والله اعلم .

## فصل

نص الإمام أحمد على أنه يستحب الدعاء للميت عقب دفنه ثم قال أحمد : قد فعله علي بن أبي طالب ، والأحنف بن قيس ، ويروى عن عثمان بن عفان ، أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : « اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُّوا لَهُ التَّثْبِيتَ ، فَإِنَّه الآن يُسْأَلُ » رواه ابوداود (١) .

وروى الطبراني من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على القبر بعد ما يسوى عليه التراب فيقول : « اللهم نزل بك صاحبنا وخلف الدنيا خلف ظهره ، اللهم ثبت عند المسألة منطقته ولا تبتله في قبره بما لا طاقة له به » .

ويروى أن علياً رضي الله عنه كان يقول - إذا سوي على الميت التراب عند شفير القبر بعد ما يدفن - : اللهم عبدك وولد عبدك ، نزل بك وأنت خير منزول به ، اللهم أوسع له مدخله ، واغفر له ذنبه ، فإننا لا نعلم إلا خيراً وأنت أعلم به . رواه حرب الكرماني في « مسائله » .

---

(١) رقم (٣٢٢١) في الجنائز : باب الاستغفار عند القبر للميت ، وإسناده حسن . قوله : « التثبيت » : أي أن يثبت عند سؤال الملكين له في القبر عن ربه ونبيه . اللهم ثبتنا يا أرحم الراحمين .

وكان أنس رضي الله عنه إذا سوى على الميت قبره قام عليه فقال :  
 اللهم عبدك نزل بك فأرأف به وارحمه ، اللهم جاف الأرض عن جنبه ،  
 وافتح أبواب السماء لروحه ، وتقبل منه بقبول حسن ، اللهم إن كان محسناً  
 فضاعف له الحسنات ؛ أو قال : - فزد له إحسانه - وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه .  
 رواه الإمام أحمد والطبراني وغيرهما .

وذهب الشافعي أيضاً إلى استحباب الدعاء عقيب الدفن .

وقال أكثر المفسرين في قوله عز وجل في حق المنافقين ﴿ وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾ [ التوبة : ٨٤ ] : معناه بالدعاء والاستغفار بعد الفراغ من دفنه ،  
 وكذلك ذكر جماعة من المفسرين : لما هم النبي صلى الله عليه وسلم  
 بالاستغفار لعمه أبي طالب لما مات ، وهم بعض الصحابة بالاستغفار لأبويه ،  
 أنزل الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ ﴾ الآية [ التوبة : ١١٣ ]<sup>(١)</sup> ، فلولا أن ذلك نافع للمؤمنين كما  
 تقدم ، لم يكن لذلك معنى ، بل لما نهى عنه للمشركين دل على وقوعه  
 للمؤمنين ونفعه لهم .

وقال محمد بن حبيب التمار : كنت مع أحمد بن حنبل في جنازة ،  
 فأخذ بيدي وقمنا ناحية ، فلما فرغ الناس من دفنه جئنا إلى القبر ، فجلس  
 ووضع يده على القبر وقال : اللهم إنك قلت في كتابك ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [ الواقعة : ٨٨ ] فقرأ إلى آخر السورة ، اللهم وإنا نشهد أن هذا  
 فلان بن فلان ما كذب بك ، ولقد كان يؤمن بك وبرسولك ، اللهم فاقبل  
 شهادتنا له ، ودعا له ثم انصرف .

(١) انظر الحديث في « جامع الأصول » رقم ( ٦٦١ ) و ( ٦٨٣٠ ) .

## فصل

### هل يصح إهداء ثواب نوافل العبادات للمسلم الحي ؟

وهذه مسألة لا تكاد تظفر بها في كتاب مشهور لغرابتها ، فذكر ابن تميم في كتابه ، فذكر وصول الثواب الى الميت قال : وفي الحي وجهان .

وذكر لي بعض فضلاء الحنفية أن وصول القرب إلى الحي مذهبهم ، والدليل على الوصول قوله تعالى : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [ آل عمران : ١٥٩ ] ، وأيضاً فإن الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون ما زال يدعو بعضهم لبعض عموماً وخصوصاً لأحيائهم وأمواتهم من غير نكير ، ولأنه مشروع في دعاء الميت الى يوم القيامة في قوله : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا » (١) .

قال القاضي أبو يعلى : وليس يعرف عن الإمام أحمد رواية في الفرق بين الحي والميت ، بل ظاهر قوله يعمهما ، وقد دل عليه الكتاب والسنة في الدعاء والاستغفار للتساوي فلا فرق .

وقال الشيخ شمس الدين بن عبد القوي في « مجمع البحرين » : هذا ليس له نكير فهو إجماع ، ولا شبهة لمن قال بعدم الجواز . انتهى كلامه .

وقال ابن عقيل في « المفردات » : إن القراءة ونحوها لا تصل الى الحي ، فإنه يفتح مفسدة عظيمة ، فإن الأغنياء يتكلمون عن الأعمال ببذل الأموال التي تسهل لمن ينوب عنهم ، فيفوتهم أسباب الثواب بالاتكال على الثواب ، وتخرج أعمال الطاعات عن بابها إلى المعاوضات . انتهى كلامه .

فلو قال قائل : نحن نلتزم ذلك لوروده في الكتاب والسنة ؟

ونقول : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

---

(١) تقدم تخريجه ص (٢٤٠) .

## الباب الرابع والعشرون في ذكر عمارة القبور

وقد اشتغل بعض أهل زماننا ممن أصيب بموت أقاربه ، ببناء قبورهم وتبليطها وتجسيصها ، وبناء التربة المحتوية على القبور وتحسينها وتزييقها ، ويزرعونها أنواع الرياحين ، ويصعدون إليها في الغالب كل يوم خميس بالأهل والأقارب وملاذ الأطعمة وأنواعها ، ويظنون أن ذلك قرينة وطاعة إلى الله عز وجل ، وربما يقولون : في هذه الأمور تسلية لنا عن الموتى . وما علموا أن هذه الأمور من البدع المكروهة المنهي عنها ، وأن من البدع تعظيم القبور وتبليطها وتجسيصها ، وبناء القباب عليها ، كل هذا من البدع الذي كرهه السلف والعلماء ، وهو مخالف لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى أبو داود والترمذي من حديث جابر : أن النبي صلى الله عليه وسلم « نَهَى أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ » ، زاد الترمذي : « وَأَنْ يَكْتَبَ عَلَيْهِ وَأَنْ يُوطَأَ » . وحسنه وصححه . ولفظ أبي داود : « وَأَنْ يُقَعَّدَ عَلَيْهِ » (١) .

وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن لا يدع تمثالاً الا طمسه ، ولا قبراً مشرفاً الا سواه .

---

(١) رواه مسلم رقم (٩٧٠) في الجنائز : باب النهي عن تجسيص القبر والبناء عليه ، وأبو داود رقم (٣٢٢٥) و (٣٢٢٦) في الجنائز : باب في البناء على القبر ، والترمذي رقم (١٠٥٢) في الجنائز : باب كراهية تجسيص القبور والكتابة عليها ، والنسائي ٧٦/٤ في الجنائز : باب الزيادة على القبر ، وابن ماجه رقم (١٥٦٢) في الجنائز : باب النهي عن البناء على القبور بنحوه وأحمد في « المسند » ٢٩٥/٣ ، و٣٣٢ و٣٣٩ و٣٩٩ ، والحاكم ٣٧٠/١ .

وعن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي : أَلَا أْبَعُثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ إِذْهَبْ فَلَا تَدْعُ تِمَثَالاً إِلَّا طَمَسْتُهُ ، وَلَا قَبْراً مُشْرِفاً إِلَّا سَوَّيْتَهُ . رواه أبو داود والترمذي (١) .

فالسنة تسوية هذه القبور المشرفة المحجرة المطينة المخصصة .

وكذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب عليها ، ونهى عن اتخاذها مساجد ، وإيقاد السرج عليها ، واشتد نهيه صلى الله عليه وسلم حتى لعن فاعل ذلك ، ونهى عن الصلاة إلى القبور ، حتى نهى أمته أن يتخذوا قبره مسجداً أو عيداً .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظ الناس عند القبور ، كما ثبت ذلك في « صحيح البخاري » و« مسلم » (٢) من حديث علي رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد ، فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وجلسنا حوله ، ومعه مِخْصَرَةٌ ، فنكس وجعل ينكت بمخصرته ،

---

(١) رواه مسلم رقم (٩٦٩) في الجنائز : باب الأمر بتسوية القبر ، وأبو داود رقم (٣٢١٨) في الجنائز : باب في تسوية القبر ، والترمذي رقم (١٠٤٩) في الجنائز : باب ما جاء في تسوية القبور ، والنسائي ٤ / ٨٨ - ٨٩ في الجنائز : باب تسوية القبور إذا رفعت . والحاكم ١ / ٣٦٩ .

قوله « إلا سويته » . قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : فيه أن السنة إن القبر لا يرفع عن الأرض رفعاً كثيراً ، ولا يسنم ، بل يرفع شبراً وسطح .

(٢) رواه البخاري ٣ / ١٧٩ في الجنائز : باب موعظة المحدث عند القبر وقول أصحابه حوله ، وفي مواضع أخر . . ، ومسلم رقم (٢٦٤٧) في القدر : باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ، وأبو داود رقم (٤٦٩٤) في السنة : باب في القدر ، والترمذي رقم (٢١٣٧) في القدر : باب ما جاء في الشقاء والسعادة ، وأحمد في « المسند » ١ / ١٣٢ و ١٤٠ و ١٥٧ .

قوله : « مِخْصَرَةٌ » : المخصصة ما أخذ الإنسان بيده واختصره من عصا لطيفة وعكاز لطيف ، وغيرهما . قوله : « فنكس » بتخفيف الكاف وتشديدها لغتان فصيحتان ، يقال : نكسه ينكسه فهو ناكس ، كقتله يقتله فهو قاتل . ونكسه ينكسه تنكيساً فهو منكس ، أي خفض رأسه وطأه إلى الأرض على هيئة المهموم . قوله : « ينكت » : أي يخط بها خطاً يسيراً مرة بعد مرة ، وهذا فعل المفكر المهموم .

وقال : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ » فقالوا : يا رسول الله ، أفلا نُتَكَلَّ على كتابنا ؟ فقال : « اْعْمَلُوا وَسَدُّوا وَقَارِبُوا وَكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيُسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيُسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ » ثم قرأ هذه الآية ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى \* وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى \* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ [ الليل : ٥ - ١٠ ] .

وفي « الصحيح » أيضاً أنه كان يقف عند الدفن ويقول : « اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَاسْأَلُوا لَهُ التَّيْبَتَ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ » (١) .

## فصل

وليعلم أن عمارة الأحياء والأموات ليست من خارج ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ » (٢) فعمارة القلب هي العمارة النافعة ، والميت في قبره كذلك ، ليست بزخرفة القبر ولا التربة ولا تزويقها ، وإنما العمارة بالصدقة عن ساكنها وأفعال القرب عنه ، وقد تقدم هذا في الباب الذي قبله .

أما علم أن القبر الذي يزخرف ظاهره فإن باطنه مظلم ضيق ، وقد طرح فيه من هو من أحب أقاربه إليه فريداً وحيداً ، مستوحشاً من غير وسادة ولا تمهيد ، وقد باشر الثرى وواجه البلى ، وترك دنياء بالورى ، ونبذ منها ما كان

(١) تقدم تخريجه ص (٢٥٠) .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٦٤) في البر والصلة : باب تحريم الظن والتجسس والتنافس ، وأحمد في « المسند » ٢ / ٢٨٥ و ٥٣٩ ، وابن ماجه رقم (٤١٤٣) في الزهد : باب القناعة . قوله : « إن الله لا ينظر » معنى نظر الله هنا مجازاته ومحاسبتها ، أي إنما يكون ذلك على ما في القلب ، دون الصور الظاهرة .



بيده بالعرا ، مع حبيب تركه ، وقرين أسلمه ، فكل ما ذكرته لك يا أخي يفظم النفوس عن الشهوات ، وتعلم أن عمارة البواطن أولى من عمارة الظواهر ، وهي العمارة النافعة في يوم القارعة .

فإذا بحثت عن الحقيقة ، ونظرت بعين البصيرة ، علمت أنك عن قريب صائر إلى ما صار إليه ، وقادم على ما قدم عليه ، فان العبد بينما هو يمرح في أمنيته ، غافلا عن يوم مصرعه ، إذ هجمت عليه المنية فهتكت أستاره ، وكسفت أنواره وطمست أعلامه وآثاره ، فأخرجته من قصر مشيد ، وبيت حميد ، مزخرف نضيد ، إلى حفرة من الأرض كحفرة أخيه أو ولده أو غيرهما ، مظلمة ضيقة الجوانب ، مملوءة من الرعب والفرع ، فإما هي روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار ، أعادنا الله منها .

قيل لبعض الزهاد : ما أبلغ الموعظة ؟ قال : النظر في محلة الأموات .

فإذا كانت القبور النظر إليها موعظة ، وهي أول منازل الآخرة وعبرة لأهل الدنيا ، فلا ينبغي التزين ولا التزخرف ولا ما يفعله غالب الأغنياء من الأمراء والتجار وغيرهم : من ضرب الخام والخيام وغيرهما في التراب ، ووضع البسط والفرش تحت ذلك وينامون عليها ، وإخوانهم تحت ذلك على التراب في حفرة ضيقة مظلمة ؛ فأى موعظة تعظ هؤلاء بموتاهم ! بل هذه غفلة ، نسأل الله تعالى السلامة منها .

## فصل

وكان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ، فقليل له : تذكر الجنة والنار ولا تبكي ، وتبكي من هذا !؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ » . قال :

وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعَ مِنْهُ » (١) .

وروى الترمذي أيضا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .  
قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مصلاه فرأى ناسا كأنهم يكتشرون ، فقال : « أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ أَكْثَرْتُمْ ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ - يعني الموت - لَشَغَلَكُمْ عَمَّا أَرَى [ الْمَوْتُ ] ، فَأَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَازِمِ اللَّذَاتِ : الْمَوْتِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى الْقَبْرِ يَوْمٌ إِلَّا تَكَلَّمَ فِيهِ ، يَقُولُ : أَنَا بَيْتُ الْغُرْبَةِ ، وَأَنَا بَيْتُ الْوَحْدَةِ ، وَأَنَا بَيْتُ التُّرَابِ ، وَأَنَا بَيْتُ الدُّودِ ، فَإِذَا دُفِنَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ قَالَ لَهُ الْقَبْرُ : مَرْحَبًا وَأَهْلًا أَمَا إِنْ كُنْتَ لِأَحَبُّ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ ، فَإِذَا وَلَيْتِكَ الْيَوْمَ وَصَرْتَ إِلَيَّ فَسَتَرَى صَنِيعِي بِكَ ، قَالَ : فَيَتَسَّعُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِذَا دُفِنَ الْعَبْدُ الْفَاجِرُ أَوْ الْكَافِرُ قَالَ لَهُ الْقَبْرُ : لَا مَرْحَبًا وَلَا أَهْلًا ، أَمَا إِنْ كُنْتَ لِأَبْغَضُ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ ، فَإِذَا وَلَيْتِكَ الْيَوْمَ ، [ وَصَرْتَ إِلَيَّ ] فَسَتَرَى صَنِيعِي بِكَ ، قَالَ : فَيَلْتَمِسُ عَلَيْهِ حَتَّى يَلْتَقِيَ عَلَيْهِ وَتَخْتَلِفُ أَضْلَاعُهُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصَابِعِهِ ، فَأَدْخَلَ بَعْضَهَا فِي [ جَوْفِ ] بَعْضٍ . قَالَ : وَيُقَيِّضُ اللَّهُ لَهُ سَبْعِينَ تَنِيْنًا لَوْ أَنَّ وَاحِدًا مِنْهَا نَفَخَ فِي الْأَرْضِ مَا أَثْبَتَ شَيْئًا مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا فَيَنْهَشُنَّهُ وَيَخْدِشُنَّهُ حَتَّى يُفْضِي بِهِ إِلَى الْحِسَابِ » . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ » (٢) .

وروى الحاكم في كتاب « الكنى » ، والقاسم بن أصبغ من حديث أبي الحجاج الثمالي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَقُولُ الْقَبْرُ

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٣٠٩) في الزهد : باب رقم ٥ ، وابن ماجه رقم (٤٢٦٧) في الزهد : باب ذكر القبر والبلى ، وإسناده حسن .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٤٦٢) في صفة القيامة : باب رقم (٢٧) ، وإسناده ضعيف ولبعض فقراته شواهد .

لَلْمَيِّتِ إِذَا وُضِعَ فِيهِ : وَيَحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ ، مَا غَرَّكَ بِي ؟ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي بَيْتُ  
الْفِتْنَةِ ، وَبَيْتُ الظُّلْمَةِ ، وَبَيْتُ الْوَحْدَةِ ، وَبَيْتُ الدُّودِ ، مَا غَرَّكَ بِي يَا ابْنَ  
آدَمَ ؛ فَإِنْ كَانَ مُصْلِحًا أَجَابَ عَنْهُ مُجِيبُ الْقَبْرِ : فَيَقُولُ : أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ يَأْمُرُ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ الْقَبْرُ : إِنِّي أَعُودُ عَلَيْهِ خَضِرًا وَيَعُودُ  
جِسْمُهُ نُورًا وَتَصْعَدُ رُوحُهُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ <sup>(١)</sup> .

وقال مجاهد : أول ما يكلم ابن آدم حفرته تقول : أنا بيت الدود وبيت  
الوحدة وبيت الوحشة وبيت الظلمة وبيت الغربة ، هذا ما أعددت لك يا ابن  
آدم فما أعددت لي ؟

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : ألا أخبركم بيوم فقري : يوم أدخل  
قبري .

وكان جعفر الصادق رضي الله عنه يأتي القبور ليلاً ويقول : يا أهل  
القبور ، ما لي إذا دعوتكم لا تجيبون ؟ ثم يقول : حيل والله بينهم وبين  
الجواب ، وكأنني أكون مثلهم ، وأدخل في جملتهم . ثم يستقبل القبلة حتى  
طلوع الفجر .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه لبعض جلسائه : يا فلان لقد  
أرقت البارحة تفكراً في القبر وساكنه ، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاث ليالي  
في قبره لاستوحشت منه بعد طول الأنس به ؛ ولرأيت بيتاً تجول الهوام فيه ،  
ويجري فيه الصديد ، وتخرقه الديدان ؛ مع تغير الريح وتقطع الأكفان ، وكان  
ذلك بعد حسن الهيئة وطيب الريح ؛ ونقاء الثوب . ثم شهق شهقة خر مغشياً  
عليه .

وقال بعض الحكماء : أربعة أبحر لأربع : الموت بحر الحياة ، والنفس  
بحر الشهوات ، والقبر بحر الندامات ، وعفو الله بحر الخطيئات ؛ فنسأل الله

---

(١) قال الهيثمي في « الزوائد » ٤٦ / ٣ : رواه أبو يعلى والطبراني في « الكبير » ، وفيه أبو بكر  
ابن أبي مريم ، وفيه ضعف لاختلاطه .

العظيم أن يجعل. القبر خير بيت نعيمه ونسكنه .

## فصل

واعلم أنه لو دخل شخص إلى المقابر المزخرفة ليميز السعيد من الشقي ما علم هذا من هذا ، وما يعلمه إلا علام الغيوب ، بل قد يكون قبراً من القبور قد درست أعلامه ، وقد بقي ممشى للدواب ، وصاحبه في أعلى الجنان ، وقد يكون قبراً مزخرفاً وقد عليت عليه القباب والبشخانات الحرير وصاحبه في نار جهنم ، بل نقول : لو دخل الشيخ المقابر لم يميز قبر الذكر من الأنثى ، ولا الشيخ من الشاب ، ولا الحر من العبد ؛ فإذا كان هذا التمييز الذي يمكن الشخص العاقل أن يميز بين هؤلاء في الحياة الدنيا قد أبهم علينا بعد الموت ؛ فكيف نميز السعيد من الشقي ؟

ويشبه هذا ما روي أن الاسكندر مر بمدينة قد ملكها عدة ملوك وبادوا ، فقال الاسكندر : هل بقي من نسل أولئك الملوك أحد ؟ ف قيل له : ما بقي منهم إلا رجل واحد يأوي المقابر ؛ فدعا به ؛ فلما أحضره قال له : ما حملك على لزوم المقابر ؟ قال : أردت أن أميز عظام الملوك من عظام عبيدهم فوجدت الكل سواء . قال له الاسكندر : هل لك أن تتبعني فأجيز لك بشرف آبائك إن كانت لك همة عظيمة ؟ فقال : إن لي همة عظيمة بشرط إن كانت بغيتي عندك تبعتك . قال : وما بغيتك ؟ قال : حياة لا موت فيها ، وشباب ليس معه هرم ، وغنى ليس معه فقر ، وسرور ليس معه حزن . قال الاسكندر : أليس ذلك عندي ولا بيدي ؟ ، فقال : أي خير أرجوه عندك إن لم يكن عندك هذه الأشياء ؟ فامض لشأنك ودعني أطلب ذلك ممن يملكه وهو عنده . ثم عاد إلى مكانه ولم يلتفت إلى الاسكندر .

وكان عطاء السليمي رحمه الله إذا جن الليل خرج إلى المقابر فيقول : يا أهل القبور ، متم فواموتاه ، وعايئتم أعمالكم فواعملاه ، ثم يقول : غدا يكون عطاء في القبور ، فلا يزال ذلك دأبه حتى يصبح .

وقال سفيان الثوري : من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من النار .

ومر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالمقابر فوقف عليها قليلا فقال : السلام عليكم أهل الديار الموحشة ، والمحال المقفرة ، أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع ، وبكم عما قليل لاحقون ، اللهم اغفر لنا ولهم ، وتجاوز عنا وعنهم ، طوبى لمن ذكر المعاد ، وعمل للحساب ، وقنع بالكفاف ، ورضي في جميع أحواله عن الله تعالى . ثم قال : يا أهل القبور أما الزوجات فقد نكحت ، وأما الديار فقد سكنت ، وأما الأموال فقد قسمت ، هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال : أما إنهم لو تكلموا لقالوا : وجدنا خير الزاد التقوى .

ويروى أن رجلا دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فرآه قد تغير من كثرة العبادة ، فجعل يتعجب من تغير لونه وإستحالة صفته ، فقال له عمر : يا ابن أخي ، وما تعجبك مني ! فكيف لو رأيتني بعد دخولي قبري بثلاث ؟ وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين ، وتقطعت الشفتان ، وتقلصت عن الأسنان ، وخرج الصديد والدود من المنخرين والفم ، وانتفخ البطن فعلا على الصدر ، لو رأيت إذ ذاك مني فهو أعجب مما رأيته الآن .

واعلم رحمك الله أنه من علم مصيره إلى هذه الحفرة المظلمة الموحشة لم يبالغ في تحسين ظاهرها ، مع علمه بما يؤول صاحبها إليه ؛ مع ترافه جسمه وحسن منظره ، ولين بدنه ، فإنه عن قريب سيطرح في حفرة تتقطع فيها أوصاله ، وتتغير فيها أحواله ، ثم ينتن بعد ذلك ويفر من رائحته من كان عنده من أحب الناس إليه إذا اطلع عليها .

فإذا نظر العبد بعين بصره وبصيرته إلى قبور المترفين من أهل الدنيا رأى كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا أبداً في لذاتهم وطيب عيشهم ، هم والله صرعى

قد حلت بهم المثلات ، واستحكم فيهم البلاء وأصاب الهوام في أجسادهم  
فأطيبهم وأنعمهم من قد أمن من عذاب الله عز وجل .

قال ثابت البناني : دخلت المقابر فلما أردت الخروج منها إذا أنا  
بصوت يقول : يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس معذبة فيها .

\*\*\*

## الباب الخامس والعشرون

### في أن الله ثبت الذين آمنوا عند المسألة

قال الله تعالى : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [ابراهيم : ٢٧] . قال أكثر المفسرين : هي كلمة التوحيد ، وهي قول : لا إله إلا الله في الحياة الدنيا - يعني قبل الموت - وفي الآخرة - يعني في القبر - وذهب بعض المفسرين إلى أن قال : في الحياة الدنيا في القبر عند السؤال ، وفي الآخرة : عند البعث ، والأول أصح .

عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ بِرَبِّهِ قَبْرِهِ فَشَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ وفي لفظ : نزلت في عذاب القبر . يقال له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ونبي محمد ، وذلك قول الله : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ..﴾ الآية » . رواه البخاري ومسلم ، ورواه أحمد مطولاً ، وأهل السنن والمسانيد (١) .

---

(١) رواه البخاري ٣ / ١٨٤ في الجنائز : باب ما جاء في عذاب القبر ، وفي تفسير سورة إبراهيم : باب يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ، ومسلم رقم (٢٨٧١) في صفة الجنة : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار والترمذي رقم (٣١١٩) في التفسير : باب ومن سورة إبراهيم عليه السلام ، وأبو داود رقم (٤٧٥٠) في السنة : باب المسألة في القبر وعذاب القبر ، والنسائي ١٠١ / ٦ في الجنائز باب عذاب القبر ، ابن ماجه رقم (٤٢٦٩) في الزهد : باب ذكر القبر والبلوى ..

ورواه الإمام أبو داود في «سننه» <sup>(١)</sup> بآتم من هذا من حديث البراء أيضاً ولفظه : قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولم يلحد ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت به الأرض ، فرفع رأسه وقال : « اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » مرتين أو ثلاثاً ، وذكر صفة قبض الروح وعروجها إلى السماء ، ثم عودها إليه إلى أن قال : « وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفَقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلُّوا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ : يَا هَذَا ، مَنْ رَبُّكَ ؟ وَمَا دِينُكَ ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟ » وفي لفظ « فَيَأْتِيَهُ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ وَيَقُولَانِ لَهُ : مَا دِينُكَ ، فَيَقُولُ : دِينِي الْإِسْلَامُ ، فَيَقُولَانِ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللَّهِ . فَيَقُولَانِ : وَمَا يُدْرِيكَ ؟ فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ وَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ . فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ قَالَ : فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ صَدَقَ عَبْدِي ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْبُسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ . قَالَ : فَيَأْتِيَهُ مِنْ رُوحِهَا وَطِيْبَهَا . قَالَ : وَيُفْسَحُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ . قَالَ : وَإِنَّ الْكَافِرَ ، فذكر موته ، قَالَ : وَتُعَادُ رُوحُهُ إِلَى جَسَدِهِ ، فَيَأْتِيَهُ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ وَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهَا لَا أَدْرِي . فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهَا لَا أَدْرِي ، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ كَذَبَ عَبْدِي ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ ، وَالْبُسُوهُ مِنَ النَّارِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى النَّارِ ؛ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا . قَالَ : وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ عَلَيْهِ أَضْلَاعُهُ ، قَالَ : ثُمَّ يَقْيِضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمَ مَعَهُ مَرْزَبَةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَاباً . قَالَ : فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ

(١) رقم (٤٧٥٣) في السنة : باب في المسألة في القبر وعذاب القبر ، وهو حديث صحيح ، وانظر تمة الحديث في ص (٢٦٧) . و«شرح العقيدة الطحاوية» بتحقيقنا ص (٤٥٢ - ٢٥٤) .



إِلَّا الثَّقَلَيْنِ ، فَيَصِيرُ تَرَابًا ، ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ » ورواه الطبراني بأتم من هذا .

فقد اشتمل هذا الحديث على فوائد منها : التثبيت لأهل الإسلام والإيمان الذين آمنوا بالله ، وما جاء من عند الله وصدقوا به وآمنوا برسوله واتبعوه ؛ ومنها الإيمان بعذاب القبر وإعادة الروح إلى الجسد وغير ذلك من الأمور التي لا تحضرني كما سأذكره مفصلاً بعد إن شاء الله .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرَعَ نِعَالِهِمْ إِذَا انْصَرَفُوا . قال : يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَقْعَدَانِهِ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . قال : فَيُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْذَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ . قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا » ، قال قتادة : وَذَكَرْنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا ، وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ . وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْكَافِرُ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا تَقُولُ النَّاسُ فِيهِ . فَيُقَالُ : لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ » رواه البخاري ومسلم <sup>(١)</sup> .

وقد روي مثل حديث البراء وحديث أنس في قبض الروح والمسألة ونعيم صاحب القبر وعذابه عن أبي هريرة وحذيفة بن اليمان وغيرهما .  
فرواه الإمام أحمد في « مسنده » ، وابن حبان في « صحيحه » <sup>(٢)</sup> من

---

(١) رواه البخاري ٣ / ١٨٨ و ١٨٩ في الجنائز : باب ما جاء في عذاب القبر ، وباب الميت يسمع خفق النعال ، ومسلم رقم (٢٨٧٠) في الجنة : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، وأبو داود رقم (٣٢٣١) في الجنائز : باب المشي في النعل بين القبور ، والنسائي ٤ / ٩٧ و ٩٨ في الجنائز : باب مسألة الكافر ، وأحمد ٣ / ٢٣٣ .

(٢) وابن حبان رقم (٧٨١) « موارد » والحاكم ١ / ٣٧٩ و ١ / ٣٨٠-٣٨١ قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٣ / ٥٢ : رواه الطبراني « الأوسط » [ (٢٦٥١) ] واسنده حسن .

حديث أبي هريرة ولفظه أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : « إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتْ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ ؛ وَكَانَ الصَّيَّامُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ وَالصَّدَقَةُ وَالصَّلَاةُ وَالْمَعْرُوفُ وَالْإِحْسَانُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ ، فَيَأْتِيَانِ مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ : مَا قَبْلِي مَدْخُلٌ ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ عَنْ يَمِينِهِ فَيَقُولُ الصَّيَّامُ : مَا قَبْلِي مَدْخُلٌ ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قَبْلِ شِمَالِهِ فَتَقُولُ الزَّكَاةُ : مَا قَبْلِي مَدْخُلٌ ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قَبْلِ رِجْلَيْهِ فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَاةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ : مَا قَبْلِي مَدْخُلٌ ؛ فَيُقَالُ : اجْلِسْ ، فَيَجْلِسُ قَدْ مَثَلَتْ لَهُ الشَّمْسُ قَدْ أَضَاءَتِ الْغُرُوبُ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ ؟ فَيَقُولُ : دَعُونِي حَتَّى أَصْلِيَ ، فَيُقَالُ إِنَّكَ سَتُصَلِّي ؛ أَخْبَرْنَا عَمَّا نَسَأَلُكَ عَنْهُ ، أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ وَمَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . فَيُقَالُ لَهُ : عَلَى ذَلِكَ حُيِّتَ ، وَعَلَى ذَلِكَ تَمُوتُ ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ . فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا ، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا ، ثُمَّ يُفْسَحُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا ، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ، وَيُعَادُ الْجَسَدُ لِمَا بَدَأَ مِنْهُ فَيَجْعَلُ نَسْمَةً فِي النَّسِيمِ الطَّيِّبِ ، وَهِيَ طَيْرٌ يَعْلُقُ مِنْ شَجَرِ الْجَنَّةِ ، قَالَ : فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ، فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ . وَذَكَرَ فِي الْكَافِرِ ضِدَّ ذَلِكَ إِلَى أَنْ قَالَ : يَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ إِلَى أَنْ تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ ، فَتِلْكَ الْمَعِيشَةُ الضَّنْكَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [ طه : ١٢٤ ] وهذا مختصر من الحديث .

(١) رقم (٢٨٧٢) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها : باب عرض مقعد الميت من الجنة او النار عليه .

ورواه مسلم في «صحيحه»<sup>(١)</sup> من حديث أبي هريرة أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إِذَا خَرَجْتَ رُوحَ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا - فذكر ريح طيبها وذكر المسك - قال : فَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ : رُوحَ طَيِّبَةٍ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتَ تَعْمُرِينَهُ ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ ثُمَّ يَقُولُ : انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ » قال : « وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ ، [ قَالَ حَمَادٌ ] وَذَكَرَ مِنْ نَتْنِهَا وَذَكَرَ اللَّعْنُ ، فَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ : رُوحَ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ ، قال : فَيَقَالُ : انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ » قال أبو هريرة : فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِيْطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ عَلَى أَنْفِهِ هَكَذَا .

وفي رواية أخرى : « فَيَقُولُ عَبْدُكَ فَلَانٌ - يعني مؤمن - فَيَقُولُ : أَرْجِعْهُ ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتَهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى . قال : فَإِنَّهُ يَسْمَعُ حَقْقَ نَعَالِ أَصْحَابِهِ إِذَا وَلُّوا عَنْهُ ، فَيَأْتِيهِ آتٍ . وفي لفظ : فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا : الْمُنْكَرُ ، وَلِلْآخَرِ : النَّكِيرُ .

ففي الترمذي<sup>(١)</sup> : « فَيَقُولَانِ ، - وفي غيره : فَيَقُولُ : مَنْ رَبُّكَ ، مَا دِينُكَ ، مَنْ نَبِيُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللَّهُ ، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ ، وَنَبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَتَهَرَّهُ فَيَقُولُ : مَنْ رَبُّكَ ، مَا دِينُكَ ، مَنْ نَبِيُّكَ ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ... ﴾ الآية [ ابراهيم : ٢٧ ] . فَيَقُولُ كَمَا قَالَ ، فَيَقُولُ لَهُ : صَدَقْتَ ، ثُمَّ يَأْتِيهِ آتٍ حَسَنُ الْوَجْهِ ، طَيِّبُ الرَّيْحِ ، حَسَنُ الثِّيَابِ ، فَيَقُولُ : أَبَشِّرْ بِكَرَامَةٍ مِنَ اللَّهِ وَنَعِيمٍ مُقِيمٍ ، فَيَقُولُ : وَأَنْتَ فَبَشِّرْكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ ، مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ كُنْتَ وَاللَّهُ سَرِيعاً فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، بَطِئاً عَنْ

(٢) رقم (١٠٧١) في الجنازات : باب ما جاء في عذاب القبر ، وحسنه الترمذي ، وهو كما

قال .

مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ وَبَابٌ مِنَ النَّارِ ، فَيَقُولُ : هَذَا مَنْزِلُكَ لَوْ عَصَيْتَ اللَّهَ أَبَدْتُكَ بِهِ هَذَا ، فَإِذَا رَأَى مَا فِي الْجَنَّةِ قَالَ : رَبِّ عَجِّلْ قِيَامَ السَّاعَةِ كَيْمَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي ، فَيُقَالُ لَهُ : اسْكُنْ ؛ وَفِي لَفْظٍ يُقَالُ لَهُ : نَمْ كَنَوْمَةِ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ . وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَتْ عَلَيْهِ مَلَائِكَةٌ غَلَاظُ شِدَادٍ فَانْتَزَعُوا رَوْحَهُ . كَمَا يُنْتَزَعُ السُّفُودُ الْكَثِيرُ الشَّعْبِ مِنَ الصُّوفِ الْمُبْتَلِ ، وَيُنْتَزَعُ نَفْسُهُ مَعَ الْعُرُوقِ ، فَيَلْعَنُهُ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ ، وَتُعْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ أَنْ لَا يُعْرِجَ بِرَوْحِهِ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَإِذَا عُرِجَ بِرَوْحِهِ قَالُوا : رَبِّ فَلَانِ عَبْدُكَ ، قَالَ : أَرْجِعُوهُ فَإِنِّي عَاهَدْتُ إِلَيْهِمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أَخْرَجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى ، فَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِ أَصْحَابِهِ إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ . قَالَ : فَيَأْتِيهِ آتٍ ، فَيَقُولُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي ، فَيُقَالُ : لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ، فَيَأْتِيهِ آتٍ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِهَوَانٍ مِنَ اللَّهِ وَعَذَابٍ مُقِيمٍ ، فَيَقُولُ : وَأَنْتَ فَبَشِّرْكَ اللَّهُ بِالْشَّرِّ ، مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ ، كُنْتُ بَطِيئًا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ، سَرِيعًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، فَجَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا ، ثُمَّ يَقِيضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمٌّ أَبْكَمٌ فِي يَدِهِ مِرْرَبَةٌ لَوْ ضَرَبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً فَيَصِيرُ تُرَابًا ، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا كَانَ ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ - قَالَ الْبَرَاءُ : ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ وَيُمَهِّدُ لَهُ مِنْ فُرْشِ النَّارِ » ورواه الإمام أحمد (١) .

وروى أحمد والحافظ ابن منده بإسناد حسن من حديث البراء أيضاً بأتم مما تقدم من حديث أبي هريرة والبراء قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فاتھينا إلى القبر ، فجلس فجلسنا ، كأن على أكتافنا

(١) رواه أحمد في « المسند » ٢٨٨/٤ و٢٩٦ وإسناده صحيح .

فلق الصخر ، وعلى رؤوسنا الطير ، فأرم قليلاً - والإمام السكوت - فلما رفع رأسه قال : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَحَضَرَهُ مَلِكُ الْمَوْتِ فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مَعَهُمْ كَفَنَ مِنَ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٍ مِنَ الْجَنَّةِ ، فَجَلَسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ - يعني ملك الموت - : أَخْرِجِي أَتَيْتِهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ - وفي رواية أَتَيْتِهَا النَّفْسَ الْمُطْمَئِنَّةَ - إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ ، قال : فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ ، فَإِذَا خَرَجَتْ نَفْسُهُ صَلَّى عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ فَيَأْخُذُهَا . وفي رواية ؛ فَإِذَا أَخَذَهَا - يعني ملك الموت - لَمْ يَدْعُوهَا فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ، حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَذَلِكَ الْحَنُوطِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبِ نَفْحَةٍ مِنْكَ وَجِدْتَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، قال : فَيَصْعَدُونَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُفْتَحُ لَهُ السَّمَاءُ وَيُشَيِّعُهُ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ . وفي لفظ : فَلَا يَمْرُونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا : مَا هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ ؟ فَيَقُولُونَ : فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى الْعَرْشِ ، فَإِذَا انْتَهَى إِلَى الْعَرْشِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيْنِ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ ، وفي لفظ - إِلَى مَضْجَعِهِ - فَإِنِّي وَعَدْتُهُمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أَخْرَجْتُهُمْ تَارَةً أُخْرَى ، فَتُعَادُ رُوحُهُ إِلَى جَسَدِهِ ، فَيَأْتِيهِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ يَشِرَانِ الْأَرْضَ بِأَنْيَابِهِمَا وَيَفْحَصَانِ الْأَرْضَ بِأَشْفَارِهِمَا ، فَيُجْلِسَانِهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : يَا هَذَا ، مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ ، فَيَقُولَانِ : صَدَقْتَ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : دِينِي الْإِسْلَامُ ، فَيَقُولَانِ : صَدَقْتَ ، ثُمَّ يُقَالُ : مَنْ نَبِيُّكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ : فَيَقُولَانِ : صَدَقْتَ ، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ ، طَيِّبُ الرِّيحِ ، حَسَنُ الثِّيَابِ ، فَيَقُولُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا - وفي لفظ فيقول : أَبْشِرْ

بِالَّذِي يُسْرُّكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ؛ فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ  
الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ ؛ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِح ، فَيَقُولُ ! رَبِّ أَقِمِ  
السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى  
مَقْعَدِهِ وَمَنْزِلِهِ مِنْهَا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ؛ وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ  
الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ الْمَوْتِ نَزَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ نَارٍ - وفي  
لفظ : مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ - قال : فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّةً بِصَرِهِ -  
وَجَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ : اخْرِجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ ،  
اخْرِجِي إِلَى غَضَبِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ ، فَتَفَرَّقَ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ كَرَاهِيَةٍ أَنْ تَخْرُجَ  
لِمَا تَرَى وَتُعَايِنَ ، فذكر خروجها كما تقدم وتنن ريحها ووضعها في تلك  
المسوح ولعن الملائكة لها وغلق أبواب السماء دونها ، ثم قرأ رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ﴿ لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى  
يَبْلُغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [الاعراف : ٤٠] فيقول الله عز وجل : اكْتُبُوا  
كِتَابَ عَبْدِي فِي سِجِّينَ : فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى ، فَتَطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا ثُمَّ قَرَأَ  
﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي  
مَكَانٍ سَحَابٍ ﴾ [الحج : ٣١] فَيَأْتِيهِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ يَشِيرَانِ الْأَرْضَ بِأَنْيَابِهِمَا  
وَيَفْحَصَانِ الْأَرْضَ بِأَشْفَارِهِمَا ، أَصَوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ ، وَأَبْصَارُهُمَا  
كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ ، فَيَجْلِسَانِهِ ثُمَّ يَقُولَانِ : يَا هَذَا ؛ مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : لَا  
أَدْرِي ، فَيَنَادِي مِنَ جَانِبِ الْقَبْرِ : لَا دَرَيْتَ ، فَيَضْرِبَانِهِ بِمِرْزَبَيْهِ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ  
اجْتَمَعَ عَلَيْهَا مِنْ بَيْنِ الْخَافِقِينَ لَمْ تَقُلْ ، وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ  
أَصْلَاعُهُ ، فَلَا يَزَالُ مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ . . . » وذكر تمام  
الحديث كما تقدم (١) .

(١) رواه أحمد في « المسند » ٢٨٧ / ٤ و ٢٩٥ و ٢٩٦ ، وأبو داود رقم (٤٧٥٣) في السنة : باب  
في المسألة في القبر وعذاب القبر ، والنسائي ١٠١ / ٤ في الجنائز : باب عذاب القبر ، والحاكم =

ورواه أبو داود أيضاً بطوله هذه الرواية ، وأبو حاتم ابن حبان في « صحيحه » . وروى النسائي وابن ماجه أوله . ورواه أبو عوانة يعقوب ابن اسحاق الاسفراييني في « صحيحه » . وأما ابن منده فرواه في « كتاب الإيمان » بطوله . وقال : هذا إسناد متصل مشهور ، ولم أذكر سنده للاختلاف فيه . قال أبو عوانة : قال زاذان الكندي : سمعت البراء ، وقال غيره : لم يسمعه من البراء ، والله أعلم .

وفي « صحيح البخاري » و « مسلم » عن مالك بن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَيُقَالُ : هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ورواه الإمام أحمد أيضاً في « مسنده » (١) .

## فصل

وليعلم أن النار والخضرة التي ورد ذكرهما في القبر كما تقدم ليست من نار الدنيا ولا الخضرة زرع الدنيا ، وإنما هي من نار الآخرة ، ومن خضرها ، وهما أبلغ وأشد من نار الدنيا وخضرها ؛ فإن من قضى بعدابه ، فإنه يحمي عليه ذلك التراب وتلك الحجارة التي فوقه وتحتة ، أو اللبن حتى يكون أعظم حرّاً من جمر الدنيا ، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك ، ولم يروا إلا تراباً وحجارة ولبناً ، بل قد يدفن شخصان : أحدهما إلى جنب صاحبه ، هذا في

= ٣٧/١ - ٤٠ ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، وأقره الذهبي وهو كما قال .

(١) رواه البخاري ٣/ ١٩٣ في الجنائز : باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، وفي بدء الخلق : باب ما جاء في صفة الجنة ، وفي الرقاق : باب سكرات الموت ، ومسلم رقم (٢٨٦٦) في الجنة : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، والموطأ ١/ ٢٣٩ في الجنائز : باب جامع الجنائز ، والترمذي رقم (١٠٧٢) في الجنائز : باب ما جاء في عذاب القبر ، والنسائي ٤/ ١٠٧ في الجنائز : باب وضع الجريدة على القبر ، وأحمد في « المسند » ٢/ ١٦ و ٥١ و ١١٣ و ١٢٣ .

حفرة من حفر النار ، وهذا في روضة من رياض الجنة ، لا حر هذا يصل إلى هذا ، ولا نعيم هذا يصل إلى هذا ، وقدرة الرب عز وجل أوسع وأبلغ وأعجب من ذلك ، وكل ذلك حتى يحصل للمؤمنين اجتهد وخوف من الله تعالى ، ومراقبته في السر والعلانية ، فينتج من ذلك مضاعفة الأجر العظيم ، والثواب الجزيل ؛ لأن ما ذكرناه هو من الإيمان بالغيب ويعلم المؤمن أن أمامه أهوال وعقبات- نسأل الله السلامة - وما ذكرته وإن كان من المغيبات قد يطلع الله بعض خلقه على ما يشاء من عجائب قدرته ، كما في « الصحيح »<sup>(١)</sup> أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافُنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَا أَسْمَعُ » .

وفي « الصحيح » أيضاً : أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين وقال : « إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ . . . » الحديث المشهور<sup>(٢)</sup> .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله - في كتاب الروح له - حدثني صاحبنا أبو عبد الله بن الوزير الحراني أنه خرج من داره بعد العصر بآمد إلى بستان . قال : فلما كان قبل غروب الشمس توسطت القبور ، فإذا بقبرٍ منها وهو جمرة نارٍ مثل كور الزجاج والميت في وسطه ، فجعلت أمسح عيني وأقول : أنا نائم أم يقظان ؟ ثم التفت فإذا سور المدينة . قلت : والله ما أنا نائم ، ثم ذهب إلى أهلي وأنا مدهوش ، فأتوني بطعام فلم أستطع أن آكل ، ثم دخلت البلد ، فسألت عن صاحب ذلك القبر ، فقالوا : رجل مكاس توفي ، فإذا به توفي ذلك اليوم ، انتهى ما ذكره .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٨٦٨) في صفة الجنة : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، والنسائي ٤ / ١٠٢ في الجنائز : باب عذاب القبر ، وابن حبان رقم (٧٨٦) في الجنائز : باب الراحة في القبر وعذابه ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) تقدم تخريجه ص (٢٤٥) رقم (٢) .



وقد ذكر ابن أبي الدنيا في « كتاب القبور » و « كتاب المنامات » من هذا النوع شيئاً كثيراً عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، في الخير والشر ؛ فمن رام المطالعة فليطلب ذلك في وضعه .

ومما ذكر مرفوعاً أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : مررت ببدر فرأيت رجلاً يخرج من الأرض فيضربه رجل بمعمع حتى يغيب في الأرض ، ثم يخرج فيفعل به ذلك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذَاكَ أَبُو جَهْلٍ بنِ هِشَامٍ يُعَذَّبُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » (١) .

## فصل في البرزخ

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [ المؤمنون : ١٠٠ ] فالبرزخ اسم لما بين الدنيا والآخرة ، وهذه الآية دالة عليه ؛ وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة ؛ وعذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه ؛ فجعل الله سبحانه وتعالى الدُّور ثلاثة : دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار ، وجعل لكل دارٍ أحكاماً تختص بها ، وركب هذا الانسان من بدن ونفس ، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبع لها ، ولهذا جعل الله تعالى الأحكام الشرعية على ما يظهر من حركات الإنسان والجوارح ، وإن كان في النفس خلاف ما ظهر منها ، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والابدان تبع لها ؛ فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا في نعيمها وعذابها ، تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها ، ، فالأرواح في البرزخ هي المباشرة للنعيم والعذاب ، ثم يسري الى أبدانها ، كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان فتسري إلى أرواحها ؛ فالأبدان في الدنيا ظاهرة

---

(١) قال الهيثمي في « المجمع » ٣ / ٥٧ : رواه الطبراني في « الأوسط » من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وفيه عبد الله بن محمد بن المغيرة ، وهو ضعيف .

والأرواح خفية ، والأرواح في البرزخ ظاهرة والأبدان خفية ، وإذا أردت أن تعلم ذلك فخذ في نوم الشخص في الدنيا فإنه ينعم في حال نومه أو يعذب ، فهو يجري على روحه أصلاً والبدن تبع لها ، وقد يقوي التأثير في البدن النوم حتى يشاهد ، وهذا والله أعلم غالب الناس يشاهد هذا في منامه .

ولقد أخبرني الشيخ نصير المقدسي - وكان من صلحاء أهل مدرسة شيخ الإسلام أبي عمر - قال لي : ثلاث ليال أرى في النوم كأن أناساً يستعملونني بالفاعل(\*) ، وأخاف منهم خوفاً شديداً ، فأعملُ ثم أصبح في هذه الأيام وأنا تعبان في غاية التعب ثم قال لي : انظر إلى يدي ؛ فنظرت وإذا بكفيه شلافيط كبار ، فكان ينزل الفجر يقرئ الناس ، فامتنع من النزول في تلك الأيام ، ثم إنني أرشدته إلى ذكر يقوله عند النوم لعله أن يصرف عنه ما يجد ، وربما قص عليّ منامات لبعض الناس يرى أنه يأكل أو يشرب ، فستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه ، وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في حال نومه ، ويبطش ويضرب في الهواء ، أو يدافع عن نفسه ، وربما صرخ بأعلى صوته كأنه يقظان وهو لا شعور له بشيء من ذلك ؛ لأن الروح استعانت بالبدن ، ولو دخلت فيه لاستيقظ ، وإنما مثلت لك ذلك حتى تعلم صحة ما ذكرته لك في أول هذا الفصل ، والله أعلم .

## فصل

وينبغي للعبد إذا تفكر بعين بصيرته ؛ وعلم مآله إلى هذه الحفرة ما أعدّ له فيها ، أن يجتهد في العبادة ، ويكثر من الأعمال الصالحة ، ويعلم أن عمله يعرض على أقاربه من الأموات ؛ كما ورد في الخبر من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَعْمَالَكُمْ

---

(\*) أي بالأعمال الشاقة ، وفي الشام يسمى كل من يعمل أعمالاً شاقة أنه يعمل بالفاعل .

تُعَرِّضُ عَلَى أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنَ الْأَمْوَاتِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا اسْتَبَشَرُوا ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ ، قَالُوا : اللَّهُمَّ لَا تُمِتَّهُمْ حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا » رواه الإمام أحمد في « مسنده » (١) .

وروى ابن أبي شيبة بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَفْضَحُوا مَوْتَكُمْ بِسَيِّئَاتِ أَعْمَالِكُمْ ، فَإِنَّهَا تُعَرِّضُ عَلَى أَوْلِيَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ » (٢) فكان أبو الدرداء يقول : اللهم أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزى به عند عبد الله بن رواحة ؛ فنعوذ بالله من الافتضاح بين الأقارب الصالحاء أهل طاعة الله تعالى ، ثم نعوذ بالله من الافتضاح غداً بين يدي أحكم الحاكمين على رؤوس الخلائق ؛ بل نسأل الله تعالى التوفيق لما يحبه ويرضاه .

قال مجاهد : إنه ليبشر المؤمن بصلاح ولده من بعده لِيَقَرَّ بِذَلِكَ عَيْنُهُ .

## فضل

وأما تلقين الصغار ؛ فقد قال الإمام أبو عمرو بن الصلاح : أما تلقين الطفل الرضيع فما له مستند يعتمد عليه ، ولا نراه ، والله أعلم .

وقال النووي رحمه الله : الصواب أنه لا يلحق الصغير سواء كان رضيعاً أو أكبر منه ، ما لم يبلغ ؛ إذ يصير مكلفاً ؛ والله أعلم .

وقال العلامة موفق الدين في « المغني » : التلقين بعد الدفن لم أجد

(١) رواه أحمد في « المسند » ١٦٥/٣ ، قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٣٢٩/٢ : رواه

أحمد وفيه رجل لم يسم . قال الألباني في « الأحاديث الضعيفة » (٨٦٣) : ضعيف .

(٢) قال الحافظ العراقي في « تخريج الإحياء » ٤٩٧/٤ : أخرجه ابن أبي الدنيا والمحاملي

باسناد ضعيف ، ولأحمد من رواية : « من سمع إنساناً عن أنس : « ان أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات . . . » الحديث . اهـ . تقدم قبله .

فيه عن أحمد شيئاً ، ولا أعلم فيه للأئمة قولاً سوى ما رواه الأثرم قال : قلت لأبي عبد الله فهذا الذي يصنعون إذا دفن الميت يقف الرجل ويقول : يا فلان ابن فلانة . . . الحديث المعروف . قال : ما رأيت أحداً يفعل هذا إلا أهل الشام حين مات أبو المغيرة جاء إنسان فقال ذلك ؛ ثم قال بعد كلام : وقال القاضي أبو الخطاب : يستحب ذلك . وروى فيه عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : « إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَسَوِّتُمْ عَلَيْهِ التُّرَابَ فَلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ عِنْدَ رَأْسِ قَبْرِهِ ثُمَّ لِيَقُلْ : يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانَةٍ ، فَإِنَّهُ يَسْمَعُ وَلَا يُجِيبُ ، ثُمَّ لِيَقُلْ : يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانَةٍ الثَّانِيَةَ ، فَيَسْتَوِي قَاعِدًا ، ثُمَّ لِيَقُلْ : يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانَةٍ فَإِنَّهُ يَقُولُ : أَرَشِدْنَا يَرْحَمَكَ اللَّهُ ، وَلَكِنْ لَا تَسْمَعُونَ ، فَيَقُولُ : اذْكُرْ مَا خَرَجْتَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنْكَ رَضِيتَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ، وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا ؛ فَإِنَّ مُنْكَرًا وَنَكِيرًا يَأْخُذُ بِيَدِ صَاحِبِهِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَيَقُولُ : انْطَلِقْ فَمَا يَقْعِدُنَا عِنْدَ هَذَا وَقَدْ لَقِّنَ حُجَّتَهُ ؟ وَيَكُونُ اللَّهُ حَجِيجَهُ دُونَهُمَا ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَإِنْ لَمْ يُعْرِفْ اسْمَ أُمِّهِ قَالَ : فَلْيَنْسَبْ إِلَى حَوَاءٍ » رواه ابن ماجه أيضاً في « كتاب ذكر الموت » (١) .

## فصل

ومن غرائب ما ذكره أبو محمد بن حزم في كتابه في « الملل والنحل » . قال : وأما من ظن أن الميت يحيا في قبره يوم القيامة فخطأ . لأن الآيات التي ذكرناها تمنع من ذلك ، وكان قد ذكر قبل ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا

---

(١) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٣ / ٤٥ ، وقال : رواه الطبراني في « الكبير » ، وفي سنده جماعة لم أعرفهم . وقال الحافظ ابن حجر في « أمالي الأذكار » بعد تحريجه : فيما ذكره ابن علان في « الفتوحات الربانية » ٤ / ١٩٦ : حديث غريب ، وسند الحديث من الطريقين ضعيف جداً . جداً . انظر « الإرداء » (٧٥٣) .

اَثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اِثْنَتَيْنِ ﴿ [ غافر : ١١ ] وقوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَكُنْتُمْ اَمْوَاتًا فَاَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [ البقرة : ٢٨ ] ثم قال : ولو كان الميت يحيا في قبره لكان تعالى أمتنا ثلاثاً وهذا باطل وخلاف القرآن ، إلا من أحياه الله آية لنبي من الأنبياء ، فصح بنص القرآن أن أرواح سائر من ذكرنا لا ترجع إلى أجسادها إلا إلى أجل مسمى - وهو يوم القيامة - وأخبر يوم بدر إذ خاطب الموتى أنهم قد سمعوا قوله قبل أن يكون لهم قبور ، ولم ينكر على الصحابة قولهم قد جِئُوا . واعلم أنهم سامعون قوله مع ذلك ، فصح أن الخطاب والسماع لأرواحهم فقط بلا شك ، وأما الجسد فلا حس له . وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [ فاطر : ٣٥ ] فنفى السمع عمن في القبور وهي أجساد ، ولم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك خبر صحيح أن أرواح الموتى ترد إلى أجسادهم عند المسألة ، ولو صح ذلك عنه لقلنا به ؛ وإنما هذه رواية شاذة عن المنهال بن عمرو وحده ، وليس بالقوى ، تركه شعبة وغيره . وقال جماعة من الحفاظ : ما جازت للمنهال شهادة الإسلام قط . انتهى كلامه .

فهذا مضمون ما ذكره ومن اطلع على ما قدمته من الأحاديث وآمن بها وصدقها ؛ فليحمد الله تعالى على التوفيق لذلك ، فإنه لو لم تكن هذه الأحاديث كان إجماع الناس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على إعادة الروح في الجسد لأجل المسألة ، كيف وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم . بل قد كفانا الرسول صلى الله عليه وسلم أمر هذه المسألة ، وأغنانا عن أقوال الناس ، حيث صرح بإعادة الروح إليه خطأ ، فجوابه مردود بالنصوص الصريحة المتقدم ذكرها ، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « فتعاد روحه في جسده » بل لو قيل إن هذا إجماع الأمة على هذا ، وأنهم تلقوه بالقبول ، وأنهم مجمعون على من رد ذلك وأنكره ، إنه مخطيء . وأن تصديق ذلك من الإيمان بالبعث ، ولكن إن أراد ابن حزم أن الميت لا يحيى في قبره الحياة المعهودة في الدنيا التي يقوم فيها الروح بالبدن وتدبره وتصرفه ، ويحتاج معها

إلى الطعام والشراب واللباس ، فهذا صحيح يشهد العقل بصحة ذلك ، وإن أراد به حياة أخرى غير هذه الحياة ، بل تعاد الروح إليه غير الإعادة المألوفة في الدنيا لأجل المسألة والامتحان ، كما وردت بذلك النصوص الصحيحة ، فهذا حق ونفيه خطأ بين ، بل نفيه باطل قاذح فيمن نفاه ؛ بل قد ورد في « سنن أبي داود »<sup>(١)</sup> مرفوعاً أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : « مَا مِنْ رَجُلٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ أَخِيهِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَسَلَّمَ ، إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ رُوحَهُ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ » فهذه إعادة الروح إلى الجسد أيضاً غير الإعادة المألوفة في الدنيا لأجل رد السلام ، بل لو سلم على الميت في الليل والنهار مراراً عديدة عادت روحه لرد السلام ، ولا يلزم من ذلك أن يحيى الحياة المعروفة .

وقوله : الحديث لا يصح لتفرد المنهال بن عمرو به فهذه مجازفة ، فإن المنهال بن عمرو الأسدي يروي عن ابن حبيش . قال يحيى بن معين : هو ثقة . ونهاية ما قيل فيه ، قال أحمد : تركه شعبة . هذا مضمون ما ذكره أبو الفرج بن الجوزي في الكرم على الرجال ، ولم يذكر أن أحداً رد شهادته ، والحديث صحيح لا شك فيه ، وقد رواه عن البراء بن عازب جماعة غير المنهال منهم عدي بن ثابت ومحمد بن عقبة ومجاهد وغيرهم .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام :

أحدها - تعلقها به في بطن الأم .

---

(١) رقم (٢٠٤١) في المناسك : باب زيارة القبور ، وأحمد في « المسند » ٢ / ٥٢٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وإسناده حسن .

الثاني - تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض .

الثالث - تعلقها به في حال النوم ، فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه .

الرابع - تعلقها به في البرزخ ، فانها وإن فارقت وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها التفات إليه ، بل تعاد إليه وقت المسألة ، وترد إليه أيضاً وقت سلام المسلم ، وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب إعادة البدن قبل القيامة .

الخامس - تعلقها به يوم بعث الأجساد وهو أكمل تعلقها به ، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق البتة ، إذ هو تعلق لا يقبل البدن موتاً ولا نوماً ولا فساداً ، والله أعلم . انتهى كلامه .

فهذا العلامة ابن القيم رحمه الله قد كفانا مؤنة الرد بلا تكلف .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : الأحاديث الصحيحة المتواترة تدل على عود الروح إلى البدن وقت السؤال ، وسؤال البدن بلا روح قول طائفة من الناس ، وأنكره الجمهور ، وقابلهم آخرون فقالوا : السؤال للروح بلا بدن . وهذا ما قاله ابن مسرة وابن حزم ، وكلاهما غلط ، والأحاديث الصحيحة تردده ، والله أعلم . انتهى كلامه .

\*\*\*

## الباب السادس والعشرون

### في اجتماع الأرواح وهياتها وأين محلها

قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء : ٨٥] وقال الله تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [الحجر : ٢٩ - وص : ٧٢] وقوله : ﴿ فَفَخَنَّا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ [التحريم : ١٢] وقوله صلى الله عليه وسلم : « ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح (١) .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ [مريم : ١٧] و﴿ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ﴾ [انبأ : ٣٨] فهل هو جبريل أو ملك آخر ؟ فيه خلاف للمفسرين .

وأما كلام العلماء في هذا الباب فقد ألف الناس فيه شيئاً كثيراً ، لكن على غير هذا الترتيب ، فنذكر نبذة يسيرة جامعة لكلام غالب العلماء في مستقر الأرواح بعد الموت الى أن تقوم الساعة ، هل هي في السماء أم في الأرض ؟ وهل هي في الجنة أم في النار ؟ وهل تنعم في أجسادها وتعذب أم تودع في أجساد غير أجسادها ؟ أم تكون مجردة أو تعدم بالكلية فلا يبقى لها وجود أصلاً ؟

فقد نقلوا عن العلماء في ذلك اختلافاً كثيراً متبايناً ، ذهب كل طائفة إلى قول نصرته ورجحته على غيره ، وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، وهذه المسألة إنما تعرف من جهة الشرع بالسمع .

فمن العلماء من ذهب إلى أن أرواح المؤمنين والشهداء في الجنة

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٤٨) رقم (١) .



بشرط أن لا يحبسهم عنها ذنب عظيم ، كمظالم العباد ونحوها ، فإذا كانوا خالين من ذلك تلقاهم ربهم بالعفو والرحمة ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [ آل عمران : ١٦٩ ] ، وممن ذهب الى هذا القول أبو هريرة وعبدالله بن عمر وجماعات من السلف .

قال الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله : إن أرواح المؤمنين في الجنة ، وأرواح الكفار في النار .

وذهبت طائفة إلى أن أرواح المسلمين على أبواب الجنة يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها .

وقال أبو عبد الله بن مندة : وقالت طائفة من العلماء من الصحابة والتابعين : أرواح المؤمنين عند الله عز وجل ، ولم يزدوا على ذلك . ثم قال : وقد روي عن جماعة من الصحابة والتابعين أن أرواح المؤمنين بالجابية ، وأرواح الكفار في بئر برهوت - بئر بحضرموت - .

وقال أبو عمر بن عبد البر : أرواح الشهداء في الجنة ، وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم .

وحكى ابن المبارك عن ابن جريج فيما قرىء عليه عن مجاهد . قال : أرواح المؤمنين في الجنة يأكلون من ثمارها ، ويجدون ريحها . وقال مالك : بلغني أن الروح مرسله تذهب حيث شاءت .

وقال صفوان بن عمر : سألت عامر بن عبد الله ، هل لأنفس المؤمنين مجتمع ؟ قال : إن الأرض التي يقول الله : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [ الأنبياء : ١٠٥ ] قال : هي الأرض التي تجتمع إليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث . وقال : هي الأرض التي يورثها الله المؤمنين في الدنيا .

وقال كعب الأحبار : أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة ،  
وأرواح الكفار في سجين في الأرض السابعة .

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : أرواح الأبرار في عليين ،  
وأرواح الفجار في سجين ، وعن عبد الله بن عمر نحوه .

وذهب طائفة من العلماء الى ان أرواح المؤمنين في بئر زمزم ، ولم  
أطلع على دليل يدل على هذا القول . ثم قال : أرباب هذا القول : وأرواح  
الكفار في بئر برهوت <sup>(١)</sup> .

وقال سلمان الفارسي : أرواح المؤمنين تذهب حيث شاءت ، كما قال  
مالك - وقد تقدم - وأرواح الكفار في سجين .

وقال ابن قتيبة : ذهب جماعة من العلماء إلى أن أرواح المؤمنين على  
أفنية قبورهم . ومنهم من ذهب من أهل السنة والجماعة إلى أن أرواح  
المؤمنين والكفار في القبور ، وأن الروح تنعم وتعذب في القبر إلى يوم  
القيامة ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ، وأن القبر روضة من رياض  
الجنة ، أو حفرة من حفر النار ، ولهذا نهى عن الجلوس على القبر ، وأمر  
بالسلام عليهم ، وقال : « إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ  
وَالْعَشِيِّ ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ  
فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، يُقَالُ لَهُ ، هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » <sup>(٢)</sup> .

وذهب جماعة من العلماء إلى أن محل الأرواح ومستقرها في سماء  
الدنيا ، كما أخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء أنه رأى ليلة  
أسري به في السماء الدنيا آدم عليه السلام ، وعن يمينه أرواح أهل السعادة ،  
وعن شماله أرواح أهل الشقاوة .

---

(١) انظر « شرح العقيدة الطحاوية » لابن أبي العز ص ( ٤٥٩ ) وما بعدها بتحقيقنا ، و « كتاب  
التخويف من النار » لابن رجب الحنبلي بتحقيقنا .

(٢) تقدم تخريجه ص ( ٢٧٠ ) .

ومن هذا الباب ما ثبت في « صحيح البخاري » من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الرؤيا ، إلى أن قال فيه : فأما الرجل الطويل الذي في الروضة إبراهيم عليه السلام ، وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة ، فقليل يا رسول الله : وأولاد المشركين ؟ قال : « وأولاد المشركين » وفي رواية له : « والشَّيْخُ في أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمَ وَالصَّبِيَّانُ حَوْلَهُ أَوْلَادُ النَّاسِ »<sup>(١)</sup>، فهذا الحديث ليس هو عام في جميع الأرواح وإنما هو خاص بأرواح الصغار ، وما رأيت أحداً ذهب إلى التفرقة بين أرواح الصغار والكبار لهذا الحديث ، ولا أعلم أحد قال به ، والله أعلم .

## فصل

### في الإشارة إلى الدليل

وقد أشرنا إلى بعضه فيما تقدم ، ولو ذكرنا كل قول ، وحجج من نصره وذهب إليه ، لطال الكتاب وخرج عن موضوعه ، ولكن نذكر ما يسره الله تعالى من الأحاديث ، فمنها ما ثبت في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود - كذا وقع في نسخ معتمد عليها - ووقع في بعض النسخ عبد الله فقط ، فمن الحفاظ من يقول عبد الله بن عمرو ، ومنهم من يقول ابن مسعود ، والله أعلم بالصواب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال في الشهداء : « أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ لَهَا قَنَادِيلٌ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ »<sup>(٣)</sup> .

(١) تقدم تخريجه ص (١١٨) رقم (١) .

(٢) رواه مسلم رقم (١٨٨٧) في الإمارة : باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة ، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

وانظر ما قاله الإمام النوري رحمه الله تعالى حول هذا الحديث في « شرح صحيح مسلم » ٣٣ - ٣١/١٣ .

وفي حديث قتادة لفظ غريب . قال : « أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ فِي صُورَةِ طَيْرٍ بَيضٍ » .

قال القاضي عياض : في هذا الحديث ذكر أرواح الشهداء ، وفي حديث مالك : إنما نسمة المؤمن لم يذكر الشهداء ، والنسمة تطلق على ذات الإنسان جسماً وروحاً ، وتطلق على الروح مفردة ، وهو المراد بها في هذا الحديث ، والله أعلم . وفي الحديث دلالة على أن المراد بها الروح قطعاً ، فإنه قال : حتى يرجعه الله إلى جسده يوم القيامة ، ولكن تارة في هذا الحديث ذكر نسمة المؤمن ، وفي اللفظ الآخر أرواح الشهداء . وقد ورد في حديث ابن عمر أن غير الشهداء إنما يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، كما ورد في النظر في قوله تعالى في حق آل فرعون : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [ غافر : ٤٦ ] .

قال القاضي عياض أيضاً في موضع آخر : وقيل : المراد جميع أرواح المؤمنين الذي يدخلون الجنة بغير عذاب ، فيدخلونها الآن بدليل عموم الحديث . كذا ذكره النووي في « شرح مسلم » . وقد ورد بلفظ آخر في « صحيح مسلم » ، « أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خَضِرٍ ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا » . ليس فيه ذكر أجواف طير . وهذا إخبار منه صلى الله عليه وسلم عن الشهداء المؤمنين .

وذكر ابن مندة بإسناده عن اسماعيل بن طلحة بن عبد الله عن أبيه ، قال : أردت مالي بالغابة فأدركني الليل ، فأويت الى قبر عبد الله بن عمرو بن حرام ، فسمعت قراءة من القبر ما سمعت أحسن منها ، فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فقال : « ذاك عبد الله ، ألم تعلم أن الله قبض أرواحهم فجعلها في قناديل من زبرجد وياقوت وعلقها وسط الجنة ، فإذا كان الليل ردت اليهم أرواحهم فلا تزال كذلك حتى إذا طلع الفجر ردت أرواحهم إلى مكانهم التي كانت » . وأخبر سبحانه وتعالى عن أرواح قوم فرعون أنها تعرض على النار غدواً وعشيّاً قبل يوم القيامة ، وليس للعقول في

هذا مجال ، فإنه سبحانه وتعالى يتصرف فيها كيف شاء ، وغير مستحيل أن يصور هذا الجزء طائراً ، أو يجعل في جوف طائر ، أو في حواصل طير ، أو في قناديل معلقة بالعرش .

قال العلامة ابن القيم : وهذه حياة أرواحهم ورزقها ، والأبدان قد تمزقت .

وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحياة بأن أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ يفعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا ، قالوا : نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى . وصح عنه صلى الله عليه وسلم الحديث من غير وجه ، وفي بعض الألفاظ « تعلق من ثمر الجنة » وتعلق - بضم اللام - : تأكل العلقة .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكّل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكّلهم وحسن مقيلهم ، قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا يتركوا عن الحرب فقال الله : أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله على رسوله : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [ آل عمران : ١٦٩ ] رواه الإمام أحمد (١) .

ولا أعلم أحداً ذهب إلى أن هذا النعيم المذكور مختص بالذين قتلوا في أحد ، والله أعلم .

---

(١) رواه أحمد في «المسند» ١ / ٢٦٥ - ٢٦٦ . وأبوداود (٢٥٢٠) ، والحاكم ٢ / ٨٨ و ٢٩٧ وهو حديث حسن . انظر «شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٢» بتحقيقنا .

## فصل

وذهب ابن حزم وجماعات إلى أن مستقر الأرواح حيث كانت قبل خلق أجسادها ، قال ابن حزم : وهذا الذي أخبر الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم لا يتعداه ، وهو البرهان الواضح ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا : بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ [الأعراف ١١] فصح أن الأرواح خلقها الله تعالى جملة ، وكذلك أخبر صلى الله عليه وسلم أن : « الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ مَا تَعَارَفَ مِنْهَا اثْتَلَفَ وَمَا تَنَآكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ »<sup>(١)</sup> . وأخذ الله وشهادتها له بالربوبية وهي مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم ، وقبل أن يدخلها في الأجساد ، والأجساد يومئذ تراب وماء ، ثم آخرها حيث شاء وهو البرزخ ، ثم لا يزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها في الأجساد المتولدة من المني .

إلى أن قال ابن حزم : فصح أن الأرواح أجساد كاملة لأعراضها من التعارف والتناكر ، وأنها عرافة مميزة ، فإذا توافها الله تعالى رجعت إلى البرزخ الذي رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به عند سماء الدنيا ، أرواح أهل السعادة عن يمين آدم ، وأرواح أهل الشقاوة عن يساره ،

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٦٣٨) في البر والصلة : باب الأرواح جنود مجندة ، وأبو داود رقم (٤٨٣٤) في الأدب . باب ما يؤمر أن يجالس وأحمد في « المسند » ٢ / ٢٩٥ و ٥٢٧ و ٥٣٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ورواه البخاري تعليقاً ٦ / ٢٦٢ في الأنبياء : باب الأرواح جنود مجندة من حديث عائشة رضي الله عنها .

قوله : « الأرواح جنود مجندة » قال العلماء : معناه جموع مجتمعة وأنواع مختلفة . وأما تعارفها فهو لأمر جعلها الله عليه ، وقيل : إنها موافقة صفاتها التي جعلها الله عليها وتناسبها في شيمها ، وقيل : إنها خلقت مجتمعة ثم فرقت في أجسادها ، فسن وافقه في شيمه ألفه ، ومن باعده نافرته وخالفه .

وذلك عند منقطع العناصر ، وتعجل أرواح الأنبياء والشهداء الى الجنة . ثم قال : وقد ذكر محمد بن نصر المروزي عن إسحاق بن راهويه هذا الذي ذكرنا بعينه ، ثم قال : على هذا أجمع أهل العلم ، انتهى كلامه .

وذكر الأدلة على ذلك ولم يذكر خلافاً ، وقد تقدم ذكر الخلاف على ذلك ، وما ذكره أبو محمد بن حزم فهو يبنى على أصل . وهو أن الأرواح هل خلقت قبل الأجساد ، أو الأجساد خلقت قبل الأرواح ؟

فهذه المسألة للناس فيها قولان ، حكاهما شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره :

أحدهما : ما حكاه واختاره ابن حزم ومحمد بن نصر المروزي وقد تقدم ، وذكرنا ما استدل به .

والقول الثاني : وعليه عامة السلف والخلف أن الأجساد خلقها متقدم على الأرواح ، والأدلة متظاهرة من وجوه عديدة ليس هذا محل ذكرها ، فخلق أبي البشر الذي هو أصل الناس هكذا ، فإنه سبحانه وتعالى أرسل جبريل فقبض قبضة من الأرض ، ثم خمرها حتى صارت طيناً ، ثم صورّه ثم نفخ فيه الروح بعد تصويره ، وهذه قصة مشهورة قد وردت من عدة طرق ، تدل على أن الله سبحانه نفخ فيه من روحه بعد أن خلق جسده .

وفي « الصحيح » أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ أَحَدَكُمُ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ » الحديث المشهور<sup>(١)</sup> . فنفخ الملك فيه الروح هو سبب حدوث الروح فيه ، ولو كان للروح وجود قبل البدن وهي حية عالمة ناطقة لكانت ذاكرة في هذا العالم ، شاعرة به ولو بوجه

(١) تقدم تخريجه ص (١٤٨) رقم (١) .

ما ، ومن الممتنع أن تكون حية عالمة ناطقة عارفة بربها وهي بين ملأ من الأرواح تنتقل الى هذا البدن ولا تشعر بحالها الأول . وإذا كانت بعد المفارقة تشعر بحالها وهي في البدن على التفصيل ، وتعلم ما كانت عليه ها هنا مع أنها التبست بالبدن أموراً عاقها عن كثير من حالها ، فلأن تشعر بحالها الأول وهي غير معوقة هناك بطريق الأولى ، والله أعلم .

## فصل

في قوله صلى الله عليه وسلم : « الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ مَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ »<sup>(١)</sup> فمن العلماء كابن حزم وابن نصر المروزي وغيرهما يقول ، الأرواح مجموعة أو مجتمعة ، وأنواع مختلفة ، فهي خلقت مجتمعة ثم فرقت في أجسادها ، فمن وافقه نسيمه ألفه ، ومن باعده نافره وخالفه ، وقال الخطابي وغيره : هو ما خلقها الله عليه من السعادة والشقاوة في المبتدأ ، فالأرواح قسمين متقابلين ، فإذا تلاقت الأجساد في الدنيا ائتلفت واختلفت بحسب ما خلقت عليه ، فيميل الأخيار الى الأخيار ، والأشرار إلى الأشرار . انتهى كلامه .

ومن هذا الباب ما احتج آدم وموسى ، قال الحسن : معناه التقت أرواحها في السماء فوق الحجاج بينهما . قال القاضي عياض : ويحتمل انه على ظاهرة ، وانهما اجتماعاً بأشخاصهما .

وقد ثبت في حديث الاسراء أن النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في السموات ، وفي بيت المقدس ، وصلى بهم<sup>(٢)</sup> . قال : فلا يبعد أن الله أحياهم . قال : ويحتمل

---

(١) تقدم تخريجه ص (٢٨٥) .

(٢) حديث الإسراء رواه البخاري ٦ / ٢١٧ - ٢١٩ في بدء الخلق : باب ذكر الملائكة ، وفي الأنبياء : باب قول : ﴿ وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً ﴾ وباب قوله الله تعالى : ﴿ ذكر رحمة =



أن قصة موسى جرت في حياة موسى وأنه سأل أن يريه آدم فحاجه ، والله اعلم .

## فصل

وهل الأرواح مخلوقة محدثة كائنة بعد أن لم تكن ، أم قديمة ؟ وهي من أمر الله ولا يكون أمر الله مخلوقاً ولا مُحدثاً ، وقد أخبر أنه نفخ في آدم من روحه ، فهذه الإضافة إليه هل تدل على أنها قديمة أم لا ؟ وما حقيقة هذه الإضافة ؟

قال العلامة ابن القيم : وهذه المسألة زل فيها عالم ، وضل فيها طوائف من بني آدم ، وهدى الله اتباع رسوله فيها للحق المبين . فاجتمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على أن الروح محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة ، هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن العالم حادث ، وأن معاد الأبدان واقع ، وأن الله وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق له - حتى نبعث نابعة - فمن قصر فهمه في الكتاب والسنة زعم أنها قديمة غير مخلوقة ، واحتج بأنها من أمر الله وأمره غير مخلوق ، وبأنها أضافها إليه كما أضاف إليه علمه وحياته وقدرته ، وتوقف في ذلك آخرون فقالوا : لا نقول مخلوقة ولا غير مخلوقة ، انتهى كلامه .

وقال الحافظ ابن مندة ، لما سئل عن الأرواح ، هل هي مخلوقة أم لا ؟ فقال : إن الناس اختلفوا في معرفة الأرواح ومحلها من النفس ، فقال بعضهم : الأرواح كلها مخلوقة ، وهذا مذهب أهل الجماعة والأثر ، واحتجت بقوله صلى الله عليه وسلم : «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُّجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّتَلَفَ» الحديث . والجنود المجندة لا تكون إلا مخلوقة ، وقال بعضهم : الأرواح من

---

= ربك عبده زكريا ، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ : باب المعراج ، ومسلم رقم (١٦٤) في الإيمان : باب الإسراء برسول الله ﷺ ، والترمذي رقم (٣٣٤٣) في التفسير : باب ومن سورة ألم نشرح ، والنسائي ١ / ٢١٧ - ٢١٨ في الصلاة : باب فرض الصلاة ، من حديث أنس رضي الله عنه .

أمر الله ، أخفى الله حقيقتها وعلمها عن الخلق ، واحتجت بقوله ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء : ٨٥] وقال بعضهم : الأرواح نور من نور الله تعالى ، وحياة من حياته . واحتجت بقوله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ وَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ » <sup>(١)</sup> . انتهى كلامه .

وقال محمد بن نصر المروزي : تأول صنف من الزنادقة ومن الروافض في روح آدم ، ما تأولته النصارى في روح عيسى ، وما تأوله قوم من أن الروح انفصل من ذات الله فصار في المؤمن ، فقال صنف من الزنادقة ، وصنف من الروافض : إن روح آدم غير مخلوق وتأولوا قوله تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [الحجر : ٢٩ وص : ٧٢] وقوله : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [السجدة : ٩] ثم قال بعد كلام طويل : ولا خلاف بين المسلمين أن الأرواح التي في آدم وبنيه وعيسى ومن سواه من بني آدم كلها مخلوقة لله ، خلقها وأنشأها وكونها واخترعها ، انتهى كلامه .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة . وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة ، غير واحد من أئمة المسلمين ، مثل محمد بن نصر المروزي ، وأبو محمد بن قتيبة وغيرهما ، وذكر كلاماً طويلاً وبحثاً كثيراً يطول ذكره ، والله أعلم .

## فصل مهم نافع

من استدل بإضافة الروح الى الله تعالى بقوله : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [الحجر : ٢٩ ص : ٧٢] فينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله سبحانه وتعالى نوعان :

أحدهما : صفات لا تقوم بأنفسها ، كالعلم والقدرة والكلام والسمع

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٢ / ١٧٦ و ١٩٧ ، والترمذي رقم (٢٦٤٢) في الإيمان : باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وهو حديث صحيح . انظر « الأحاديث الصحيحة » (١٠٧٦) .

والبصر ، فهذه إضافة صفة إلى موصوفها ، صفات له غير مخلوقة ، وكذلك وجهه ويده سبحانه وتعالى .

والثاني : إضافة أعيان منفصلة عنه ، كبيت الله ، وناقة الله ، وعبد الله ، ورسول الله ، وروح الله ، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه ، ومصنوع إلى صانعه ، لكنها إضافة تقتضي تخصيصاً وتشريفاً يتميز به المضاف إليه عن غيره ، كبيت الله ، وإن كانت البيوت كلها ملكاً لله ، وكذلك ناقة الله ، والنوق كلها ملكه وخلقه ، ولكن هذه إضافة إلى إلهيته تقتضي محبته لها وتشريفه ، بخلاف الإضافة العامة إلى ربوبيته حيث تقتضي خلقه وإيجاده ، هذا خلق الله ، فالعامة تقتضي الخلق والإيجاد ، والخاصة تقتضي الاختيار ، والله يخلق ما يشاء ويختار ، وإضافة الروح إليه من هذه الإضافة الخاصة لا من العامة ، ولا من باب إضافة الصفات .

فتأمل هذا الموضع فإنه ينفكك من التخلص من البدع ، فقد ضل فيه خلق كثير ، نسأل الله العصمة .

## فصل

وهل الأرواح تموت ام الموت للأبدان خاصة ؟

فقد اضطربت مقالات الناس في هذا الباب ، فقالت طائفة : تموت وتذوق الموت ، لأنها نفس وكل نفس ذائقة الموت .

قالوا : وقد دل القرآن عليه بقوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ \* وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [ الرحمن : ٢٦ و ٢٧ ] وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [ القصص : ٨٨ ] و ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [ آل عمران : ١٨٥ ] .

قالوا : وإذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت . وقال في حق أهل النار : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ [ غافر : ١١ ]

فالموتة الأولى هذه المشهودة فهي للبدن ، والأخرى للروح .

وقال آخرون ، لا تموت الأرواح فإنها خلقت للبقاء ، وإنما تموت الأبدان .

قالوا : وقد دل على هذا الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها ، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ \* فَرَحِينِ ﴿ الآية [ آل عمران : ١٦٨ - ١٦٩ ] هذا مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم وذاقت الموت .

قال العلامة ابن القيم : والصواب أن يقال : موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها ، وخروجها منها ، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت ، وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدماً محضاً فهي لا تموت ، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو عذاب كما صرح به في النصوص حتى يردها الله في أجسادها ، ثم ساق بعد ذلك النصوص الواردة في هذا المحل ، انتهى كلامه .

## فصل

وهذا عذاب القبر على الروح والبدن ، أو على الروح دون البدن ، أو على البدن دون الروح ؟ وهل يشارك البدن النفس في النعيم والعذاب أم لا ؟

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :- بعد أن سئل عن هذه المسألة فأجاب :- بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة ، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن ، وتنعم وتعذب متصلة بالبدن ، والبدن متصل بها ، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين ، كما تكون الروح منفردة عن البدن ، منعمة أو معذبة ، وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح ؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة وأهل

الكلام ، وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث .

قول<sup>(١)</sup> من يقول إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح ، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب ، وهذا يقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان ، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين ، ويقولون كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الأبدان ، ولكن يقولون : لا يكون ذلك في البرزخ ، وإنما يكون عند القيام من القبور ، لكن هؤلاء ينكرون عذاب الأبدان في البرزخ فقط ، ويقولون إن الأرواح هي المنعمة أو المعذبة في البرزخ ، فإذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن معاً .

وهذا القول قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام وأهل الحديث وغيرهم ، وهو اختيار ابن حزم ، وابن مسرة ، فهذا القول ليس من الأقوال الثلاثة الشاذة ، بل هو مضاف الى قول من يقر بعذاب القبر ، ويقر بالقيامة ، ويثبت معاد الأبدان والأرواح . لكن هؤلاء لهم في عذاب القبر ثلاثة أقوال :

أحدهما : أنه على الروح فقط .

والثاني : أنه عليها وعلى البدن بواسطتها .

الثالث : أنه على البدن فقط .

وقد يضم الى ذلك قول من يثبت عذاب القبر ، ويجعل الروح هي الحياة ويجعل الفساد<sup>(٢)</sup> قول منكر عذاب الأبدان مطلقاً ، وقول من ينكر عذاب البرزخ مطلقاً ، والفلاسفة الإلهيون يقرون بذلك ، لكن ينكرون معاد الأبدان ، فهؤلاء يقرون بمعاد الأبدان ، لكن ينكرون معاد الأرواح ونعيمها وعذابها بدون الأبدان ، وكلا القولين خطأ وضلال ، لكن قول الفلاسفة أبعد من أقوال أهل الإسلام ، وإن كان قد يوافقهم عليه من هو متمسك بدين الإسلام ، بل من يظن أنه من أهل المعرفة والتصوّف .

---

(١) كذا في الأصل ، ولعله يريد : وكقول ... الخ .

(٢) كذا بالأصل . والكلام غير متصل .

والقول الثالث الشاذ : قول من يقول : إن البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب ، بل لا يكون ذلك حتى تقوم الساعة الكبرى ، كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة ونحوهم ممن ينكر عذاب القبر ونييمه ، فجميع هؤلاء الطوائف ضلال في أمر البرزخ لكنهم خير من الفلاسفة فإنهم مقرون بالقيامة الكبرى ، وأما الأحاديث الدالة على نعيم القبر وعذابه فهي كثيرة جداً ، بل لو قيل : إنها بلغت التواتر في المبالغة لم يبعد ذلك ، فمنها ما تقدم من أحاديث مسألة منكر ونكير ، وفيها كفاية ، ومنها ما لم أخط به ولم أطلع عليه ، ومنها ما اطلعت عليه واختصرته للتطويل ، ومنها ما أذكره للتنبيه .

فقد ثبت في « الصحيحين » من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال « إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ ، وَأَمَّا الْآخِرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ رَطْبَةٍ فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ ، فَقَالَ : لَعَلَهُ أَنْ يَخْفَفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسُ » رواه أبو داود الطيالسي ، لكن قال فيه : « أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَأْكُلُ لَحْمَ النَّاسِ » وباقيه كما ذكرته (١) .

وثبت في « صحيح مسلم » (٢) في حديث طويل قال : « إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا ، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لدَعَوْتُ اللَّهُ أَنْ يَسْمَعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ » [ ثم أقبل علينا بوجهه ، فقال : « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ » قالوا : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ ] فقال : « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » قالوا : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، قال : « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، قالوا : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، قال : « تَعَوَّذُوا

(١) تقدم تخريجه ص (٢٤٥) رقم (٢) .

(٢) رقم (٢٨٦٧) في صفة الجنة : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، والنسائي ١٠٢ / ٤ في الجنائز : باب عذاب القبر ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .  
في الأصل المطبوع اختلاف في لفظ الحديث فصح من صحيح مسلم .

بالله من فِتْنَةِ الدَّجَالِ » ، قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال .

وفي « صحيح مسلم » أيضاً وجميع السنن عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا فَرَّغَ أَحَدُكُمْ مِنَ الشَّهَادَةِ الْآخِرَةِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ : مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ » (١) .

وفي « الصحيحين » (٢) عن أبي أيوب قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً فقال : « يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا » .

وفي « صحيح البخاري » و« مسلم » عن عائشة قالت : دخلت علي عجوز من يهود المدينة فقالت : إن أهل القبور يعذبون في قبورهم ، قالت فكذبتها ولم أنعم أن أصدقها ، فخرجت ودخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله إن عجوزاً من عجائز يهود أهل المدينة دخلت . فزعمت أن أهل القبور يعذبون في قبورهم ، فقال : « صَدَقَتْ إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَاباً يَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا » قالت : فما رأيت بعد في صلاته إلا يتعوذ من عذاب القبر (٣) .

---

(١) رواه البخاري ٣ / ١٩٢ في الجنائز : باب التعوذ من عذاب القبور ، ومسلم رقم (٥٨٨) في المساجد : باب ما يستعاذ منه في الصلاة ، والترمذي رقم (٣٥٩٩) في الدعوات : باب الاستعاذة من جهنم ، والنسائي ٨ / ٢٧٥ و ٢٧٦ في الاستعاذة : باب الاستعاذة من عذاب جهنم والاستعاذة من فتنة المحيا .

(٢) رواه البخاري ٣ / ١٩٢ في الجنائز : باب التعوذ من عذاب القبر ، ومسلم رقم (٢٨٦٩) في صفة الجنة : باب عرض مقعد من الجنة أو النار عليه ، والنسائي ٤ / ١٠٢ في الجنائز : باب عذاب القبر ، وأحمد في « المسند » ٥ / ٤١٧ و ٤١٩ .

(٣) رواه البخاري ٣ / ١٨٦ - ١٨٧ في الجنائز : باب عذاب القبر ، ومسلم رقم (٥٨٤) في المساجد : باب استحباب التعوذ من عذاب القبر ، والنسائي ٤ / ١٠٤ - ١٠٥ في الجنائز : باب التعوذ من عذاب القبر .

قال بعض أهل العلم : ولهذا السبب يذهب الناس بالخیل إذا مغلّت إلى قبور اليهود والنصارى ، فإذا سمعت الخيل عذاب القبر أحدث لها ذلك فزعاً وحرارة تذهب بالمغل .

والأحاديث كثيرة جداً في هذا الباب ، وقد تقدم في أحاديث المسألة ما هو أبلغ من ذلك في قوله : « فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّباً حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ » وهذا صريح في أن البدن يعذب في القبر .

وروى النسائي<sup>(١)</sup> من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، لَقَدْ ضَمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ » قال النسائي : - يعني سعد بن معاذ - .

وفي حديث عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لِلْقَبْرِ ضَغْطَةٌ لَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ » قال نافع : بلغني أنه شهد جنازته سبعون ألف ملك لم ينزلوا إلى الأرض قط ، وفي لفظ « مَنَادِيلٌ مِنْ مَنَادِيلِ سَعْدٍ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا »<sup>(٢)</sup> .

## فصل

قال المروزي : قال الإمام أحمد : عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضالٌّ مُضِلٌّ .

وقال حنبل : قلت لأبي عبد الله في عذاب القبر ! فقال : هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها ، كل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم إسناد جيد أقررنا به ، إذا لم نقر بما جاء به الرسول ودفعناه ورددناه ، رددنا على الله

---

(١) ٤ / ١٠٠ و ١٠١ في الجنايز : باب صفة القبر وضغطته ، وإسناده صحيح .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٦ / ٥٥ و ٩٨ قال الهيثمي في « المجمع » ٣ / ٤٦ : رواه أحمد في « المسند » عن نافع عن عائشة ، عن نافع عن إنسان عن عائشة ، وكلا الطريقين رجالها رجال الصحيح .



أمره، قال تعالى: ﴿وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر الآية ٧] قلت له : وعذاب القبر حق ؟ قال : حق ، يعذبون في القبور ، قال : وسمعت أبا عبد الله يقول : نؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير ، وأن العبد يسأل في قبره ، ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ في القبر .

وقال أحمد بن القاسم : قلت : يا أبا عبد الله : نقر بمنكر ونكير ، وبما يروى من عذاب القبر ؟ فقال : سبحان الله نعم نقر بذلك ونقول به .

قال العلامة ابن القيم : ومما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق العذاب ناله نصيبه منه ، قبر أو لم يقبر ، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً ونسف في الهواء أو صلب ، أو غرق في البحر ، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى القبور. انتهى كلامه .

## فصل

ومما ينبغي أن يعلم أن البلى يختص هذا البدن المشاهد المركب ، فإن هذا البدن ليس بشيء إنما هو آلة ، والنظر إلى ما يؤدي الروح وينفعها .

وقد روى أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله بإسناده قال : دخل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما المسجد وقد قتل عبد الله بن الزبير ، فمال إلى أسماء أم ابن الزبير ، فقال لها : اصبري فإن هذه الجثث ليست بشيء ، وإنما الأرواح عند الله تعالى ، ثم قال : وروينا عن ابن الزبير أنه قال لأمه أسماء قبل قتله : يا أمه ، إن قتلت فإنما [أنا] لحم لا يضر ما صنع بي .

وروى خالد بن معدان قال : لما قتل هشام بن العاص يوم أجنادين وقع على ثلثة فسدها ، ولم يكن ثمَّ طريق غيره ، فلما انتهى المسلمون إليه هابوه أن يوطئوه الخيل فقال عمرو بن العاص : أيها الناس إن الله قد استشهده ورفع روحه ، وإنما هو جثة فأوطئوه الخيل ، ثم أوطأه هو وتبعه الناس حتى قطعوه .

وإذا ثبت هذا ، فإن الله تعالى إذا أ تلف هذا البدن التراي وأبلاه بالتعرض للآفات ، فإنه سيعيده بدنأ لا يبلأ ، في حياة لا تنفد أبدأ ، وتبدل صعوبات التكليف بحسن الجزاء ، ويعطيهم أجوراً باقية عن أعمال منقطعة ، كما لا يبقأ لمرارات الشعث<sup>(١)</sup> والتكليف في أيام الإحرام ، طعم عند أيام التشريق ، والله تعالى الموفق .

\* \* \*

---

(١) قال في « اللسان » : شَعَثَ شَعَثًا وشُعَوْتُهُ ، فهو شَعِثٌ وأشَعْتُ ، وشَعَثَانٌ ، وشَعَثَتْ : تَلَبَّدَ شعره واغْبَرَّ ، والشَّعِثُ : الْمُغْبَرُّ الرأسُ المنتفِ الشعر الحافُّ الذي لم يُدْهِنْ ، والتَّشَعُّتُ : التفرق والتنكُّتُ .

## الباب السابع والعشرون

# في عدد الشهداء، وفضلهم، وأنهم أرفع درجات من الصالحين

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [ النساء : ٦٩ ] .

قال قتادة : قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف يكون الحال في الجنة وأنت في الدرجات العلى ، ونحن أسفل منك فكيف نراك ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ ﴾ في أداء الفرائض ﴿ وَالرَّسُولَ ﴾ في السنن ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ ﴾ [ النساء : ٦٩ ] أي لا تفوتهم رؤية الأنبياء ومجالسهم . فأعلى درجات بني آدم الأنبياء ، ثم الصديقون ، ثم الشهداء ، ثم الصالحون ، وهذا ترتيب لاشك فيه ، لأن الله تعالى رتبهم في الذكر ، قدم الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل في المراتب والمنازل .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ لَهَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ يَسْرُهَا أَنْهَا تَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَوْ أَنَّ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إِلَّا الشَّهِيدَ »<sup>(١)</sup> الحديث . هذا من صرائح الأدلة في عظم فضل الشهادة .

وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى

---

(١) رواه النسائي ٦ / ٣٣ في الجهاد : باب تمني القتل في سبيل الله تعالى ، وأحمد في « المسند » ٢١٦ / ٤ ، واسناده حسن . قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٦٦٨) : صحيح .

فَرَأَيْتَهُ « رواه مسلم في » صحيحه <sup>(١)</sup> .

وفي « صحيح مسلم » <sup>(٢)</sup> أيضاً من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقاً أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ » .

ورواه الترمذي وصححه من حديث معاذ مرفوعاً ، ولفظه : « مَنْ سَأَلَ الْقَتْلَ فِي سَبِيلِهِ صَادِقاً مِنْ قَلْبِهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ الشَّهِيدِ » ورواه الإمام أحمد بهذا اللفظ <sup>(٣)</sup> .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا تَعْدُونَ الشَّهِيدَ فَيُكْمُ ؟ » قالوا : يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، قال : « إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذَا لَقِيتُ » قالوا : فمن هم يا رسول الله ؟ قال : « مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونَ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ ، - وفي رواية - وَصَاحِبُ الْهَدْمِ شَهِيدٌ » <sup>(٤)</sup> .

وعن جابر بن عتيك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) رقم (١٩٠٩) في الإمارة : باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (١٥٢٠) في الصلاة : باب في الاستغفار ، والترمذي رقم (١٦٥٣) في فضائل الجهاد : باب ما جاء فيمن سأل الشهادة ، والنسائي ٦ / ٣٦ و ٣٧ في الجهاد : باب مسألة الشهادة . وابن ماجه رقم (٢٧٩٧) في الجهاد : باب القتال في سبيل الله سبحانه وتعالى ، والدارمي رقم (١٤١٢) في الجهاد : باب في من سأل الله الشهادة ،

(٢) رقم (١٩٠٨) في الإمارة : باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى .

(٣) رواه أبو داود رقم (٢٥٤١) في الجهاد وباب فيمن سأل الله تعالى الشهادة ، والترمذي رقم (١٦٥٧) في فضائل الجهاد : باب ما جاء فيمن يكلم في سبيل الله ، والنسائي ٦ / ٢٥ و ٢٦ في الجهاد : باب ثواب من قاتل في سبيل الله ، ورواه أيضاً أحمد في «المسند» ٥ / ٢٣١ و ٢٤٤ وابن ماجه (٢٧٩٢) ، وابن حبان (٤٥٩٩) «الاحسان» ، والحاكم ٢ / ٧٧ ، وهو حديث صحيح .

(٤) رواه مسلم رقم (١٩١٥) في الإمارة : باب بيان الشهداء ، وأحمد في «المسند» ٢ / ٣١٠ و ٤٤١ ، وابن ماجه رقم (٢٨٠٤) في الجهاد : باب ما يرجى فيه الشهادة .

« الشَّهَدَاءُ سَبْعُ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَذَمِ شَهِيدٌ ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمُعٍ شَهِيدَةٌ » رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي . وروى ابن ماجه بعضه <sup>(١)</sup> . - قوله بجمع بضم الجيم واسكان الميم - : وهي التي تموت حاملاً أو نذساء ، كذا ذكره غير واحد من أهل العلم ، والله أعلم .

وروى الإمام أحمد والنسائي من حديث صفوان بن أمية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الطَّاعُونَ شَهَادَةٌ ، وَالْغَرَقُ شَهَادَةٌ ، وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ » <sup>(٢)</sup> .

وروى النسائي <sup>(٣)</sup> أيضاً من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خَمْسٌ مَنْ قُبِضَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُنَّ فَهُوَ شَهِيدٌ : الْمَقْتُولُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ ، وَالْغَرِيقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ ، الْمَبْطُونُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ ، وَالْغَنَاءُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ » .

وروى مالك في « الموطأ » عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في قصة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ فَيَكُمُ ؟ قَالُوا : الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الشَّهَادَةُ سَبْعُ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ثم ذكر نحو ما تقدم في « السنن » من حديث جابر بن عتيك <sup>(٤)</sup> .

(١) تقدم تخريج حديث جابر بن عتيك ص (٤٩ - ٥٠) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٤٠٠/٣ و ٤٠١ و ٦٥٠/٦ و ٤٦٦ والنسائي ٩٩/٤ في الجنائز: باب

الشهيد ، ورواه أيضاً الدارمي رقم (٢٤١٨) في الجهاد : باب ما يعد من الشهداء ، وفي سنده عامر ابن مالك بصري ، وهو مجهول لم يوثقه غير ابن حبان ، ولكن يشهد له الذي بعده . فهو به صحيح .

(٣) ٣٧ / ٦ في الجهاد : باب مسألة الشهادة ، وفي سنده عبد الله بن ثعلبة الحضرمي ، لم يوثقه

غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات ، ويشهد له الحديث الذي قبله . انظر « أحكام الجنائز » ص (٣٩) :

(٤) تقدم تخريجه ص (٤٩ - ٥٠) .

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الشُّهَدَاءُ خَمْسٌ : المَطْعُونُ والمَبْطُونُ ، والغَرِيقُ ، وصَاحِبُ الهَدْمِ ، والشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » (١) .

قال العلامة اسماعيل التيمي الأصبهاني : - مفسراً لهذا الحديث - قال المطعون الذي أصابه الطاعون ، والمبطن الذي أصابه علة البطن . انتهى .

وقال غيره من العلماء : للناس في تفسير علة البطن ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه الذي يموت بالاستسقاء .

والثاني : الذي يموت بالمغص الشديد - وهو الذي يسمونه القولنج - وهو مريض معروف .

والثالث : الذي يموت بالإسهال ، انتهى كلامه .

قلت : والقول الثالث هو الراجح عند أكثر أهل العلم وبعضهم لم يحك غيره ، ويحتمل - والله أعلم - أن الشهادة تعم الثلاثة أصناف المذكورة ، وهو أبلغ في الكرم وسعة الفضل ، والله أعلم . ومما يؤيد هذا الاحتمال ما روى ابن حبان في « صحيحه » (٢) من حديث سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ لَمْ يُعَذَّبْ فِي قَبْرِهِ » .

وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) رواه البخاري في الجهاد : باب الشهادة سبع سوى القتل ، ومسلم رقم (١٩١٤) في الإمارة : باب بيان الشهداء ، ومالك في « الموطأ » ١/١٣١ في صلاة الجماعة : باب ما جاء في العتمة والصبح ، والترمذي رقم (١٠٦٣) في الجنائز : باب ما جاء في الشهداء من هم ، وأحمد في « المسند » ٢/٣٢٥ و ٥٣٣ .

(٢) رواه الترمذي رقم (١٠٦٤) في الجنائز : باب رقم ٦٥ ، والنسائي ٩٨/٤ في الجنائز : باب من قتله بطنه ، وأحمد في « المسند » ٤/٢٦٢ واسناده صحيح ، وصححه ابن حبان في « صحيحه » رقم (٧٢٨) « موارد » . قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٣٣٧) :

صحيح . صحيح . انظر « أحكام الجنائز » ص (٣٨)

« مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ » رواه البخاري (١) .

وروى أبو داود والترمذي والنسائي واللفظ له من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ؛ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ؛ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ » (٢) .

وروى النسائي (٣) مفرداً من حديث سويد بن مقرن رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ » .

وروى الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة عن خالد بن أبي زيد ، عن سعيد بن أبي هلال عن إبراهيم بن عبد الله بن رفاعه ، أن أبا محمد أخبره - وكان من أصحاب ابن مسعود - حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر عنده الشهداء قال : « إِنَّ أَكْثَرَ شُهَدَاءِ أُمَّتِي أَصْحَابُ الْفُرْشِ ، وَرَبُّ قَتِيلٍ بَيْنَ الصَّفَيْنِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِنَيْتِهِ » (٤) .

---

(١) ٨٨ / ٥ في المظالم : باب من قاتل دون ماله ، ورواه أيضاً الترمذي رقم (١٤١٩) و (١٤٢٠) في الديات : باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد ، وأبو داود رقم (٤٧٧١) في السنة : باب قتال اللصوص ، والنسائي ٧ / ١١٤ و ١١٥ في تحريم الدم : باب من قتل دون ماله ، وأخرجه ابن ماجه رقم (٢٥٨١) في الحدود : باب من قتل دون ماله فهو شهيد ، وأحمد في المسند « ٢ / ١٦٣ و ١٩٣ و ٢٠٦ .

(٢) رواه الترمذي رقم (١٤١٨) و (١٤٢١) في الديات : باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد ، وأبو داود رقم (٤٧٧٢) في السنة : باب في قتال اللصوص ، والنسائي ٧ / ١١٥ و ١١٦ في تحريم الدم : باب من قاتل دون ماله ، وأخرجه ابن ماجه رقم (٢٥٨٠) في الحدود : باب من قتل دون ماله فهو شهيد ، وأحمد في « المسند » ١ / ١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩ وإسناده صحيح ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . انظر «الارواء» (٧٠٨) .

(٣) ١١٧ / ٧ في تحريم الدم : باب من قاتل دون مظلمته . وهو حديث صحيح .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ١ / ٣٩٧ قال الهيثمي في « المجمع » ٥ / ٣٠٢ : رواه أحمد هكذا =

وروينا في خبر ابن عرفة مرفوعاً « المَوْتُ كَفَّارَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ » (١) .

## فصل

ومما ينبغي أن يعلم أن العبد إذا نظر أو سمع ما تقدم في هذا الباب من تنوع الشهادة، وذكر تعدادها، حصل له تسلية بموت محبوبه ؛ فإنه في الغالب لا بد أن يكون ناله نصيب منها، مع أنني لم أحط بكل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في تسمية الشهداء ، وقد روي مرفوعاً : « مَوْتُ الْغَرِيبِ شَهَادَةٌ » وقد استقصينا في عدِّ الشهداء في كتاب « أحكام الطاعون » .

ويكفي في البشارة ما تقدم قريباً من رواية الإمام أحمد مرفوعاً « إِنَّ أَكْثَرَ شُهَدَاءِ أُمَّتِي أَصْحَابُ الْقُرْشِ » وتقدّم ما أعد الله للشهداء من حين الموت ، وما لهم عند الله ، وأن أرواحهم في حواصل طير خضر تأكل وتشرب في الجنة ، وتسرح حيث شاءت ، وكل هذا في دار البرزخ ؛ فإذا دخلوا الجنة يوم القيامة بأجسادهم انتقلوا إلى نعيم أعلى من ذلك وأكثر منه .

قال أبو بكر القطيعي : حدثنا بشر بن موسى ، حدثنا ابن خليفة ، حدثنا عوف عن خنساء قالت : حدثتني عمتي ، قالت : قلت يا رسول الله ، من في الجنة ؟ قال : « النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ ، وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْمَوْئُودُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْمَوْؤُودَةُ فِي الْجَنَّةِ » وكذلك رواه بندار عن غندر عن عوف فذكر مثله (٢) .

فانتقال العبد إلى الله وما عند الله هو خير لعباده من هذه الدنيا التي خلقهم فيها ، فينظر كيف يعملون ، وبيتليهم بالمحن والمصائب ، والشهادات حتى يعلم الصابر منهم والجازع ليجازي كل شخص بحسبه ، فمنهم من يجازيه بالجنان ، ومنهم من يجازيه بالنيران ، وكل ذلك عدل منه سبحانه

= ولم أره ذكر ابن مسعود ، وفيه ابن لهيعة ، وحديثه حسن وفيه ضعف ، والظاهر انه مرسل ورجاله ثقات .

(١) تقدم تخريجه ص (١٢٤) رقم (٣) .

(٢) تقدم تخريجه ص (١٣٧) رقم (٣) .



وتعالى لا يظلم مثقال ذرة ، بل إن أُدْخِلَ العبدُ الجنةَ فبرحمته وفضله ، وإن أدخله النار فبعده وسلطانه ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ ﴿﴾ فله الحمد دائماً على كل حال .

## فصل

والشهادة المطلوبة شهادة المعركة على ما تقدم ؛ وكذلك شهادة الطاعون فإنه قد ورد فيها أحاديث وآثار في تمني الطاعون ؛ كما وقع في قصة المغيرة بن شعبة أنه قال : اللهم إرفع عنا الرجز - يعني الطاعون - ، فقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : أما أنا فلا أقول هذا ولكن أقول كما قال العبد الصالح أبو بكر الصديق رضي الله عنه : اللهم طعنًا وطاعونًا في مرضاتك . وقال أبو عبيدة خطيباً فقال : يا أيها الناس إن هذا الوجد رحمة ربكم : ودعوة نبيكم ؛ وموت الصالحين قبلكم ؛ وإن أبا عبيدة يسأل الله العظيم أن يقسم له من حظه . قال فطعن فمات .

وثبت في « مسند الإمام أحمد »<sup>(١)</sup> أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ فَنَاءَ أُمَّتِي بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ » وغير ذلك من الأحاديث والآثار التي لا تحضرني وقد قررت ذلك في كتابنا المعروف بـ « أحكام الطاعون » ، ولكنه لم يكن عندي حين ألفت هذا الكتاب ؛ فإن قيل : الشهادة المطلوبة شهادة المعركة ، وكذلك شهادة الطاعون كما تقدم .

وقد ورد في بعض الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ من بعض ما عده شهادة ففي « مسند الإمام أحمد »<sup>(٢)</sup> مرفوعاً ، « اسْتَعَاذَ مِنْ سَبْعٍ

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٣ / ٤٣٧ و ٤ / ٢٣٨ و ٣٩٥ و ٤١٧ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال الهيثمي في « المجمع » ٢ / ٣١٢ : رواه أحمد والطبراني في « الكبير » ورجال أحمد ثقات .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٢ / ١٧١ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٢ / ٣١٨ : رواه أحمد والبزار والطبراني في « الكبير » و« الأوسط » [ (١٧٥) ] وفيه ابن لهيعة وفيه كلام .

مَوْتَاتٍ : مِنْ مَوْتِ الْفَجْأَةِ ، وَمِنْ لَذَغِ الْحَيَّةِ ، وَمِنْ السَّبْعِ ، وَمِنْ الْغَرَقِ ،  
وَمِنْ الْحَرَقِ ، وَمِنْ أَنْ يَخْرُ عَلَى شَيْءٍ ، أَوْ يَخْرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ ، وَمِنْ الْفِرَارِ مِنْ  
الرَّحْفِ .

وفي « المسند » أيضاً مرفوعاً « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ هَمًّا أَوْ غَمًّا  
أَوْ أَنْ أَمُوتَ غَرَقًا ، وَأَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ » ورواه النسائي ولفظه  
« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ وَالتَّرْدِي وَالْغَمِّ وَالْغَرَقِ وَالْحَرِيقِ ،  
وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت ، وأعوذ بك أن أَمُوتَ في سبيلك  
مدبراً ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لِدَيْعًا »<sup>(١)</sup> وغير ذلك من الأحاديث .

يقال : لم يقل أحد من العلماء : إن كل شهادة مطلوبة ، بل من وقع له  
أو لمحجوبه أو لغيره شيء بما عده النبي صلى الله عليه وسلم شهادة ، فهو  
شاهد ، والشهيد ثلاثة أقسام .

أحدها - شهيد في الدنيا والآخرة وهو المقتول في المعركة مخلصاً .  
والثاني - شهيد في الدنيا فقط وهو المقتول في المعركة مراثياً .

والثالث - الشهيد في الآخرة فقط وهو من أثبت له الشارع الشهادة ولم  
يجر عليه أحكامها في الدنيا . كالغريق والحريق ومن به ذات الجنب ونحوه  
كما تقدم .

فإن قيل : لم سمي الشهيد شهيداً ؟

قيل : قد اختلف العلماء في ذلك على أقوال :

أحدها - لأنه حي كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [ آل عمران : ١٦٩ ] .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٣ / ٤٢٧ وأبو داود رقم (١٥٥٢) في الصلاة : باب الاستعاذة ، والنسائي  
٨ / ٢٨٢ و ٢٨٣ في الاستعاذة : باب الاستعاذة من التردى والهزم ، وإسناده حسن .

الثاني - لأن الله تعالى وملائكته شهدوا له بالجنة .

الثالث - لأن الملائكة تشهده .

الرابع - لقيامه بشهادة الحق حتى قتل .

الخامس - لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل .

السادس - لأنه شهد لله بالوجود والإلهية بالفعل لما شهد غيره بالقول .

السابع - لسقوطه بالأرض وهي الشاهد له .

الثامن - لأنه شهد له بوجوب الجنة .

التاسع - من أجل شاهده وهو دمه .

العاشر - لأنه شهد له بالإيمان وحسن الخاتمة .

فهذه عشرة أقوال من أماكن متفرقة جمعت إليك رخيصة الأئمان ، فهذه الأقوال في المخلص الذي قصد بجهاده وجه الله تعالى ، والدار الآخرة ، فإنه سبحانه وتعالى إذا علم قصد العبد وإخلاصه أعانه وأغاثة . قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [ الكهف : ٣٠ ] وقد ذكر أبو الفرج بن الجوزي في جزء الثبات عند الممات في هذا المعنى ، عن علي بن الموفق قال : سمعت حاتم الأصم يقول : لقينا الترك وكان بيننا جولة ، فرماني تركي بسهم فقلبني عن فرسي ، فنزل عن دابته ، فقع على صدري وأخذ بلحيتي ، وأخرج من خفه سكيناً ليذبحني ، فوحي سيدي ما كان قلبي عنده ولا عند سكينه إنما كان قلبي عند سيدي أنظر ماذا ينزل به القضاء منه ، فقلت : سيدي قضيت علي أن يذبحني هذا فعلى الرأس والعين ، إنما أنا لك وملكك ، فبينما أنا كذلك وهو قاعد على صدري إذ رماه بعض المسلمين بسهم فما أخطأ حلقة ، فسقط عني ، فقامت إليه وأخذت السكين من يده فذبحته بها . فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند مليكم حتى تروا من عجائب ما لا ترون من الآباء والأمهات .

\* \* \*

## الباب الثامن والعشرون

### في ذكر الصراط ، ودرجات الناس في المرور عليه

أما الصراط فهو جسرٌ منصوب على متن جهنم ، وهو أحدٌ من السيف وأدقٌ من الشعرة ، ثبتنا الله وإياكم على المرور عليه .

وقد روى مسلم في « صحيحه »<sup>(١)</sup> من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ تُرْلَفُ لَهُمُ الْجَنَّةُ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ : يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : وَهَلْ أَخْرَجَكُم مِّنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ ؟ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ . قَالَ : فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا ، فَيَأْتُونَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ ، فَيَقُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ، قَالَ : فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُومُ وَيُوذِّنُ لَهُ ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ

---

(١) رقم (١٩٥) في الايمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

قوله : « ترلف » : أي تقرب ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَأُزِلْتُ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي قربت .

قوله : « وترسل الأمانة والرحم » : إرسال الأمانة والرحم لعظم أمرهما وكثير موقعهما ، فتصوران شخصيتين على الصفة التي يريد بها الله تعالى .

قوله : « جنبتي الصراط » معناهما جانباه ، ناحيته اليمنى واليسرى .

قوله : « وشد الرجال » : الشد : هو العدو البالغ والجري .

قوله : « مكدوس » : أي مدفوع ، وتكدس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط .

وَالرَّحِمُ ، فَتَقُومَانِ جَنَبَيَّ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ قَالَ : قُلْتُ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! أَيُّ شَيْءٍ كَمَرَّ الْبَرْقِ ؟ قَالَ : « أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ، ثُمَّ كَمَرَّ الرِّيحَ ، ثُمَّ كَمَرَّ الطَّيْرَ وَشَدَّ الرَّجَالَ ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ ، وَنَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ : رَبِّ سَلِّمْ رَبِّ سَلِّمْ ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ ، وَحَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا ، قَالَ : وَفِي حَافَتِي الصِّرَاطِ كَلَالِيْبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرْتُ بِهِ فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمَكْدُوشٌ فِي النَّارِ » وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعَرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الصراط ومرور الناس عليه قال : « فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ ، وَكَالْبَرْقِ ، وَكَالرِّيحِ ، وَكَالطَّيْرِ ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ » رواه مسلم (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديث الشفاعة : « وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ

---

(١) قطعة من حديث رواه البخاري ١٣ / ٣٥٨ - ٣٦٠ في التوحيد : باب ﴿ وَجْهَ يَوْمِئِذٍ نَاضِرٌ ﴾ إلى ربه ناظرة ﴿ ﴾ ، وفي تفسير سورة النساء : باب ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ ، وفي تفسير سورة ﴿ الْقَلَمِ ﴾ ، ومسلم رقم (١٨٣) في الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية ، والنسائي ٨ / ١١٢ و ١١٣ في الإيمان : باب زيادة الإيمان ، وأحمد في « المسند » ١٧ / ٣ . قوله : « وَأَجَاوِيدُ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ » من إضافة الصفة إلى الموصوف . قال في « النهاية » : الأجاويد جمع أجواد ، وهو جمع جواد ، وهو الجيد الجري من المطي . والركاب : أي الإبل ، واحدها راحلة من غير لفظها . قوله : « فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ » معناه أنهم ثلاثة أقسام : قسم يسلم فلا يناله شيء أصلاً . وقسم يخذش ثم يرسل فيخلص . وقسم يكرس ويلقى فيسقط في جهنم .

مَنْ يُجِيزُ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ سَلِّمِ اللَّهُمَّ سَلِّمِ ، وفي جَهَنَّمَ كَلَالِيبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ - هل رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ ؟ - ثُمَّ قَالَ : وَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ» (١) الحديث .

## فصل

قد سمعت رحمك الله ، فانظر إلى هذه الطريق الحرج ، والمسلك الشاق ، والقنطرة المضطربة ، والعقبة الكؤود التي لا تثبت عليه الأقدام ، ولا تجوزها الأوهام ، ولا يثبت عليه إلا من ثبته الله بالقول الثابت ، وثبت قدماء يوم تزل الأقدام ، ولعل من عنده تساهل وعدم توفيق يسمع بالصراط ، فيظن أن طريقة يشبه طرق الدنيا التي هي صعبة المسلك ، وعرة ذات صعود ونزول ، هيهات وما علم ، والله أنه أحد من السيف ، وأدق من الشعرة ، وعلى يمينه وشماله كلاليب وخطاطيف ، فإذا كلفت المرور عليه وهو بهذه المثابة ، وأعظم من ذلك أن جهنم تحتك وقد أربع قلبك من هول منظرها ، وملأت أذنيك زفيرها ، فهل تستطيع المرور أو النهوض أو الزحف ؛ فإنه إذا اضطرب بك الصراط ؛ والتهب السعير من تحتك التهاباً ، ولم تجد إلى النجاة سبيلاً ؛ ولا إلى الخلاص مقيلاً ؛ فلا ينفعك في تلك الحال إلا سعي

---

(١) رواه البخاري ١١ / ٣٨٧ - ٤٠٣ في الرقاق : باب الصراط جسر جهنم ، وفي صفة الصلاة : باب فضل السجود ، وفي التوحيد : باب قول الله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ ، ومسلم رقم (١٨٢) في الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية ، والترمذي رقم (٢٥٦٠) في صفة الجنة : باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار ، وأحمد في «المسند» ٢ / ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٩٣ و ٥٣٤ . انظر روايات الحديث في «جامع الأصول» رقم (٧٩٧٤) .

قوله : «كلاليب» جمع كَلُوب ، وهي حديدة معطوفة الرأس ، يعلق فيها اللحم ، وترسل في التنور . قال صاحب «المطالع» : هي خشبة في رأسها عقافة حديد ، وقد تكون حديداً كلها ، ويقال لها أيضاً : كَلَاب . قوله : «السعدان» فهو نبت له شوك عزيمة مثل الحسك من كل الجوانب .

صالح مشكور ، أو توبة نصوح من ذنب مغفور ، فتخير الآن أي الأعمال  
أنجي لك ؟ وأي الطرق معينة لك على سعيك لما ينفعك ؟

وقد روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن وهب بن منبه ، قال : وجدت في  
زبور داود عليه السلام : يا داود هل تدري من أسرع الناس ممراً على  
الصراط ؟ الذين يرضون بحكمي وألسنتهم رطبة من ذكرى .

\* \* \*

## الباب التاسع والعشرون

### في ذكر التوحيد وسعة رحمة الله

قال الله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [ الأعراف : ١٥٦ ]  
وفي « الصحيح » أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى »<sup>(١)</sup> وقد تقدم في حديث أبي هريرة « لِكُلِّ أَحَدٍ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ ، فَالْمُؤْمِنُ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ خَلَفَهُ الْكَافِرُ فِي النَّارِ لِاسْتِحْقَاقِهِ ذَلِكَ بِكُفْرِهِ »<sup>(٢)</sup> كما ورد في الصحيح « هَذَا فِكَأُكُّكَ مِنَ النَّارِ »<sup>(٣)</sup> .

وهذه بشارة عظيمة للمسلمين أجمعين . حتى قال الشافعي وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما : هذا الحديث أرجى حديث للمسلمين لما فيه من التصريح بفداء كل مسلم .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي سعيد مرفوعاً . إلى أن قال فيه « فَيَقَالُ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ » - يعني من النار - فَتُحَرَّمُ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَقَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ . فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ ، فَيَقُولُ ؛ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، إِلَى أَنْ يُقَالَ :

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٧٦٧) (٥١) في التوبة : باب قبول توبة القاتل ، وإن كثر قتله ، من حديث أبي بردة عن أبيه .

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٤٣٤١) في الزهد : باب صفة الجنة ، وهو حديث صحيح . انظر «الأحاديث الصحيحة» (٢٢٧٩) .

(٣) رواه مسلم رقم (٢٧٦٧) (٤٩) في التوبة : باب قبول توبة القاتل من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .



ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، وكان أبو سعيد الخدري يقول : إن لم تصدقوني بهذا الحديث ، فاقروا إن شئتم ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا ﴾ الآية [ النساء : ٤٠ ] . فَيَقُولُ اللَّهُ : شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ ، قَدْ عَادُوا حُمًّا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْحَيَاةِ ، فَيُخْرِجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، قَالَ : فَيُخْرِجُونَ كَاللُّوْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، هَؤُلَاءِ عَتَقَاءُ اللَّهِ ؟ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ ، وَلَا خَيْرَ قَدَمُوهُ ، ثُمَّ يَقُولُ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ، فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ ، فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ لِأَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ، فَيَقُولُ : لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ، فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا ! وَآيُ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ؟ فَيَقُولُ : رِضَائِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا .

وفي حديث أنس بن مالك ، ذكر فيه الشفاعة ، مرة بعد مرة ، وأنه صلى الله عليه وسلم قال : « فِي الْآخِرَةِ فَأَقُولُ : رَبِّ ، أَيَّ رَبِّ ائْتَدَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَيَقُولُ اللَّهُ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ، وَعَظَمَتِي وَكِبْرِيَائِي

\* تقدم تخريجه ص (٣٠٨) .

قوله : « فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ » معناه يجمع جماعة .

قوله : « قَدْ عَادُوا حُمًّا » معنى عادوا : صاروا ، والحُم : الفحم .

قوله : « فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ » قال صاحب المطالع : كان المراد في الحديث مفتتح من مسالك قصور الجنة ومنازلها .

قوله « الْحَبَّةُ » - بالكسر - : بزور البقول وَحَب الرِّياحِين ، وقيل : هو نبت صغير ينبت في الحشيش .

قوله : « وَحَمِيلِ السَّيْلِ » : هو ما يجيء به السيل من طين أو غشاء وغيره ، فعيل بمعنى مفعول ، فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة ، فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها .

لأَخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وفي رواية مسلم «لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ أَوْ إِلَيْكَ» الحديث<sup>(١)</sup>.

## فصل

وقد أخبر تعالى : أن رحمته وسعت كل شيء ، وأنه كتب على نفسه الرحمة ، وقال : « سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي » « وَغَلَبَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي »<sup>(٢)</sup> ، فالجنة دار رحمته ، والنار دار غضبه ، فثبت أن الجنة ينشئ لها خلقاً في الآخرة ، ويدخلها أيضاً من دخل النار أولاً ، ويدخلها الأولاد بعمل الآباء ، فثبت أن الجنة يدخلها من لم يعمل خيراً قط ، وثبت أن النار لا يعذب أحد فيها بغير ذنب ، فرحمته واسعة .

حتى إن جماعة من المفسرين ذكروا قصة فرعون ، قال جبريل : يا محمد! لو رأيتني وأنا أدس الطين في فرعون مخافة أن يقول فرعون كلمة يرحمه الله بها<sup>(٣)</sup>؛ فهذا جبريل من أعظم رسل الملائكة قد علم سعة رحمة الله ففعل ذلك مخافة إدراك الرحمة له ، مع أنه قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ .

## فصل

ومما ينبغي أن يعلم ، أن مذهب أهل السنة والجماعة من السلف

(١) رواه البخاري ١٣ / ٣٩٥ - ٣٩٧ في التوحيد : باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم وباب قول الله تعالى : ﴿ لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدِي ﴾ ، وباب قوله تعالى ﴿ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ ، وفي تفسير سورة البقرة : باب قول الله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ، وفي الرقاق : باب صفة الجنة والنار ، ومسلم رقم (١٩٣) في الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

(٢) رواه البخاري ١٣ / ٣٢٥ في التوحيد : باب قول الله ﴿ وَيَحْذَرُكَمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ ، وباب ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ ﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ، وباب ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ ، وباب قول الله تعالى ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ ، وفي بدء الخلق : باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ ، ومسلم رقم (٢٧٥١) في التوبة : باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ، والترمذي رقم (٣٥٣٧) في الدعوات : باب رقم (١٠٩) .

(٢) رواه أبو داود الطيالسي (٢٦١٨) والترمذي (٣١٠٧) ، والحاكم ٢ / ٣٤٠ ، وأحمد ١ / ٢٤٠ و ٣٤٠ ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما - وهو حديث صحيح . انظر «الأحاديث الصحيحة» (٢٠١٥) .

والخلف أن من مات موحداً أدخل الجنة قطعاً على كل حال ، فإن كان سالماً من المعاصي كالصغير والمجنون الذي اتصل جنونه بالبلوغ ، والتائب توبة نصوحاً صحيحة من الشرك ، أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته ، ومن نشأ في عبادة الله ولم يقارف معصية أصلاً ، كل هؤلاء يدخلون الجنة ولا يدخلون النار ، لكنهم يردونها على الخلاف المعروف في الورد . والصحيح إن شاء الله تعالى على ما ذكره جماعة من العلماء أن المراد بالورد المرور على الصراط وهو منصوب على ظهر جهنم ؛ أجازنا الله من حرها وبردها .

وأما من مات من أهل المعاصي أو له معصية كبيرة ولم يتب منها ، فهو داخل تحت مشيئة الله ، إن شاء عذبه بمقدار ذنبه أو القدر الذي يريده ثم يدخله الجنة ، وإن شاء عفا عنه مطلقاً ، فلا يخلد أحد في النار مات على التوحيد ، ولو عمل من المعاصي ما عمل ، وهذا من أحسن ما يتسلى به من مات له قريب أو صاحب من أهل المعاصي ، ومات وما يعلم هل تاب من المعاصي أم لا ؟

قال أبو زكريا النووي رحمه الله : وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به على هذه القاعدة وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم القطعي بذلك . انتهى كلامه<sup>(١)</sup> .

ويؤيد ذلك بما ثبت في « الصحيح »<sup>(٢)</sup> من حديث عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

قال القاضي عياض : اختلف الناس فيمن عصى الله تعالى من أهل الشهادتين ؛ فقالت المرجئة : لا تضره المعصية مع الإيمان . وقالت الخوارج

(١) انظر « شرح صحيح مسلم » ٢١٧/١ .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٦) في الإيمان : باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً .

تضره ويكفر بها . وقالت المعتزلة : يخلد في النار إذا كانت كبيرة . ولا يوصف بأنه مؤمن ولا كافر لكنه فاسق . وقالت جماعة من العلماء بل هو مؤمن وإن لم يغفر له ، وإن عذب فلا بدمن إخراجهم من النار ، وإدخاله الجنة . قال : وهذا الحديث حجة على الخوارج والمعتزلة ، وأما المرجئة ؛ فإن احتجت بظاهره ، قلنا : نحمله على أنه غفر له وخرج من النار بالشفاعة ؛ ثم أدخل الجنة ؛ ويكون معنى قوله عليه السلام : « دخل الجنة » أي دخلها بعد مجازاته بالعذاب . وهذا لا بد من تأويله لما جاء في ظواهر كثيرة من عذاب بعض العصاة . انتهى كلامه .

ومن هذا الباب ما ثبت في « الصحيح »<sup>(١)</sup> أن أبا الأسود الديلمي حدثه أبو ذر قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على قميص أبيض ، ثم أتيت فإذا هو نائم ، ثم أتيت وقد استيقظ ، فجلست إليه ، فقال : « مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ » قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ » قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : « وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ » ثلاثاً . ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ : « عَلَى رُغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ » قال : فخرج أبو ذر وهو يقول : وإن رغم أنف أبي ذر .

وفيه ردُّ على الخوارج ، وعلى المعتزلة بتخليد أهل الكبائر في النار .

---

(١) رواه البخاري ٣ / ٨٨ و ٨٩ في الجنائز : باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله ، وفي التوحيد : باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة ، ومسلم رقم (٩٤) و (١٥٤) في الإيمان : باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، والترمذي رقم (٢٦٤٦) في الإيمان : باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، واحمد في « المسند » ٥ / ١٦٦ .

قوله : « على رغم أنف أبي ذر » مأخوذ من الرِّغَام ، وهو التراب ، فمعنى أرغم الله أنفه ، أي الصقه بالرِّغَام وأذله . أي على ذل منه لوقوعه مخالفاً لما يريد . وقيل : معناه على كراهة منه ، وإنما قال له ﷺ ذلك لاستبعاده العفو عن الزاني السارق المنتهك للحرمة ، واستعظامه ذلك ، وتصور أبي ذر بصورة الكاره الممانع ، وإن لم يكن ممانعاً . وكان ذلك من أبي ذر رضي الله عنه لشدة نفرتة من معصية الله تعالى وأهلها .

وفي رواية للبخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَتَانِي جَبْرِيلُ ، فَقَالَ : مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ . قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ » وهو من حديث أبي ذر .

وفي « الصحيح »<sup>(١)</sup> من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ » .

وفي لفظ « مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ » وفي رواية « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ » . وفي لفظ « مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » . وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ » (٢) .

وعنه أيضاً مرفوعاً « مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ » وفي رواية « مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ » .

وزاد في « صحيح البخاري ومسلم » من حديث عبادة بن الصامت « عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ » (٣) .

وفي « صحيح البخاري ومسلم »<sup>(٤)</sup> من حديث أنس أن نبي الله صلى الله عليه وسلم

(١) رواه مسلم رقم (٩٣) في الإيمان : باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار .

(٢) رواه أبو داود رقم (٣١١٦) في الجنائز : باب التلقين ، ورواه الحاكم في « المستدرک » ٣٥١/١ وصححه ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قال . وهو كما قال .

(٣) حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه فقد رواه البخاري ٣٤٢/٦ في الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ ، ومسلم رقم (٢٩) في الإيمان : باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ، والترمذي رقم (٢٦٤٠) في الإيمان : باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأحمد في « المسند » ٣١٤/٥ .

(٤) رواه البخاري ٣٠٠/١٣ في التوحيد : باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، وفي الجهاد : باب اسم الفرس والحمار ، وفي اللباس : باب حمل صاحب الدابة =

ومعاذ بن جبل رديفه على الرحل ، قال : « يَا مُعَاذُ » قال : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قال : « يَا مُعَاذُ » قال : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قال : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ » قال : أولاً أخبر بها الناس فيستبشروا ؟ قال : « إِذَا تَيَكَّلُوا » فأخبر بها عند موته تأثماً - يعني مخافة الإثم - .

وفي لفظ مسلم <sup>(١)</sup> من حديث عبادة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك ؟ فذكره قال : « أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، خَالِصاً مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ » رواه البخاري <sup>(٢)</sup> .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فِيْهِ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً » رواه مسلم .

---

= غيره بين يديه ، وفي الاستئذان : باب من أجاب بلبيك وسعديك ، وفي الرقاق : باب من جاهد نفسه ، وفي العلم : باب من خص بالعلم قوماً دون قوم ، ومسلم رقم (٣٠) في الايمان باب الدليل على أن مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، والترمذي رقم (٢٦٤٥) في الايمان : باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، وأحمد في « المسند » ٥ / ٢٢٨ و ٢٣٠ و ٢٣٤ و ٢٣٦ و ٢٣٨ و ٢٤٢ .

(١) رقم (٢٩) في الايمان : باب الدليل على أن مات على التوحيد دخل الجنة ، والترمذي رقم (٢٦٤٠) في الايمان : باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن إلأله إلا الله .

(٢) ١ / ١٧٣ في العلم : باب الحرص على الحديث ، وفي الرقاق : باب صفة الجنة والنار ، وأحمد في « المسند » ٢ / ٣٧٣ .

وفي لفظ له « حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » (١) .

وقد ورد في ذلك عدة أحاديث ، وغالب هذه الأحاديث سردها مسلم في « صحيحه » في باب واحد ، في باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت . لكن قال سعيد بن المسيب عند سماعه هذه الأحاديث : إن هذا قبل نزول الفرائض والأمر والنهي . وهذا القول عن سعيد بن المسيب رحمه الله ليس بشيء . وقال بعض العلماء : هو خطأ ، لأن راوي أحد هذه الألفاظ أبو هريرة وهو متأخر الإسلام ، أسلم عام خبير سنة سبع بالاتفاق ، وكانت أحكام الشريعة مستقرة ، كالصلاة والزكاة والصيام ونحوها ، فعلم ضعف هذا القول ، والله تعالى أعلم . وقال بعض العلماء : هي مجملة تحتاج إلى شرح ، ومعناه : من قال الكلمة وأدى حقها وفريضة . وهذا قول الحسن البصري . وقيل : إن ذلك لمن قالها عند الندم والتوبة ومات على ذلك ، وهذا قول البخاري . وقد تقدم في أول الباب حملها على ظاهرها ، وأن مذهب السلف والخلف من الفقهاء وأهل الحديث على أن من مات موحدًا دخل الجنة ، وإن كان من أهل المعاصي ، وأنه داخل تحت المشيئة ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي جعفر قال : لما حضر أبا زرعة الموت ، وعنده أبو حاتم ، ومحمد بن مسلم والمنذر بن شاذان وجماعة من العلماء ، هابوا أن يلقنوه الشهادة ، فقال بعضهم لبعض : تعالوا نذكر الحديث ، فقال محمد بن مسلم : حدَّثنا الضَّحَّاك عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح ، ولم يجاوز ،

---

(١) رواه البخاري ١١ / ٨١ في الدعوات : باب لكل نبي دعوة ، وفي التوحيد : باب المشيئة والإرادة «وما تشاؤون إلا أن يشاء الله» ، ومسلم رقم (١٩٨) في الإيمان : باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ، والموطأ ١ / ٢١٢ في القرآن : باب ما جاء في الدعاء والترمذي رقم (٣٥٩٧) في الدعوات : باب رقم (١٤١) ، والدارمي رقم (٢٨٠٨) في السير : باب إن لكل نبي دعوة ، وابن ماجه رقم (٤٣٠٧) في الزهد : باب ذكر الشفاعة ، وأحمد في « المسند » ٢ / ٢٧٥ و ٣٨١ و ٣٩٦ و ٤٢٦ .

وقال أبو حاتم : حدّثنا بندار عن أبي عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح ، ولم يجاوز ، والباقون سكوت ، فقال أبو زرعة : ثنا بندار عن أبي عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبي عريب عن كثير بن مرّة الحضرمي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » ثم توفي من ساعته رحمة الله عليه .

وعن عبيد بن عياش قال : لما ماتت النوار امرأة الفرزدق ، شهدها الحسن البصري ، فلما سَوَى عليها التراب : وثب الفرزدق لينصرف ، فقال للحسن : يا أبا سعيد ، أما تسمع ما يقول الناس ؟ قال : وما يقول الناس ؟ قال : يقولون : اجتمع في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس ، يعنونك ويعنونني ، فقال الحسن : ما أنا بخيرهم ، وما أنت بشرهم ، ولكن ما أعددت لهذا اليوم ؟ فقال : يا أبا سعيد ، شهادة أن لا إله إلا الله ، فبكى الحسن ؛ ثم التزم الفرزدق فقال : لقد كنت من أبغض الناس إليّ ، وإنك اليوم من أحب الناس إليّ (١) .

\*\*\*

---

(١) وذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى في رسالة « تحقيق كلمة الاخلاص » ص (١٠) وهي من منشوراتنا - مكتبة دار البيان بدمشق - : أن الحسن قال للفرزدق وهو يدفن امرأته : ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة ، قال الحسن : نَعَمْ العُدَّة ، لكن لـ « لا إله إلا الله » شروطاً ، فأياك وقذف المحصنات .



## الباب الثلاثون

### في فضل الزهد في الدنيا، والتسليّة عنها، والرغبة في الآخرة

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [ النساء : ٧٧ ] فالاستمتاع بالدنيا قليل ، ومتعتك بها قليل من قليل ، وثواب الآخرة خير وأفضل لمن اتقى المعاصي وأقبل على الطاعات .

ومما ينبغي أن يعلم : أن هذا الباب من أنفع الأبواب لمن تدبره ، فإن الدنيا دار قلعة وزوال ، ومنزل نقلة وارتحال ، ومحل نائبة وامتحان ، ومتاع غرور وافتتان ، فلا ييأس على ما فات منها ، ولا يفرح على ما وجد منها ، ولا يجزع على ولد أو نفس تموت ، ولا يحزن على أمر يفوت .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » وكان ابن عمر يقول : إِذَا أُمْسِيَتْ فَلَا تَنْتَظِرِ الصُّبْحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صَحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ . رواه البخاري (١) .

قال جماعة من العلماء في تفسير هذا الحديث : لا تركز إلى الدنيا ، ولا تتخذها وطناً ، ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ، ولا بالاعتناء بها ، ولا تغتر بها ، فإنها غرارة خداعة ، ولا تتعلق إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه ؛ ولا تشتغل فيها إلا بما يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله ، وبالله فاستعن .

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٢٨) رقم (١) .

وعن سهل بن سعد الساعدي قال : جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس ، فقال : « ارْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ ، وَارْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ » رواه ابن ماجه وغيره بإسناد جيد <sup>(١)</sup> . ولوائح الصحة ظاهرة عليه .

وعنه أيضاً رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا تَعْدَلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ » رواه الترمذي <sup>(٢)</sup> وقال : حديث صحيح .

وعن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذَكَرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ » رواه الترمذي <sup>(٣)</sup> . وقال : حديث حسن .

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٤١٠٢) في الزهد : باب الزهد في الدنيا ، والحاكم في « المستدرک » ٣ / ٣١٣ ، وأبونعيم في « الحلية » ٣ / ٢٥٢ - ٢٥٣ .

قال البوصيري في « الزوائد » : في إسناده خالد بن عمرو ، وهو ضعيف ، متفق على ضعفه ، واتهم بالوضع ، وأورد له العقيلي هذا الحديث ، وقال : ليس له أصل من حديث الثوري ، لكن قال النووي عقب هذا الحديث : رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد جيدة .

قلت : للحديث طرق أخرى ضعيفة ، وشاهد مرسل عند أبي نعيم في « الحلية » ٨ / ٤١ يتقوى بها ، فيحسن . انظر « الأحاديث الصحيحة » للألباني رقم (٩٤٤) .

(٢) رقم (٢٣٢١) في الزهد : باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل ، ورواه أيضاً ابن ماجه رقم (٤١١٠) في الزهد : باب مثل الدنيا ، قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥١٦٨) : صحيح . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (٩٤٣) .

(٣) رقم (٢٣٢٣) في الزهد : باب رقم (١٤) ، ورواه أيضاً ابن ماجه رقم (٤١١٢) في الزهد : باب مثل الدنيا ، وحسنه الترمذي ، وهو كما قال .

قوله : « ملعونة » : أي مبعوضة ساقطة . و« ما ولاه » : أي قاربه من الطاعة الموصلة لمرضاة الله . قال القرطبي رحمه الله تعالى : لا يفهم من هذا الحديث سب الدنيا مطلقاً ولعنها ، بل الملعون منها ما يبعد عن الله تعالى ويشغل عنه ، كما دل عليه حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً : « لا تسبوا الدنيا ، فنعيم مطية المؤمن ، عليها يبلغ الخير ، وبها ينجو من الشر ، وإذا قال العبد : لعن الله الدنيا ، قالت الدنيا : لعن الله أعصانا لربه » .

وروى الترمذي<sup>(١)</sup> أيضاً عن كعب بن عياض قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ » قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وروى الترمذي<sup>(٢)</sup> وحسنه وصححه عن عثمان ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَيْسَ لِابْنِ آدَمَ حَقٌّ فِي سِوَى هَذِهِ الْخِصَالِ : بَيْتٌ يَسْكُنُهُ ، وَتَوْبٌ يُوَارِي عَوْرَتَهُ ، وَجِلْفُ الْخُبْزِ وَالْمَاءِ » - قال ابن فارس في مجمله : وعاء الشيء جلغه - قال الترمذي : سمعت أبا داود يقول : سمعت النضر بن شميل يقول : الجلفة الخبز ليس معه إدام ، وقال غيره ، هو غليظ الخبز : وقال الهروي : والمراد به هنا وعاء الخبز ، كالجوالق والخرج ونحوه ، والله أعلم .

وفي « صحيح مسلم »<sup>(٣)</sup> عن عبد الله بن الشخير قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ﴿ أَهْلَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ قال : « يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي ، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَى مَا أَكَلْتُ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبِستَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ ؟ » .

وفي « صحيح البخاري مسلم »<sup>(٤)</sup> من حديث أبي سعيد قال : جلس رسول الله

---

(١) رقم (٢٣٣٧) في الزهد : باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة المال ، وأحمد في « المسند » ١٦٠/٤ ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب وصححه الحاكم ١٦٠/٤ ، وأقره الذهبي . وقال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢١٤٤) : صحيح . انظر « الأحاديث الصحيحة » له رقم (٥٩٢) .

(٢) الترمذي رقم (٢٣٤٢) ، وأحمد ١/٦٢ ، وصححه الحاكم ٤/٣١٢ ، وهو حديث ضعيف . انظر « الأحاديث الضعيفة » (١٠٦٣) .

(٣) رقم (٢٩٥٨) في الزهد : باب الزهد ، والترمذي رقم (٣٣٥١) في تفسير القرآن : باب ومن سورة ﴿ أَهْلَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ ، والنسائي ٦/٢٣٨ في الوصايا : باب كراهية في تأخير الوصية ، وأحمد في « المسند » ٤/٢٤ و ٢٦ . وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٩٨٨) .

(٤) رواه البخاري ٣/٢٥٨ في الزكاة : باب الصدقة على اليتامى ، وفي الجمعة : باب يستقبل الامام القوم ، واستقبال الناس الامام إذا خطب ، وفي الجهاد : باب فضل النفقة في سبيل الله ، =

صلى الله عليه وسلم على المنبر وجلسنا حوله ، فقال : « إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا » .

وفي « صحيح مسلم » <sup>(١)</sup> عنه أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ » .

وفي « مسلم » <sup>(٢)</sup> أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُؤْتَى بِأَنعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ ! يَا رَبِّ ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً ، فَيَقَالُ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ ! يَا رَبِّ ! مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ » .

= وفي الرقاق : باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، ومسلم رقم (١٠٥٢) في الزكاة باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا ، والنسائي ٩٠ / ٥ في الزكاة : باب الصدقة على اليتيم . وأحمد في « المسند » ٣ / ٧ و ٢١ و ٩١ ، وابن ماجه رقم (٣٩٩٥) في الفتن : باب فتنة المال .

(١) رقم (٢٧٤٢) في الذكر : باب أكثر أهل الجنة فقراء ، وأحمد في « المسند » ٣ / ٢٢ و ٦١ ، وهو عند الترمذي رقم (٢١٩٢) في جملة حديث طويل في الفتن ، باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن الى يوم القيامة ، ورواه أيضاً ابن ماجه رقم (٤٠٠٠) في الفتن : باب فتنة النساء .

قوله : « إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ » يحتمل أن المراد به شيئان : أحدهما حسنهما للنفوس ونضارتها ولذتها ؛ كالفاكهة الخضراء الحلوة ، فإن النفوس تطلبها طلباً حثيثاً ، فكذا الدنيا . والثاني سرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين .

(٢) رقم (٢٨٠٧) في المنافقين : باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار ، وصبغ أشدهم بؤساً في الجنة ، وأحمد في « المسند » ٣ / ٢٠٣ و ٢٥٣ .

قوله : « فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً » : أي يغمس غمسة .

قوله : « بُؤْسًا » البؤس هو الشدة .

وفي « مسلم » (١) أيضاً من حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق والناس كَنَفَتِيهِ ، فمر بجدي أَسَكَّ مَيِّتٍ ، فتناوله فأخذ بِأُذُنِهِ ، فقال : « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ ؟ » فقالوا : ما نحب أنه لنا بشيء ، وما نصنع به ؟ قال : « أَتَجِبُونَ أَنَّهُ لَكُمْ » قالوا : والله لو كان حياً كان عيباً أنه أَسَكَّ ، فكيف وهو ميت ؟ فقال : « وَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ » . قوله : كَنَفَتِيهِ أي من جانبيه . والأسك : الصغير الأذن .

وعن شهر بن حوشب عن عبادة بن الصامت ، قال : أراه رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يُجَاءُ بِالدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقَالُ : مَيِّزُوا مَا كَانَ مِنْهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْقَوَا سَائِرَهَا فِي النَّارِ » رواه ابن أبي الدنيا (٢) .

وروي أيضاً عن عبادة بن العوام عن هشام أو عوف عن الحسن مرسلًا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ » (٣) .  
واعلم أنه من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى .

وعن الحسن مرسلًا أن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له : يا رسول الله من خيرنا ؟ قال : « أَزْهَدُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَأَرْغَبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا أَسْكَنَ اللَّهُ الْحِكْمَةَ »

---

(١) رقم (٢٩٥٧) في الزهد : والرقائق ، وأبو داود رقم (١٨٦) في الطهارة : باب ترك الوضوء من مس الميتة .

(٢) شهر بن حوشب ، صدوق ، كثير الإرسال والأوهام ، كما قال ابن حجر في « تقريب التهذيب » ٣٥٥/١ .

(٣) قال في « أسنى المطالب » : رواه البيهقي من مراسيل الحسن البصري ، ورواه أبو نعيم من قول عيسى ، وقيل : من كلام مالك بن دينار ، وجزم ابن تيمية والسيوطي بوضعه ، وقال الدارقطني : في مراسيله ضعيف . انظر « الأحاديث الضعيفة » للألباني رقم (١٢٢٦) .

قَلْبُهُ ، وَأَطْلَقَ بِهَا لِسَانَهُ ، وَبَصَّرَهُ عُيُوبَ الدُّنْيَا دَاءَهَا وَدَوَاءَهَا ، وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا سَالِمًا مُسْلِمًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ . رواه ابن أبي الدنيا .

## فصل

ومن العجب كل العجب أن العبد يصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور ، فمن أحبه الله حماه عن الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه عن الماء . وقد ورد في الحديث مرفوعاً : « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ مُنْذُ خَلَقَهَا لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا » .

وروى ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ، قال مالك بن دينار : قالوا لعلي رضي الله عنه : يا أبا الحسن صِفْ لنا الدنيا ؟ قال : أطيل أم أقصر ؟ قالوا : بل أقصر ، قال : حلالها حساب ، وحرامها النار . وعنه أيضاً قالوا : يا أمير المؤمنين ، صِفْ لنا الدنيا ؟ قال : وما أصف لكم من دار من صح فيها آمن ، ومن سقم فيها ندم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها فتن ، في حلالها الحساب ، وفي حرامها النار .

وروي عن يونس بن عبيد قال : ما شبهت الدنيا إلا كرجل نائم ، فرأى في منامه ما يكره وما يحب ، فبينما هو كذلك إذ انتبه .

وقال الحسن بن علي : الدنيا ظل زائل .

وقال أبو سليمان الداراني : إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها ، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الآخرة ؛ لأن الآخرة كريمة ، والدنيا لثيمة .

وقال الأوزاعي : سمعت بلال بن سعيد يقول : والله لكفى به ذنباً : أن الله عز وجل يزهد في الدنيا ونحن نرغب فيها ، فزاهدكم راغب ،

ومجتهدكم مقصر ، وعالمكم جاهل .

## فصل

واعلم أن شرور الدنيا كأحلام نوم ، أو كظل زائل ، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً ، وإن سرت يوماً أو أياماً ساءت أشهراً أو أعواماً ، وإن تمتعت قليلاً منعت طويلاً ، وما حصلت للبعد فيها سروراً إلا خبأت له أضعاف ذلك سروراً .

قال ابن مسعود : لكل فرحة ترحه ، وما ملئ بيت فرحاً إلا ملئ ترحاً .

قال ابن سيرين : ما من ضحك إلا يكون بعده بكاء .

وقالت هند بنت النعمان : لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس وأشدهم ملكاً ، ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن أذل الناس ، وأنه حق على الله عز وجل أن لا يملأ داراً حبرة ، إلا ملأه عبرة . وسألها رجل أن تحدثه عن أمرها ، فقالت : أصبحنا ذات صباح وما في العرب أحد إلا يرجونا ، ثم أمسينا وما في العرب أحد إلا يرحمنا ، وبكت أختها حرقه بنت النعمان يوماً وهي في عزها ، فقيل لها : ما يبكيك ؟ فذكر أنها قالت : رأيت كثرة أهلي وسرورهم ، وقلما امتلأت دار سروراً إلا امتلأت حزناً . قال إسحاق بن طلحة : دخلت عليها يوماً فقلت لها : كيف رأيت عبرات الملوك ؟ فقالت : ما نحن فيه اليوم خير مما كنا فيه بالأمس ، إنا نجد في الكتب أنه ليس من أهل بيت يعيشون في حبرة إلا سيعقبون بعدها عبرة ، وإن الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبونه إلا بطن لهم بيوم يكرهونه ، ثم قالت :

فبينما نسوس الناس والأمر أمرنا      إذا نحن فيهم سوقة تنصّف  
فأفّ لدنيا لا يدوم نعيمها      تقلب تارات بنا وتصرّف

وفي الحديث مرفوعاً : « مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ »

صَائِفٍ فَاسْتَظَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا » رواه ابن أبي الدنيا (١) .

وروى أيضاً قال عيسى عليه السلام : ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ؟ يأمنها وتغره ، ويشق بها وتخذله ، ويل للمغتربين كيف أرقهم ما يكرهون ، وفارقهم ما يحبون ، وجاءهم ما يوعدون ، ويل لمن الدنيا همته ، والخطايا عمله ؛ كيف يفتضح غداً بذنبه .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن وهب بن منبه ، قال عيسى عليه السلام : بحق أقول لكم ، كما ينظر المريض إلى طيب الطعام ولا يلتذ من شدة الوجع ، كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ، ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا ، إن الدابة إذا لم تركب وتمتهن ، تصعبت وتغير خلقها ، كذلك القلوب إذا لم ترق بذكر الموت ودأب العبادة ، تقسو وتغلظ .

## فصل

وثبت في « الصحيح » (٢) مرفوعاً : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتاً » .

قال أهل اللغة : القوت ما يسد الرمق ، وفيه دلالة على فضيلة التقليل من الدنيا والاقتصار على القوت منها ، والدعاء بذلك ، والله أعلم ، فإن الدخول في الدنيا ، والميل إليها ، على خطر عظيم ، كما تقدم في

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٣٧٨) في الزهد : باب رقم ٤٤ وابن ماجه رقم (٤١٠٩) والحاكم / ٤ ، وصححه الترمذي ، وهو كما قال . أنظر « الأحاديث الصحيحة » للألباني رقم (٤٤٠) .

(٢) رواه البخاري ٢٥٠/١١ في الرقاق : باب كيف كان عيش النبي ﷺ ومسلم رقم (١٠٥٥) في الزهد في فاتحته ، والترمذي رقم (٢٣٦٢) في الزهد : باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأحمد في « المسند » ٢٣٢/٢ و ٤٤٦ و ٤٨١ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .  
قوله : « قُوتاً » : أي ما يسدُّ الرَّمَقَ .



« الصحيح » مرفوعاً « إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا »<sup>(١)</sup> قال العلماء: فيه التحذير من الاغترار بالدنيا ، والنظر إليها ، والمفاخرة بها . فالدنيا وإن أقبلت على الشخص من وجه حل ، يخاف عليه الفتنة ، والاشتغال بها عن كمال الإقبال على الآخرة ، فَإِنْ وَفَّقَ لِإِعْطَاءِ المسكين واليتيم وابن السبيل وصرفه في وجوه البر كان من الفائزين ، وإلا كان من الهالكين .

وقد ثبت في « صحيح مسلم »<sup>(١)</sup> عن المستورد بن شداد الفهري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعُهُ فِي الْيَمِّ ، فَلْيَنْظُرْ بِمَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ » .

وقال معاوية : سمعت على هذا المنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّمَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ ، وَإِنَّمَا مِثْلُ عَمَلٍ أَحَدُكُمْ كَمَثَلِ الرِّعَاءِ إِذَا طَابَ أَغْلَاهُ طَابَ أَسْفَلُهُ وَإِذَا خَبَثَ أَغْلَاهُ خَبَثَ أَسْفَلُهُ »<sup>(٢)</sup> .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ، ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات .

وقال الحسن البصري : والذي نفسي بيده ، لقد أدركت أقواماً كانت

---

(١) تقدم تخريجه ص (٣٢٢) رقم (٤) .

(٢) رقم (٢٨٥٨) في الجنة وصفة نعيمها : باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ، والترمذي رقم (٢٣٢٤) في الزهد : باب رقم (١٥) ، وابن ماجه رقم (٤١٠٨) في الزهد : باب مثل الدنيا ، وأحمد في « المسند » ٤ / ٢٢٩ و ٢٣٠ .

ومعنى الحديث : ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها ودوام الآخرة ودوام لذتها ونعيمها ، إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ٤ / ٩٤ ، وابن ماجه رقم (٤١٩٩) في الزهد : باب التوقي على العمل .

قال البوصيري في « الزوائد » في إسناده عثمان بن اسماعيل ، لم أزد من تكلم فيه ، وباقي رجال الإسناد موثقون . اهـ قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » (١٧٣٤) : صحيح . قوله : « إذا طاب أسفله » : كأنه إشارة إلى أن العبرة بالخواتيم .

الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه .

ثم علامة الشقاء قسوة القلب ، وجمود العين ، وطول الأمل ، والحرص على الدنيا .

وقال الفضيل بن عياض : علامة السعادة اليقين في القلب ، والورع في الدين ، والزهد في الدنيا ، والحياء والعلم .

وقال الفضيل أيضاً : لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالاً لا أحاسب بها في الآخرة ؛ لكنت أتجنبها كما يتجنب أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه .

وقال أبو هاشم الزاهد : خلق الله الداء والدواء ؛ فالداء الدنيا ؛ والدواء تركها .

## فصل منه

حضر بعض الرؤساء صلاة الجمعة وبه مرض لا يحتمل معه تطويل الخطبة ؛ فصعد الخطيب المنبر ، فقال : الحمد لله رب العالمين ؛ وصلواته على أشرف الأنبياء والمرسلين ؛ أما بعد : فإن الدنيا دار ممر ؛ والآخرة دار مقر ؛ فخذوا لمقركم من ممركم ؛ ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم ؛ وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

فما أبلغ هذه الخطبة وأفصحها ، وأجزها ؛ فعمر الدنيا والله قصير ، وأغنى غني فيها فقير ، وكأني بك في عرصة الموت وقد استنشقت ريح الغربة قبل الرحيل ، ورأيت أثر اليتيم في الولد قبل الفراق ، فتيقظ إذن من رقدة الغفلة ، وانتبه من السكر ، وأقلع حب الدنيا من قلبك ، فإن العبد إذا أغمض عينه وتولى ؛ تمنى الإقالة فقليل كلا .

وقال أبو عمران الجوني : مر سليمان بن داود عليهما السلام في

موكبه ، والطير تظله ، والجن والإنس عن يمينه وشماله ، قال : فمر عابد من عباد بني إسرائيل ، فقال : والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً !! قال : فسمع سليمان كلمته فقال : تسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود ، وما أعطي ابن داود يذهب ، والتسبيحة تبقى .

## فصل

من بذل وسعه في التفكير التام ، علم أن هذه الدار رحلة ، فجمع للسفر رحله ، ويعلم أن مبدأ السفر من ظهور الآباء إلى بطون الأمهات ، ثم إلى الدنيا ، ثم إلى القبر ، ثم إلى الحشر ، ثم إلى دار الإقامة الأبدية ، فدار الإقامة هي دار السلام من جميع الآفات ، وهي دار الخلود ، والعدو سبانا إلى دار الدنيا ، فنجتهد في فكك أسرنا ، ثم في حث السير إلى الوصول إلى دارنا الأولى ، وفي مثل هذا قيل :

فحيّ على جناتٍ عَدْنٍ فإنها منازلُ الأولى وفيها المخيم  
ولكننا سبيُّ العدو فهل ترى نَعُودُ إلى أوطاننا ونُسَلِّم  
وليعلم أن مقدار السير في الدنيا يسير ويقطع بالأنفاس ، ويسير بالإنسان سير السفينة لا يحس بسيرها وهو جالس فيها ، كما قيل :

إنما هذه الحياة متاع فالغويّ الشقيّ من يصطفّيها  
ما مضى فات والمؤمل غيبٌ ولك الساعة التي أنت فيها

ولا بد له في سفره من زاد ، ولا زاد إلى الآخرة إلا التقوى ، فلا بد من تعب الشخص والتصبر على مرارة التقوى ، لئلا يقول وقت السير : رب ارجعون ، فيقال : كلا . فليتنبه الغافل من كسل مسيره ، فإن الله تعالى يريه في قطع مسافة سفره آيات يرسلها تخويفاً لعباده ، لئلا يميلوا عن طريقهم المستقيم ، ونهجهم القويم ؛ فمن مالت به راحلته عن طريق الاستقامة ، فرأى ما يخاف منه ، فليرغب إلى الله بالرجوع إليه عما ارتكبه من السبل فيتوب من معصيته ،

ويبكي من قسوته ؛ فإذا انتبه من رقدة كسله ، علم أن الدنيا دار غرور طبعت على كدر . كما روى ابن أبي الدنيا قال : أنشدني الحسن بن السكن :

حياتك بالهمّ مقرونةً      فما تقطع العيش إلا بهمّ  
لذاذات دنياك مسمومة      فما تأكل الشهد إلا بسُمّ  
إذا تم أمرٌ بدا نقصه      توقع زوالا إذا قيل تمّ

وكما قيل في المعنى :

حكم المنية في البرية جارٍ      ما هذه الدنيا بدار قرار  
بينما يرى الإنسان فيها مخبراً      حتى يرى خبراً من الأخبار  
طبعت على كدر وأنت تريدها      صفواً من الأقداء والأكدار  
وقال بعض السلف : احذروا دار الدنيا فانها أسحر من هاروت  
وماروت ، فإنهما يفرقان بين المرء وزوجه ، والدنيا تفرق بين العبد وربّه .

وذكر ابن أبي الدنيا هذا الأثر مرفوعاً ، قال جعفر بن سليمان : سمعت مالكا يقول : اتقوا السحارة فإنها تسحر قلوب العلماء - يعني الدنيا - .

وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده إلى الحسن البصري أنه كتب إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد ، فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة ، وإنما أنزل آدم إليها عقوبة ، فاحذرها يا أمير المؤمنين ، فإن الزاد منها تركها ، والغنى منها فقرها ، لها في كل حين قتيل ، تذلل من أعزّها ، وتفقر من جمعها ، هي كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه ، فكن كالمداوي جراحته ، يحتمي قليلا ، مخافة ما يكره طويلا ، ويصبر على شدة الدواء ، مخافة طول البلاء فاحذر هذه الدار الغرّارة ، الحيّالة الخدّاعة ، التي زينت بخدعها وفتنت بغرورها ؛ وختلت بآمالها ، وتشرفت لخطّابها ؛ فأصبحت كالعروس المجلية ، فالعيون إليها ناظرة ، والقلوب عليها والهة ، والنفوس لها عاشقة ، وهي لأزواجها كلهم قاتلة ، فلا الباقي بالماضي معتبر ، ولا الآخر على الأول مزدجر ، ولا العارف بالله عزّ وجلّ حين أخبر عنها مذكر ، فعاشق لها قد ظفر منها

بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد ، فشغل فيها لبه حتى زالت عنها قدمه ،  
فعظمت ندامته ، وكثرت حسرته ، فخرج بغير زاد ، وقدم على غير مهاد ،  
فاحذرهما يا أمير المؤمنين ، وكن أسراً ما تكون فيها أحذر ما تكون لها ، فإن  
صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور ، أشخصه إلى مكروه ، قد وصل  
الرخاء منها بالبلاء ؛ وجعل البقاء فيها إلى فناء ، فسروورها مشوب بالحزن ،  
لا يرجع منها ما ولى فأدبر؛ ولا يدري ما هو آت فينتظر، أمانها  
كاذبة ، وآمالها باطلة ، وصَفُوهَا كدر ، وعيشها نكد ، وابن آدم فيها على  
خطر ، ولقد عَرِضَتْ على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها  
وخزائنها ، فأبى أن يقبلها ، كره أن يحب ما أبغض خالقه ، أو يرفع ما وضع  
مليكه ، فزواها عن الصالحين اختباراً ، وبسطها لأعدائه اغتراراً . جاءت  
الرواية أنه تبارك وتعالى قال لموسى عليه السلام : إذا رأيت الغني مقبلاً  
فقل : ذنب عجلت عقوبته ، وإذا رأيت الفقر مقبلاً فقل : مرحباً بشعار  
الصالحين .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه  
وسلم تسليماً كثيراً .

\* \* \*

علقها مؤلفها محمد بن محمد بن محمد المنبجي الحنبلي كان الله له  
وسامحه بمنه وكرمه من نسخة أصله في رجب الفرد سنة سبع وسبعين  
وسبعمائة أحسن الله عاقبتها .

\* \* \*

نقلت عن نسخة مخطوطة بخط المؤلف سنة ٧٧٧هـ مأخوذة من دار آل صوفان من أفاضل العلماء  
بنابلس .

## الدليل العام

### الموضوع

- ٥ ..... مقدمة المحقق والناشر
- ٧ ..... خطبة الكتاب
- ١٣ ..... الباب الأول : في المصيبة وحقيقتها وما أعد الله لمسترجمها
- ١٦ ..... فصل : في كلمة «إنا لله وإنا إليه راجعون»
- ١٨ ..... فصل : في تسلية أهل المصائب بالعلاج الإلهي النبوي
- ٢٠ ..... فصل : في النظر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله .
- ٢١ ..... فصل : في أن مرارة الدنيا هي حلاوة في الآخرة .
- ٢٣ ..... فصل : في الاستعانة بالله والاتكال عليه والعزاء بعزائه
- ٢٤ ..... فصل : ومن أعظم المصائب المصيبة في الدين
- ٢٧ ..... فصل : في البشارة لمن تذكر المصيبة فاسترجع
- ٢٨ ..... فصل : في الفرق بين تمتع الدنيا الفاني والآخرة الباقي
- ..... فصل : في أن يوطن الانسان نفسه على توقع المصائب وأنها
- ٢٩ ..... بقضاء الله وقدره
- ٢٩ ..... مطلب : في قول ابن الجوزي : إن علاج المصائب بسبعة أشياء
- ٣١ ..... فصل : في أن لا ننكر وقوع المصائب في الدنيا بجميع أنواعها
- ٣٢ ..... فصل : في المصائب المختصة بذات الانسان
- ٣٤ ..... فصل : في أن المصائب والمحن دواء للكبر والعجب
- ٣٤ ..... فصل : في اعتراض المصاب على الأقدار ودلالته بعبادته
- ٣٦ ..... فصل : في أن الأفضل إبدال الشكوى والأنين بذكر الله تعالى

٣٩	فصل : في أن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها
٤١	فصل : في أن من سلم أمره في مصيبته واحتسب لله عوضه خيراً
٤٢	فصل : فيمن طلب المصائب وفرح بها رجاء ثوابها
٤٩	الباب الثاني : في البكاء على المصيبة واقوال العلماء في ذلك
٥٧	فصل : فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في البكاء على الميت
٥٨	فصل : في التحذير مما يتفوه به المصاب من ألفاظ التظلم والشكوى
٦٠	فصل : في البكاء والتأسف على من فرط في جنب الله تعالى
٦١	فصل : في أن الحزن لم يأمر به الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم
٦٣	الباب الثالث : في تحريم التدب والنياحة وشق الثياب
٦٥	فصل : فيما ورد من تحريم ذلك والوعيد عليه
٦٩	فصل : فيما ورد من عذاب الميت بالنياحة
٧١	فصل : في أن البكاء لا ينفع الميت بل ينفعه العمل الصالح
٧٢	فصل : في بيان أن الله سبحانه هو الفعال لما يريد
٧٣	فصل : فيما يفعله الإنسان إذا أحس بدنوا أجله
	فصل : في قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن الميت ليعذب
٧٤	ببكاء أهله عليه
٧٨	فصل : في أن ما أورده من الأحاديث لا يخالف قواعد الشرع
٧٩	فصل : في وسوسة الشيطان للمريض ولأقاربه وأهله
٨٠	فصل : فيما ذكر في النعي والمناداة على الميت
٨٥	الباب الرابع : فيمن أصيب بفقد ثلاثة من الولد فأكثر والبشارة له بذلك
٩٣	فصل : فيمن أصيب بأربعة من الأولاد
١٠٠	الباب الخامس : فيمن أصيب بفقد ولدين والأحاديث الواردة فيه
١٠٥	الباب السادس : فيمن أصيب بفقد ولد واحد
١١١	فصل : في بشارة من مات ولده وصبر
١١٤	فصل : في الثواب على الولد الصغير والشاب البالغ

- فصل : في التأسّي ببعض ما كان يفعله الصحابة والتابعون في مصائبهم ١١٨
- فصل : في البشارات الهائلة لمن أصيب بمصيبة وإن لم تكن في ولده ١٢٣
- الباب السابع : في ذكر السقط وثوابه وزيارة القبور ..... ١٢٦
- فصل : في زيارة القبور وحكمها ..... ١٢٧
- مطلب : في قول الغزالي : إن الزيارة في يوم الجمعة والسبت
- قبل طلوع الشمس ..... ١٣٠
- مطلب : في أقوال العلماء في زيارة النساء للقبور وما يكره منها ..... ١٣٣
- الباب الثامن : في تطيب خاطر الوالدين على الأولاد ..... ١٣٦
- فصل : في معنى الفطرة التي نشأ عليها كل مولود من بني آدم ..... ١٣٩
- فصل : في اختلاف العلماء في معنى الفطرة ..... ١٣٩
- الباب التاسع : في أن الطفل الرضيع اذ مات يكمل رضاعه في الجنة .. ١٤٣
- فصل : في شفاة الأطفال الرضع لوالديهم ..... ١٤٤
- الباب العاشر : في أنه يصلي على كل مولود مسلم ويدعى لوالديه .... ١٤٥
- الباب الحادي عشر : في استحباب اصطناع الطعام لأهل المصيبة ..... ١٥٢
- الباب الثاني عشر : في الذبح عند القبور وكراهة صنع
- الطعام من أهل المصيبة ..... ١٥٤
- الباب الثالث عشر : في الثناء الحسن على الميت وذكر محاسنه
- السكوت عن مساويه ..... ١٥٧
- فصل : بشارة للمؤمن بعمله الصالح ..... ١٥٩
- فصل : في الكف عن ذكر مساوىء الأموات ..... ١٦٠
- الباب الرابع عشر : في فرح العبد وتسليته بكونه من أمة
- محمد صلى الله عليه وسلم ..... ١٦٢
- الباب الخامس عشر : في استحباب التعزية لأهل المصيبة والدعاء لميتهم ١٦٥
- فصل : في استحباب تعزية أهل الميت ووقتها ..... ١٦٦
- فصل : فيمن يكره تعزيتهم من أهل الميت وخاصة من النساء ..... ١٦٧



- فصل : فيما يفعله بعض الناس من الجلوس عند القبر يوم الدفن وبعده ١٦٧
- فصل : فيما يجوز أن يلبسه المصاب وزيه ..... ١٦٨
- فصل : في أن التعزية قبل الدفن أو بعده ..... ١٦٨
- فصل : في الألفاظ التي وردت في التعزية عن النبي صلى الله عليه وسلم ١٧٠
- فصل : فيما يقال عند العلم ب وفاة أحد من المؤمنين ..... ١٧١
- فصل : فيما نقل إلينا من ألفاظ التعزية عن السلف والخلف ..... ١٧٣

## الباب السادس عشر : في وجوب الصبر على المصيبة وما جاء

- في ذلك في القرآن الكريم ..... ١٨٢
- الباب السابع عشر : فيما ورد في الصبر على المصيبة من البشارات
- فصل : في ما جاء من كلام السلف الصالح في الصبر ..... ١٨٥
- الباب الثامن عشر : في عدم استغناء الناس عن الصبر في كل الأحوال . ١٩٦
- فصل : في الحالات التي يحتاج إليها العبد الى الصبر ..... ١٩٦
- فصل : في مشقة الصبر على السراء أيضاً ..... ١٩٨
- فصل : في التحذير من فتنة المال والأزواج والأولاد ..... ١٩٨
- الباب التاسع عشر : في أن الصبر من أشق الأشياء على النفوس ٢٠٢
- فصل : في عقوبة من لم يصبر مع تمكنه من الصبر ..... ٢٠٤
- فصل : في علامات الصبر ورضا النفس عن قضاء الله تعالى ..... ٢٠٦
- الباب العشرون : في الرضا بالمصيبة ..... ٢٠٨
- فصل : في أقوال السلف والخلف في الرضا ..... ٢١٠
- فصل : فيما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل المصيبة وما نهى عنه ٢١٣
- فصل : في تحقيق الرضا وأنه من عمل القلب ..... ٢١٦
- الباب الحادي والعشرون : فيما يقدر في الصبر والرضا وينافيهما ..... ٢٢٠
- فصل : في أن شق الثياب ولطم الخدود ينافي الصبر والرضا ..... ٢٢٢
- فصل : في أن البكاء والحزن الصامت لا ينافي الرضا والصبر ..... ٢٢٣

- فصل : في أن من يتلى بالمصائب هو أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين . . ٢٢٥
- فصل : في أن الشكوى والتحدث بالمصيبة ينافي الصبر والرضا . . . . . ٢٢٦
- فصل : في أن الله تبارك وتعالى يختبر عباده بالمصائب . . . . . ٢٢٩
- الباب الثاني والعشرون : هل المصائب مكفرات أو مثليات ؟ . . . . . ٢٣١
- فصل : في سياق كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في المصائب وما تتولد عنه ٢٣٤
- فصل : في قوله أيضاً رحمه الله في أن المصائب نعمة من نعم الله تعالى . ٢٣٧
- الباب الثالث والعشرون : في الصدقة عن المصاب به وأفعال البر عنه . ٢٣٩
- فصل : في ذكر اختلاف الناس في وصول ثواب إهداء القرب إلى الموتى ٢٣٩
- فصل : في الآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب . . . . . ٢٤٠
- فصل : ومن الأدلة المستحسنة قوله ﷺ في الأضحية : بسم الله والله أكبر ٢٤٤
- فصل : في قوله تعالى ﴿ وان ليس للانسان الا ما سعى ٢٤٦
- فصل : في أن الدفن بجوار الصالحين يجلب نوال بركتهم . . . . . ٢٩٠
- فصل : في استحباب القراءة عند القبر وما ورد فيها . . . . . ٢٤٩
- فصل : فيما نص عليه الامام أحمد بن حنبل في استحباب الدعاء للميت عقب دفنه . . . . . ٢٥٠
- فصل : هل يصح إهداء ثواب نوافل العبادات للمسلم الحي ؟ . . . . . ٢٥٢
- الباب الرابع والعشرون : في ذكر عمارة القبور . . . . . ٢٥٣
- فصل : في أن العمارة ليست من الظاهر بل عمارة الأحياء والأموات من الباطن . . . . . ٢٥٥
- فصل : في بكاء عثمان رضي الله عنه على القبور . . . . . ٢٥٦
- مطلب : في كلام القبر لابن آدم . . . . . ٢٥٧
- فصل : في عدم استطاعة التمييز بين السعيد والشقي في القبر . . . . . ٢٥٩
- الباب الخامس والعشرون : في أن الله يثبت الذي آمنوا عند السؤال في القبر . . . . . ٢٦٢

٢٧٠	فصل : في أن النار والخضرة في القبر ليست كمثلها في الدنيا
٢٧٢	فصل : في البرزخ والبحث في ماهيته
٢٧٣	فصل : في عرض أعمال الأحياء على أقاربهم الأموات
٢٧٤	فصل : في تلقين الصغار وما قيل في التلقين عموماً
٢٧٥	فصل : في حياة الميت في قبره والخلاف في ذلك
٢٧٩	الباب السادس والعشرون : في اجتماع الأرواح وهياتها وأين محلها
٢٨٢	فصل : فيما جاء في أرواح الشهداء وغيرهم وأمكناتها
٢٨٥	فصل : في بيان مستقر الأرواح واختلاف مساكنها
٢٨٧	فصل : في قوله ﷺ : « الأرواح جنود مجندة » وكيفية ذلك
٢٨٨	فصل : هل الأرواح محدثة عند خلق الأبدان أم قديمة
٢٨٩	فصل : في دليل إضافة الروح الى الله وتفسير تلك الإضافة
٢٩٠	فصل : هل الأرواح تموت مع الأبدان أم الموت للأبدان خاصة ؟
٢٩١	فصل : هل عذاب القبر على الروح والبدن أو على الروح دون البدن ؟
	فصل : في أن عذاب القبر حق وما جاء في ذلك من الأحاديث
٢٩٥	وأقوال العلماء
٢٩٦	فصل : في أن البلى يختص بالبدن وأما الروح فباقية
	الباب السابع والعشرون : في عد الشهداء وفضلهم وأنهم أرفع درجات
٢٩٨	من الصالحين
٣٠١	مطلب : في تفسير العلماء لعلة البطن التي وردت في الحديث
٣٠٣	فصل : في تسلية المصاب بما ورد في ثواب الشهداء
٣٠٤	فصل : في الشهادة وهل هي فقط شهادة المعركة أم الطاعون ؟
٣٠٧	الباب الثامن والعشرون : في ذكر الصراط ودرجات الناس في المرور عليه
٣٠٩	فصل : في كيفية الصراط وصفته وكيفية جوازه
٣١١	الباب التاسع والعشرون : في ذكر سعة رحمة الله ومن مات على التوحيد

- فصل : في بيان رحمة الله ومن تشمل من المخلوقات ..... ١٣
- فصل : في ان مذهب أهل السنة والجماعة أن من مات موحداً دخل الجنة ٣١٣
- مطلب : في أهل المعاصي ومن يغفر له ، ومن يدخل في سعة رحمه الله . ٣١٤
- مطلب : في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة» قطعاً..... ٣١٤
- الباب الثلاثون : في فضل الزهد في الدنيا ... الخ ..... ٣٢٠
- فصل : في إيمان العبد بدار الخلود وعدم العمل لها ..... ٣٢٥
- فصل : في أن متاع الدنيا وملذاتها كأحلام النائم ..... ٣٢٦
- فصل : في حديث « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً » ..... ٣٢٧
- فصل : في بلاغة خطب الوعظ والارشاد ..... ٣٢٩
- فصل : في أن رحلة الانسان من ظهور الآباء الى الدار الأبدية ..... ٣٣٠

\*\*\*

